

مَجَلَّةُ قَائِمَاتِ الْعَالَمِيَّةِ
تَشَقُّ بِمُخَالَفَةِ فِرْعَانَ الْعَرَفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ
تَصَدَّرُ بِالْمَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ



مجلة قارئون للعلمية

تُعنى بمختلف فروع المعرفة الإنسانية والتطبيقية
تصدر باللغة العربية

هيئة التحرير

- رئيساً : د. الهادي أبو القمّة
عضواً : د. سعد بن حميد
عضواً : د. أحمد القلاي
عضواً : سليمان الجروشي
عضواً : د. محمد خليفة الدناع
عضواً : د. أبو القاسم الطبولي
مقدراً : أ. عبّ الرحمن الشريدي

الرسائل والمقالات : مجلة قارئون العلمية - جامعة قارئون
ص ١٣٠٨ ، بريد 40175 هاتف : ٢٠١٤٨



5	كلمة العدد
	أسرة التحرير
9	القرآن والتوجيه الإداري
	د. ناجي محمد عبد الرازق.
49	آراء حول أزمة التعليم الجامعي في الوطن العربي
	د. فيصل مفتاح شلوف - د. إبراهيم كرسني محمد
85	حول المقال العلمي وكتابته
	د. بدر الدين حامد علي - د. أبو بكر أحمد بشير
105	السلفيوم
	تأليف: شالمرز جميل - ترجمة: فؤاد سالم موسى أبو النجا
135	مخطوطات ليبية في المغرب
	د. إبراهيم أحمد المهدي
145	دور العلاقات الإنسانية في رفع الكفاية الإنتاجية التعليمية
	د. عبد الله القاسم العرفي
161	اتجاهات التعليم الثانوي بالجمهورية الليبية
	د. عباس عبد المحسن الحفاجي - د. حميد علي مفتاح . م. محمد حسن المرتضى
181	استمارة بحث ميداني عن اتجاهات التعليم الثانوي
	دراسة ميدانية ببلدية الجبل الأخضر.
191	المرأة في المجتمع البدوي الحديث في ليبيا
	د. لوجي صالح الزوي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عزيري القاريء:

بوصول هذا العدد إليك، نود أن نشعر مخلصين ولو ببعض السعادة لاجتيازنا بعض العقبات، التي حالت دون أن نكون معك في الوقت الذي حددناه للقائك أينما كنت في أرجاء هذا الوطن العزيز، ومع تخطي هذه العثرة نتطلع أيضاً ليكون ما نشره عند حسن الظن، ويوفر لقرائنا الأفاضل ولو بعض ما ينشدونه من معرفة، التي نتطلع إلى المزيد من إثرائها عن طريق مساهمتكم أنتم لأننا لن نتوان عن نشر كل ما هو أهل لذلك، ومن جميع الذين يتفضلون بحمل جزء من العبء معنا مع شكرنا البالغ لهم سلفاً، علماً بأننا سنسعد أيضاً بالكتابة إلينا، وإبداء الرأي الصريح حول شكل وطباعة ومضمون مجلتكم هذه، فأراؤكم ستكون بلا منازع محل كل اعتبار إذ لا هم لنا سوى أن يكون ما نقدمه أهلاً ليصلك فعلاً.

والله الموفق

العدد الثالث عام 1990

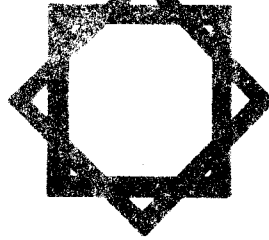
شروط النشر في المجلة

- أن يكتب البحث بلغة عربية سليمة وأسلوب جيد.
- أن يكون البحث قد كتب حديثاً ولم يسبق نشره.
- أن تتوافر في البحث الموضوعية والمنهج العلمي في البحث والتوثيق.
- يجب ألا تزيد صفحات البحث عن (٢٠) صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة.
- يتم تقييم البحوث التي ترد إلى المجلة من قبل متخصص وفقاً للأسس المتبعة، والبحوث لا تعاد إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تنشر.
- أن يتضمن البحث اسم كاتبه ثلاثياً، ومعلومات عن مجال تخصصه.
- أن يذكر الباحث ثبناً بالمراجع التي رجع إليها في بحثه.
- البحوث والمقالات تعبر عن وجهة نظر أصحابها.

مقالات مجلّة قارئوس العلميّة

العدد 3 سنة 1990 م

- 1- القرآن والتوجيه الإداري
- 2- آراء حول أزمة التعليم الجامعي
- 3- حول كتابة المقال العلمي
- 4- السلفيوم
- 5- المخطوطات الليبية في المغرب
- 6- دور العلاقات الإنسانية في رفع الكفاءة الإنتاجية
- 7- اتجاهات التعليم الثانوي بالجاهيرية
- 8- المرأة في المجتمع البدوي الحديث







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القرآن والتوجيه الإداري

د. ناجي محمد عبد الوارث
أستاذ مساعد بكلية المحقوق
جامعة قاريونس

1988



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة النحل، الآية 64]



القرآن والنوحيات الأدارية

د. ناجي محمد عبد الرزاق (*)

مقدمة:

يوجه الله سبحانه وتعالى رسوله العظيم محمداً عليه الصلاة والسلام إلى أفضل المناهج التي يدعو بها الإنسانية إلى الله تعالى، ويوجهها - بهذه المناهج - إلى عمل الخير من أجل الصالح العام والخاص فيقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [سورة الإسراء، من الآية 125-128].

وكما هو معلوم فإن الدعوة إلى سبيل الله هي دعوة خير إلى عمل الخير، لذلك فإن هدفها هو الخير المطلق للإنسان في أي مجال من مجالات الحياة ومنها مجال العمل والإنتاج التي يكون الإنسان طرفاً فيها: كقيادي وموجه، أو كمنفذ، أو كمتعامل مستفيد بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

(*) د. ناجي محمد عبد الرزاق، أستاذ مساعد بقسم الإدارة بكلية الاقتصاد - جامعة قاريونس، بنغازي.

لا بد إذن أن يتم التوجيه دائماً بالحكمة، وأن يحمل في ثناياه المعظة الحسنة. وتوضح الآيات الكريمة السابقة عدة حقائق هامة منها ما يلي:

- إنها دعوة من الله الموجه الأعظم إلى سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - القيادي الأول للأمة الإسلامية يرسم له فيها الخطوط العريضة للمنهج الأمثل للتوجيه الذي يجب أن يسير عليه في توجيه الأمة والذي يجب أن يسير عليه من بعده كل القيادات في هذه الأمة على اختلاف مستوياتهم في مواقع المسؤولية من أجل صالح الأمة في إطار من السلام الاجتماعي الخالي من العنف والقهر.

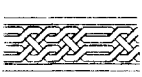
- إن التوجيه عمل من أعمال القيادة أياً كان موقعها، فالله يوجه الرسل، والرسل يوجهون الأمم . . . والقادة يوجهون شعوبهم - ومدير المشروع يوجه العاملين فيه، ورب الأسرة يوجه أسرته . . . وهكذا في مختلف الأنشطة ومختلف مواقع العمل والإنتاج والمسؤولية . . .

ولقد أقر علماء الإدارة بأهمية التوجيه منذ ظهرت فكرة الإدارة كعلم له قواعد وأصول ثابتة لا تتغير بتغير الأفراد أو المواقع .

وهذه القواعد أربع رئيسية هي: - التخطيط، والتنظيم، والتوجيه، والرقابة .

وهي تستخدم معاً بصورة متكاملة . وهكذا نجد أن التوجيه - باعتراف علماء الإدارة - وظيفة إدارية بالدرجة الأولى، ولكنهم أرجع كل منهم الفضل إلى نفسه في لفت نظر الإنسانية إلى أهمية التوجيه في إنجاح العملية الإدارية التي إذا نجحت كان نجاحها مدخلاً طبيعياً إلى تحقيق أهداف الأفراد وأهداف المشروعات وأهداف المجتمع .

وفي هذا البحث - بإذن الله - سنحاول أن نعطي فكرة عن التوجيه كمبدأ، وكوظيفة إدارية ونلقي الضوء على محتوى هذه الوظيفة الهامة في حياة المجتمع، وذلك من وجهة النظر الإنسانية على ألسنة علماء الإدارة والمهتمين بها، كما سنحاول أن نبرز محتوى هذه الوظيفة ونبينه في الصيغة الإلهية التي وردت عبر آيات كثيرة موزعة في سور مختلفة من القرآن الكريم .



وهدفنا من ذلك هو التعريف بالأكمل والأشمل في نظريته، وهو الله العليم الخبير سبحانه وتعالى الذي يجب أن نرجع إليه الفضل كل الفضل في إظهار هذه الوظيفة الخطيرة، وتوضيح أهمية دورها في تقدم المجتمعات.

وسنعرض هذا البحث من خلال العناوين الرئيسية التالية:

أولاً: التوجيه الإداري في الفكر الإنساني.

ثانياً: التوجيه الإداري على هدى القرآن الكريم.

ثالثاً: تحليل مقارن لعناصر التوجيه الإداري.

رابعاً: وأخيراً.. نعرض الاستنتاجات والخاتمة.

ونرجو الله أن ينفعنا بالقرآن الكريم ويعززنا به في كل مكان من العالم إلى أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها.

أولاً: التوجيه الإداري في الفكر الإنساني:

ينظر الفكر الإداري بنظرياته المختلفة إلى التوجيه نظرة علمية وعملية على أنه وظيفة إدارية تهتم بدفع الأفراد بشتى الوسائل المتاحة للمدير نحو تحقيق أهداف المشروع. ونسوق هنا أحد أهم المفاهيم التي وردت عن التوجيه في الفكر الإداري المعاصر والتي ترى: «أن التوجيه مرحلة هامة وحيوية في العملية الإدارية تهدف إلى الأخذ بيد أفراد القوى العاملة بالمشروع من خلال القيادة الرشيدة (Leader Ship) التي ترمي إلى توجيه جهودهم نحو تحقيق الأهداف المنشودة وضرب المثل لهم في التصرفات - وتتضمن العملية التوجيهية توفير البيئة المناسبة للعمل:

(Work Inveronment) التي تساعد على إطلاق القدرات الإبداعية للعاملين

(Greative Powers) لما فيه صالح المشروع»⁽¹⁾.

ولا تختلف وجهات النظر الأخرى التي وردت في هذا الموضوع كثيراً عن هذا المفهوم. ويمارس التوجيه الفعال في ضوء الفهم الدقيق لطبيعة السلوك البشري...

(1) د. زكي هاشم، الإدارة العلمية، وكالة المطبوعات، الكويت 1979 م، ص 21.

(Human Behavior) ومحاولة تسييره إلى الوجهة المرغوبة⁽²⁾. . فالفرد في المشروع - قيادياً أو منفذاً - إنسان قبل كل شيء، تحكم سلوكه قوانين طبيعية ويتميز - بموجب هذه القوانين - بخصائص لا توجد في غيره من الكائنات وهي أن:

- 1 - الفرد يعتبر وحده مركبة متكاملة من الطاقة وهو يتصرف فيها وفق إرادته الخاصة بطريقة رشيدة أو غير رشيدة.

- 2 - الفرد له القدرة على التكيف حسب الظروف والمواقف.

- 3 - للفرد رغبات وأهداف وحاجات يسعى لتحقيقها.

- 4 - لكل فرد شخصيته المتميزة وقدراته الخاصة به.

- 5 - الفرد لديه القدرة على التعلم وفهم الأمور واستيعابها.

- 6 - الفرد يمكن توجيهه وقيادته نحو تحقيق أهداف الآخرين من خلال قيادة مقنعة رشيدة ومؤثرة يثق فيها وبخاصة إذا وفرت له الفرص لإشباع حاجاته.

- 7 - الفرد كائن متدين بطبعه فهو يبحث - منذ فجر الخليقة - عن الله ليعبده.

ونظراً لهذه الطبيعة الفريدة والتميزة للإنسان فقد تعددت وجهات النظر في الكيفية التي يمكن بها أن يوجه هذا الإنسان في عمله نحو تحقيق أهداف المشروع الذي يعمل فيه. ولقد احتوت النظريات المختلفة ثلاثة جوانب جوهرية لوظيفة التوجيه وهي:

- 1 - القيادة : Leader Ship .

- 2 - التحفيز : Motivation .

- 3 - الاتصال : Communication .

وستتناولها جميعاً بالتفصيل كما سيلي⁽¹⁾.

(2) Davis Keith, Human Relations At Work, The Dynamics of Organizational Behavior, Mo (2) Gow-Hill Book Co. 1967, p.127.

(1) تحت عنوان ثالثاً: تحليل مقارن لعناصر التوجيه.



ثانياً: التوجيه الإداري على هدى القرآن الكريم:

عنى الله سبحانه وتعالى بعملية التوجيه أشد العناية وذلك بوضع قواعد للسلوك السوي الذي يجب أن يسلكه الموجه في التعامل مع من يوجههم من جهة؛ وبوضع ضوابط تحدد واجبات الموجه وحقوقه وما يجب أن تتوافر فيه من خواص وشروط وصفات من جهة أخرى، حتى يكون قيادياً ناجحاً في موقعه بإزاء مختلف المواقف والظروف التي يتعرض لها أو يواجهها. فالأنبياء والرسل عليهم السلام - وهم صفوة الخلق عند الله - كانوا جميعاً مكلفين بتعليم الناس وتوجيههم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة. وذلك لضمان التوازن والاستقرار في المجتمع ومن أجل أن تسود فيه روح المحبة والسلام. ويؤكد هذا آيات كثيرة في كتاب الله نذكر منها على سبيل المثال قول الله تعالى للرسول محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَراجاً مُنيراً﴾ [الأحزاب، 45-46]. أي أن الله أرسل رسوله ليشهد على ما هو كائن بين الناس ويشرهم بالخير القادم إليهم في الدنيا والآخرة إذا هم اتبعوا تعاليم الله إليهم، وفي نفس الوقت يندرهم بالعقاب الذي سيقع عليهم في الدنيا والآخرة أيضاً، إذا هم أعرضوا عنها. وفي دعوته لهم إلى اتباع تعاليم الله كان قدوة حسنة يسبقهم دائماً إلى فعل الخير لينير لهم طريق الهداية ويساعدهم على الاستمرار فيه.

فالرسل والأنبياء عليهم السلام مكلفون إذن من الله بتعليم وتوجيه البشرية إلى كل ما هو خير لهم في يومهم وفي غدهم وفي دنياهم وأخراهم أفراداً ومجتمعات.

ثالثاً: تحليل مقارن لعناصر التوجيه الإداري:

فيما يلي عناصر التوجيه الأساسية: القيادة، التحفيز، الاتصال، بتحليل مقارن بين ما ذكر فيها من وجهات نظر علماء الإدارة، وما جاء عنها في آيات القرآن الكريم.

1 - القيادة :

(أ) القيادة في الفكر الإداري :

يقصد بها جميع أوجه النشاط التي تتعلق بالقدرة على التأثير في الغير مع توجيه أقصى جهودهم نحو تحقيق أهداف محددة. إن ذلك يعني أنها ترتبط بالأفراد أكثر من ارتباطها بالوظائف، ويعني أيضاً أنها تعتمد على النفوذ الشخصي النابع من الذات وليس على النفوذ الوظيفي المستمد من السلطة الوظيفية. صحيح أن السلطة جزء أساسي في عملية القيادة وذلك لضمان الانضباط وسواء بالاستمالة أو بالإجبار، ولكن ذلك لا يعني أن هذه السلطة تعطي الإداري مميزات وصفات القيادة التي تعتبر أموراً تنصل مباشرة بشخصية القيادي وتكوينه الذاتي.

ولقد تعددت وتباينت الدراسات التي تناولت القيادة والقادة.. وسنعرض بعض ما ظهر منها بإيجاز في السطور التالية⁽¹⁾.

1 - نظريات القيادة :

- نظرية الرجل العظيم : وهي تقوم على افتراض أن القيادي هو شخص موهوب ذو قدرات خاصة منحها له الخالق، وهي قدرات ذاتية لا تتوافر في غيره من الأفراد. وقد أغفل هذا الافتراض جوانب أخرى كثيرة يكتسبها القيادي من المجتمع، كما أن القدرة على التأثير تتوقف أيضاً على «خصائص التابعين» وعلى «طبيعة المواقف» إلى جانب خصائص القيادي.

- نظرية الخصائص والسمات : وهي تضيف إلى المفهوم السابق أن سمات القيادي يمكن أن تكون مكتسبة من المجتمع الذي يعيش فيه، ويمكن أن تجمع بين الوراثة والاكْتساب.. ويتميز القيادي هنا بعدة خصائص بارزة فيه عن غيره من الأفراد ومن أهمها:

ارتفاع درجة المعرفة لديه، والخبرة الطويلة، والطموح الشديد، والذكاء الخارق، وبعد النظر والجرأة، والثقة بالنفس، والأمانة، والمقدرة على الصبر، وإرادة

(1) د. حمدي مصطفى المعاز: وظائف الإدارة، دار النهضة العربية، القاهرة، عام 1984 م، ص 298-301.



تحمل المسؤولية، واللياقة التامة بدنياً وعقلياً ونفسياً، وحسن الخلق في التعامل مع الغير وتأصيل المسائل والأمور والمثابرة على المتابعة.

والملاحظ أن هذه النظرية أغفلت بدورها الجوانب الأخرى التي تتعلق بالقيادة مثل اختلاف طبيعة المواقف، ومثل خصائص التابعين المختلفة.

- نظرية الموقف: يقصد بالموقف (وضع معين تحيط به مجموعة من الملابس والعوامل والظروف ويفرض على القيادي أن يتخذ بشأنه قراراً) هذا القرار هو رأي القيادي الذي يعكس مدى فطنته وحكمته كقيادي. ولما كانت المواقف تتباين من وقت لآخر، ومن مشروع لآخر تبعاً لعوامل كثيرة فإن تباين المواقف يساهم في تحديد نوعية القياديين ونماذج قياداتهم فقد يكون الفرد قائداً ناجحاً في موقف معين بينما لا نجده كذلك في موقف آخر. وهكذا نجد أن هذه النظرية تربط بين خصائص القيادي. . وطبيعة المواقف ورغم أن مضمون هذه النظرية يعتبر متطوراً عن مضامين النظريات السابقة فإنه قد أغفل تماماً دور التابعين في عملية القيادة.

- نظرية حاجات التابعين: وهي تركز على دور التابعين بصورة رئيسية وعلى أنهم المجتمع الذي يظهر من خلاله مدى نجاح القائد في القيادة عن طريق مدى إشباع حاجاتهم المادية والمعنوية. ويؤخذ على هذه النظرية أنها جعلت من أحد الأهداف الفرعية التي يسعى القيادي لتحقيقها - وهو إشباع حاجات التابعين - هدفاً رئيسياً شاملاً وأغفلت الأهداف الأخرى، كما أنها أغفلت خصائص القيادي وأغفلت أيضاً طبيعة المواقف.

- نظرية التفاعل: وتعتبر أشمل النظريات في تفسيرها للمفهوم الإنساني للقيادة. فهي تقوم على أساس التكامل بين مختلف العناصر المكونة لعملية القيادة من حيث تفاعل القيادي مع التابعين وتفاعله مع المواقف وتكيفه وفقاً لهما، وهذا المفهوم يفسر لنا فكرة التفاعل الاجتماعي القائم على العلاقات المتبادلة بين القياديين والتابعين وبين القياديين والأحداث والظروف السائدة في المجتمع. ونظراً لتعدد النظريات فإن للقيادة أنماطاً تعبر عما للقادة من نماذج نوضحها فيما يلي:

● القيادة الأوتوقراطية: وهي استبدادية وسلطوية. وهي «ذلك النمط الذي

يستند على السلطة القانونية المستمدة من الوظيفة⁽¹⁾ وهي تقوم على مجموعة من الأسس ذات التأثير السلبي على الأداء وعلى العلاقات داخل المشروع في أغلب الأحيان. ومن هذه الأسس: (الرقابة الصارمة القائمة على تصعيد الأخطاء، والجور في محاسبة المقصرين وسيادة أسلوب الحوافز السلبية - التحفيز بالتخويف - وإصدار الأوامر والمطالبة باتباعها دون مناقشة، واستحواذ القيادي على كافة المعلومات والبيانات والاستيلاء على أغلب المكاسب المادية والتمسك بحرفية اللوائح والقوانين وإهمال الجوانب الإنسانية في التعامل مع المرؤوسين. وتبعاً لهذا النمط فقد يكون القيادي مستبداً متعجرفاً وقد يكون مستبداً مع شيء من المرونة من آن لآخر لتفريغ كبت (القدور الكائنة حتى لا تنفجر) أي العاملين في المشروع.

● القيادة الديمقراطية (التشاورية): وهي ذلك النمط القائم على المقدرة الشخصية على التأثير في الآخرين وعلى إتاحة الفرصة للحوار مع الاستعداد لقبول الرأي الآخر إذا ثبتت صحته، وعلى حرية التصرف والمشاركة من جانب المرؤوسين في القيادة، وعلى المشورة قبل إصدار الأوامر أو اتخاذ القرارات، وعلى سيادة أسلوب الحوافز الإيجابية، وعلى الإشراف والرقابة الذاتيين، وعلى تطبيق سياسة الباب المفتوح.

وتبعاً لهذا النمط فقد يكون القيادي من ذلك النوع المشارك. وقد يكون تشاورياً. وبطبيعة الحال فإن النمط الثاني من القيادة يعتبر إيجابياً ومرغوباً فيه إذ إن هذه الإيجابية تعود بالنفع على المشروع وأفراده وتمتد آثاره إلى المجتمع كله.

(ب) القيادة في القرآن الكريم:

عرفنا مما سبق أن مفهوم القيادة الإدارية يتفاوت تبعاً لاختلاف الفكر الإداري ابتداء من مفهوم القيادة الدكتاتورية إلى مفهوم القيادة الديمقراطية التي تركز على العلاقات الإنسانية، فإذا يحوي القرآن الكريم من مفاهيم القيادة؟ مما لا شك فيه

(1) د. حدي أمين عبد الهادي، الفكر الإداري الإسلامي والمقارن - الأصول العامة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1984، ص 94.



أن القرآن الكريم لم يهمل هذا الموضوع لقوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [سورة الأنعام، الآية 38].

وكما نعلم فإن القرآن العظيم يأتي في كل الأمور بقواعد شاملة في آيات محكمات ثم يأتي لها بقواعد مفصلة. قال تعالى: ﴿ألر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ [سورة هود، الآية 1]، ﴿ولقد جنناهم بكتاب فصلناه على علم﴾ [سورة الأعراف، الآية 52]. ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾ [سورة الإسراء، الآية 12]. ولكننا لانصرافنا عن طريق الله تعالى ولبعدنا عن ذكره وعن كتابه ظننا أن العلم ومقومات الحضارات ومصالح الإنسانية والاتساق مع ظروف الزمان والمكان. كل ذلك يشرق من الغرب أو من الشرق وهذا وهم وافك وزيف كبير إذ إن العلم يشرق من فوق. من لدن عليم خبير.

ولقد أجمل القرآن العظيم نماذج وأنماط القادة في آية كريمة سهلة الفهم بسيطة التفسير في قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ [سورة فاطر، الآية 32].

ولما كانت عملية القيادة تتكون من عناصر هي:

- وجود عمل أو مشروع أو مؤسسة (كبرت أو صغرت).

- وجود من يعملون في هذا العمل أو المشروع، أي عاملين يمارسون بذلك الجهد.

- وجود قيادي يحرك العاملين لإتمام العمل على وجهه الصحيح.

لذا توجد شروط لا بد أن تتوافر في القيادي ليكون ناجحاً ويكون أسلوب قيادته أسلوباً محموداً. حيث إن القيادة في القرآن الكريم ليست لها نظريات متعددة، أو أساليب متنوعة مختلفة يصارع بعضها بعضاً أو يكمل بعضها بعضاً - إن إكمالاً حقيقياً أو إكمالاً تلفيقياً - كما في الفكر البشري. بل هي في القرآن الكريم نظرية واحدة، وطريقة واحدة، لأنها من الواحد الأحد. نجد لها شروطاً محددة مقسمة على عناصر القيادة. «العمل، العاملين، والقيادة أو القيادي».

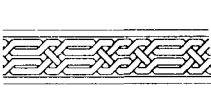
شروط القيادة:

هذه الشروط - مع كونها شروط - واجبات في نفس الوقت على طرف لطرف آخر وحقوق في نفس - الوقت أيضاً لطرف على طرف آخر. ولقد ورد ذلك في آيات كثيرة تنير البصيرة والبصائر وتهدى العقول والقلوب وتفصيل ذلك كما يلي:

1 - شروط نحو الله وهي ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين القيادي وبين الله تعالى، وبين العاملين - بتوجيه القيادي - وبين الله تعالى. . . وتتمثل بالمفهوم الإسلامي في علم الإدارة في الإيمان والتقوى وهذا شرط جوهري وأساسي في القيادي، إذ إن كل الشروط والعلاقات مرتكزات ومرتببات عليه، ونتيجة طبيعية له.

والإيمان يكون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وملائكته والقدر. . . الخ. . .

والتقوى هي الخوف من الله، واتقاء غضبه وعمل كل شيء طيب طلباً لمرضاته وثوابه، وتجنب كل شيء سيئ وخبيث رهباً من إغضابه وعذابه. فالإيمان والتقوى هما الركيزتان الأساسيتان اللتان قام عليهما بناء شروط المدير والقيادي الناجح المأمول. ونجد ذلك جلياً في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [سورة يونس، الآية 9]، آمنوا. . . وعملوا الصالحات، الإيمان ركيزة أساسية للعمل الصالح، ويقول: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [سورة الزمر، الآية 65]. . . عمل بدون إيمان بالله يكون تالفاً وفاسداً لا قيمة له في الدنيا ولا في الآخرة. . . ويقول تعالى: ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير﴾ [سورة البقرة، الآية 103] ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ [سورة الأعراف، الآية 96]. فالقيادي يكون مؤمناً تقياً، ويوجه العاملين إلى الإيمان والتقوى. ومجالات التقوى واسعة وبحرها خضم، فالفرد يتقي الله في نفسه وفي أهله وفي جيرانه، وفي عمله الذي بين يديه، وفي أصدقائه ومعارفه، وفي قوله وفعله. . . بحر التقوى إذن زاخر خضم.



2- شروط نحو النفس: وهي عن العلاقة بين القائد ونفسه، وبين العاملين وأنفسهم.. بتوجيه القيادي، وتمثل في علم الإدارة بالمفهوم الإسلامي في عدة أمور هي:

- العلم: وتوضيح ذلك أن على القيادي أن يزاول التعلم ويواصله، ويحضر العاملين عليه، فالعلم فيض من فيوض الله على الإنسان، وهو الميزة الوحيدة والفريدة التي ميز الله بها الإنسان على سائر مخلوقاته، أو على كثير منها بنص قوله تعالى في الآية السبعين من سورة الإسراء: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ فكثيرة هي تلك الصفات المشتركة بين الإنسان والحيوان والنبات والحشرات! أما العلم فلا. إذ إنه صفة يتمتع بها الإنسان ضمن قليل من مخلوقاته. ويحضر الله على العلم، ويحضر القياديين والمقودين، قال تعالى لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ [سورة النساء، الآية 113]، وقال تعالى: ﴿قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ [سورة البقرة، الآية 247]، فلا قيادة بدون علم، فالله علم رسوله محمداً علماً ربانياً تأهلياً لرسالته، وحين قال موسى نبي بني إسرائيل لهم: ﴿إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾ تدمروا وقالوا: ﴿أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال﴾ بين لهم نبيهم سبب اختيار الله طالوت، وهو أن الله زاده بسطة في العلم والجسم فالعلم قبل الجسم، وقبل المال.

والعلم علمان، دنيوي، وأخروي. وبالمعنى الإداري، علم عام: وهو ما يتعلق بمعارف القيادي بكافة العلوم الأخرى التي تفيده في عمله ومنها علوم الدين.

وعلم تخصصي: فيما يزاول القيادي الإشراف عليه وإدارته وقيادته.. والعلمان كلاهما مطلوبان وضروريان ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [سورة البقرة، الآية 282].

ثم إنه ليس بمستغرب ولا ببعيد عن الذهن أن أول آية قرآنية كانت حبل الصلة بين السماء والأرض آية اقرأ.. من سورة العلق: ﴿اقرأ باسم ربك الذي



خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴿

- الحفاظ على حقوقه : وتفصيل هذا البند أن على القيادي معرفة حقوقه لدى الآخرين وبالأخص العاملين الذين يرأسهم أو يقود حركتهم في العمل، ثم لا يضيع هذه الحقوق بالتهاون والتهوين من شأنها . . وكذلك لا يغالي فيها ويشتط .

وأول حقوقه، التي هي واجبات لدى الآخرين : طاعته . يقول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [سورة الشعراء، الآية 215]. إن هذه الآية الكريمة شاملة لنوعين من الطاعة :

النوع الأول : طاعة المؤمنين جميعاً . . مديرين وعاملين، طاعة كلية شاملة لله ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام .

النوع الثاني : طاعة الشعب لأولي الأمر، أي طاعة المرؤوسين لرئيسهم والعاملين لمديرهم والمقودين لقائدهم؛ إذا كان مطيعاً لله ورسوله . . وهذا يعني أن النوع الأول من الطاعة شرط وقيد للنوع الثاني منها . . فمن لم يطيع الله ورسوله فلا طاعة له على أحد .

وثاني حقوقه : الاستعانة بأرائه والاستئذانه بعلمه وطلب الفتوى والتوضيح والمعرفة منه . يقول تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [سورة النحل، الآية 43] . . ويقول سبحانه : ﴿ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [سورة النساء، الآية 83] .

وكما يتضح حق القيادي في طلب المعرفة والإرشاد والفتوى منه، يتضح في نفس الوقت واجبه في أن يرشدهم ويعلمهم بأمانة ما يطلبون .

وثالث حقوقه : حق الاحترام والتوقير من التابعين له، وهذا من الحقوق الهامة، فلا يسبقونه بقول دون إذن منه، ولا يغادرون اجتماعاً يرأسه إلا بعد استئذانه، كما أنه يجب عليهم أن يستدعوه وينادوه وينطقوا اسمه ويتحدثوا عنه بأسلوب يختلف تفضيلاً عن طريقة بعضهم لبعض في كل ذلك، كما أن عليهم - من



حقه - أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته عند الحديث والمناقشة . . وفي هذا الحق بين للقياديين . يقول الله تعالى : ﴿ ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [سورة الأنبياء، الآية 27] يقول تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه ﴾ [سورة النور، الآية 62] . . ويقول تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ [سورة النور، الآية 63] . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ [سورة الحجرات، الآية 2] . .

3 - شروط نحو الرفاق : ويقصد بها العلاقة بين القيادي ورفاقه في نفس الموقع أو الدرجة القيادية أو ما حولها من معاونين ومستشارين، سواء في نفس المؤسسة أو المشروع، أو ما يماثلها . وهي علاقة يجب أن تقوم على أسس من :

- التعاون على الخير : يقول الله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [سورة المائدة، الآية 2] .

- المشورة : وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ﴾ . [سورة الشورى، الآية 38] .

- تفويض السلطة الوظيفية جزئياً أو كلياً : ومعناه أنه على القيادي أن يفوض غيره في قيادة العمل أو الموقع تفويضاً جزئياً مع إشرافه على من فوضه، أو تفويضاً كاملاً بالقيادة، حسب ظروف المفوض وحضوره وعمله، وقد يفوض الصغير الكبير، فأمامنا الآن ثلاث حالات للتفويض ؛ فعن الحالة الأولى يقول الله تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [سورة ص، الآية 26] . . فهنا لم يقصر الله سبحانه الأمر على التفويض دون المتابعة والحساب منه سبحانه . وعن الحالة الثانية يقول تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [سورة النساء، الآية 80] . . ويقول تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ [سورة الحشر، الآية 7] ، وهذا

تفويض كامل من الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم بحيث تصير أوامره ونواهيه وإقراراته - وهذه هي السنة النبوية الشريفة - لها نفس قوة الأوامر والنواهي الإلهية. وعن الحالة الثالثة يقول تعالى في الآية الرابعة والأربعين من سورة غافر، من حديث الذي آمن من آل فرعون إلى قومه وهو يدعوهم وهم يهددون المؤمنين: «فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد». فهذا تفويض من عبد صالح إلى رب العالمين. الذي قبل هذا التفويض وكرمه في قوله تعالى: ﴿فوقاه سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ [سورة غافر، الآية 45] وهذا يعتبر تفويضاً ممن هو أدنى من الدرجة إلى من هو في درجة أعلى منه. وهذا النوع الثالث من التفويض لا يوجد في إدارة المشروعات إلا في حدود ضيقة جداً.

4- شروط نحو العاملين: وواضح أنها حول العلاقة بين القياديين ومن دونهم في الدرجات الوظيفية أو العملية، من التابعين على وجه العموم، وينبغي أن تقوم على عدة أسس:

- الأسوة الحسنة: وهي أساس جامع لكثير من الفضائل الإسلامية، المأمولة في بناء الشخصية القيادية. والأسوة الحسنة هي القدوة الطيبة. فالمطلوب أن يتأسى كل مسلم بالرسول وبالأنبياء عليهم الصلاة والسلام. يقول الله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾ [سورة الممتحنة، الآية 4]. ويقول: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ [سورة الأحزاب، الآية 21].

وإذا كان طلب التأسى بالرسول من كل المسلمين واجب فهو من القياديين أشد وجوباً، لأنهم الأسوة والقدوة الآن على كل المستويات، فإذا صلحوا صلح التابعون والمقتدون. وأكثر ما يكون التأسى - بالنبي عليه الصلاة والسلام - في حسن الخلق، حيث يصفه الله تعالى بقوله: ﴿وإنك لعل خلق عظيم﴾ [سورة القلم، الآية 4]. والأسوة الحسنة بالنبي العظيم في حسن خلقه تنبثق عنها فضائل جمة نذكر منها ما يلي:

* حسن المعاشرة والمعاملة: وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فيها رحمة من الله



لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴿ [سورة آل عمران، الآية 159] . . باللين، والرحمة، والعفو، وطلب المغفرة لهم من الله؛ أن يتولى طلب العفو - من الجهة أو الجهات الأعلى - لتابعيه . . ويستشيرهم في الأمر مناط البحث ثم الحسم بعد ذلك تاركاً الأمر كله لله .

ومن حسن المعاشرة: (الكلمة الطيبة) من القيادي إلى تابعيه، لما لها من أثر إيجابي قوي وسريع على العلاقات الطيبة بينهم، وعلى نتائج الأعمال التي يؤديها، قال تعالى: ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار * ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ [سورة إبراهيم، الآية 24-27]. ثم يقول تعالى: ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم ﴾ [سورة البقرة، الآية 263].

* الصدق: قال تعالى: ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾ [سورة مريم، الآية 50]. ويقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [سورة التوبة، الآية 119]. ويقول: ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ﴾ [سورة الأحزاب، الآية 24].

* الوفاء بالعهد والوعد: يقول الله تعالى: ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ﴾ [سورة الأنعام، الآية 152]. . ويقول: ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [سورة الأحزاب، الآية 23]. . ويقول: ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ﴾ [سورة الإسراء، الآية 34]. . ويقول: ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ [سورة المؤمنون، الآية 8، سورة المعارج، الآية 23]. . ثم يقول تعالى: « واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ﴾ [سورة مريم، الآية 54]. ولا ينكر أحد ما للصدق وما للوفاء بالوعد - إذا تحلى بهما القياديون - من آثار إيجابية على تحقيق الأهداف التي يسعى إليها كل منهم . ولا

يخفى على أحد ما يحدث من فساد وارتباك وتسيب وانحراف وخسائر جسيمة في العمل نتيجة للكذب والتضليل وعدم الوفاء بالوعد من جانب القياديين. لذا كان القرآن حريصاً على توضيح هذه المعاني بشكل محدد لا غموض فيه.

* الالتزام بما يأمرهم به: فعندما يصدر القيادي أمراً ويريد تعميمه على كافة العاملين فعليه الالتزام به قبلهم، حتى يضمن تنفيذهم له، يقول تعالى لمن يخالفون ذلك: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ [سورة البقرة، الآية 44].

* التواضع: ويتعلق في القيادي بعدم الكبرياء وعدم الغطرسة، حتى يكون قريباً من نفوس وقلوب تابعيه فيأمنون إليه ويطيعونه عن رغبة ورضى لا عن الرهبة والقهر والإجبار، التي يستمدها من سلطته الوظيفية، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ [سورة النجم، الآية 32]. ويقول تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ [سورة لقمان، الآية 18].

* الحلم وعدم الغضب: وفي هذا يدعو الإسلام القيادي أن يتحلى بالأخلاق الإسلامية فإنها تنهيه عن ارتكاب الأثام والجهالة والظلم، وتحضه على عدم اتخاذ قرارات أو إجراءات عند الغضب يقول الله تعالى: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ [سورة الشورى، الآية 37] ويقول تعالى: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ [سورة آل عمران، الآية 134].

* القصد والاعتدال: ويقصد بهما أن يكون القياديون متوسطين في كل تصرفاتهم التي تتعلق بعلاقاتهم بالعاملين. والقصد والاستقامة والتوسط في الأمور دون إفراط أو تفريط، ودون إسراف أو تقتير؛ وفي ذلك يقول تعالى: ﴿واقصد في مشيك﴾ [سورة لقمان، الآية 19]، والمشي هنا ليس على معنى المسير بالضرورة، فالمشي أيضاً هو النهاء والكثرة والزيادة، في المال، والتناسل، والمباشية من الإبل والغنم وما يشبهها. فهذه حالة اقتصادية. والمشي يعني أيضاً تحقيق أهداف



المشروعات عن طريق حسن تسييرها أي حسن إدارتها، وهذه حالة إدارية تخدم حالة اقتصادية. وواجب القيادي هنا أن لا يرهق العاملين من أجل زيادة في الإنتاج على حساب صحتهم وترفيهم ووجودهم في وسط أسرهم، وفي القصد والاعتدال أيضاً راحة لآلات والأجهزة والأبنية ومستلزمات الإنتاج الثابتة ﴿واقصد في مشيك﴾ [سورة لقمان، الآية 19].

* السبق إلى تحقيق الأهداف: ويعني أن يجاهد القيادي من أجل تحقيق أهداف المشروع أو العمل الذي يقوده. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات﴾ [سورة البقرة، الآية 148].

* القناعة والزهد في المغنم: وفي هذا يتجنب القياديون الرشوة والاختلاس واستغلال نفوذهم في الكسب غير المشروع، أو الاستحواذ على كل العلاوات والمكاسب الإضافية وصرف الحوافز لأنفسهم والاستئثار بأكثر ما في ميزانية الأجور وملحقاتها. وفي هذا يقول تعالى أمراً الرسل وهم قادة أهمهم: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾ [سورة المؤمنون، الآية 51].

العدل: وهو الأساس الثاني من الأسس التي تقوم عليها العلاقة بين القيادي والعاملين وهو أساس متين يجمع أيضاً ويضم بين جوانح مفهومه عدة فضائل إسلامية؛ يقول الله تعالى حول العدل نفسه كقيمة إسلامية: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً﴾ [سورة النساء، الآية 58]. . . ويقول الله سبحانه: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ [سورة الأنعام، الآية 152]. وبذلك يتم القضاء على المحسوبية والتحيز. . . يقول تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ [سورة المائدة، الآية 8]. وأوضح ما يكون العدل بين العاملين فيما يلي:

* تثبيت قاعدتي الثواب والعقاب: ويقول الله في هذا: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ [سورة فصلت، الآية 46]. . .

ويقول سبحانه أيضاً: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ [سورة النحل، الآية 97].

* العفو عن المسيء التائب: وفي ذلك إعطاء للفرصة الثانية وتجديد الثقة على أن يكون المسيء لأول مرة، وليس متعوداً ومعتاداً على ارتكاب الأخطاء والإساءات في حق العمل أو العاملين أن القياديين. ففي ذلك يقول سبحانه: ﴿إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾ [سورة الأنعام، الآية 54]. . وقال تعالى: ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ [سورة النور، الآية 5].

* التثبت من الوشاية قبل الحكم: وهذا عين العدل، فلا يصغي القيادي للنميمة ولا يقرب أصحابها، وعليه دائماً أن يستطلع الأمور بنفسه، ويتأكد مما سمع حتى لا يظلم أحداً، ولا يعطي الفرصة لأن يكيد العاملون بعضهم لبعض، حتى لا تشيع الفتنة ويسود العمل العداوة والبغضاء. وفي هذا يضع الله تعالى القاعدة في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبوا على ما فعلتم نادمين﴾ [سورة الحجرات، الآية 6].

* زرع الأمن والأمان وبذر الطمأنينة بينهم: وفي ذلك إحساس لهم بتأمين حاضرهم ومستقبلهم، ويكون ذلك بعدم الاعتماد على أسلوب التخويف والإزعاج والتهديد في كل وقت كسلاح للقهر وتنفيذ الأوامر، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ [سورة النساء، الآية 83]. فأبي الإحساسين خير للعمل والإنتاج؟ أن يذيعوا وينشروا ما أربعهم وأفزعهم به القيادي أو يكون إحساسهم أمناً وسعادة وصفاء نفس وهم يؤدون أعمالهم؟ يقول تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾ [سورة البقرة، الآية 125]. . ويقول سبحانه: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ [سورة النور، الآية 55].

* المساواة في الغرض والمكاسب والأعباء: ويكون بإعطاء كل ذي حق حقه،

وفي هذا يقول تعالى: ﴿ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ [سورة البقرة، الآية 281، سورة آل عمران، الآية 161]. . . ويقول سبحانه: ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾ [سورة الأنعام، الآية 132]. ويكون بالمساواة التامة، كقوله تعالى ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن﴾ [سورة الأنعام، الآية 112]. . . ويقول: ﴿كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها﴾ [سورة الأنعام، الآية 123]. . . ويقول: ﴿ولكل أمة أجل﴾ [سورة الأعراف، الآية 34]. . . ويقول: ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ [سورة هود، الآية 3].

- الإنماء المتصل: وهذا هو الأساس الثالث الذي تقوم عليه العلاقة بين القيادي والعاملين. ويكون بإنمائهم دينياً وعلمياً وعقلياً وخلقياً ومهنياً وصحياً بالتثقيف والتدريب والنصح والإرشاد والدعوة بالحوار والجدل باللين والحسنى، ويقول الله تعالى في ذلك: ﴿فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر﴾ [سورة الغاشية، الآية 21-22]. . . ويقول تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [سورة النحل، الآية 125]، ولا يخفى على أحد أن الدعوة للبناء وتحقيق أهداف المشروعات النبيلة، وأهداف المجتمع هي دعوة في سبيل الله لأنها دعائم المجتمع المسلم وهي تحافظ على أفراده.

- المشورة: فيما يُحْصُهُمُ ويهمهم ويتصل بهم خاصة، أو بهم بالعمل في أمر من الأمور، وفي هذا يقول تعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ [سورة الشورى، الآية 38]. . . ويقول تعالى: ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ [سورة الشورى، الآية 159]. وتكرار المشورة هنا يعني أنها شرط أساسي في علاقاته مع رفاقه وفي علاقاته مع العاملين أيضاً.

5- شروط نحو العمل: وهي عن علاقة القيادي بالعمل عملاً وحرقةً ومهنةً وفناً من فنون الأداء في الحياة. وكما أن علاقة القيادي بالله يجب أن تكون دائمة وقوية الأربطة، وكما يجب أن تكون علاقته برفاقه علاقة مودة وتفاهم وتكامل، وعلاقته بمن يليه من العاملين علاقة رحمة ومودة وتفاهم، وكلها علاقات ترابط

وتنوير فكذاك يجب أن تكون علاقته بالعمل ومتعلقاته جميعاً، علاقة رضا واقتناع وتآلف نفسي وعلمي ويتمثل ذلك في:

* الأمانة: حيث إن العمل أمانة فلا تعمل عملاً وأنت كاره له، لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ [سورة الأنفال، الآية 27]. . . ويقول: ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ [سورة الأنفال، الآية 58]. . . ويقول تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ [سورة المؤمنون، الآية 8]. . . وسورة المعارج، الآية 32].

* حسن اختيار العاملين: ويؤيد هذا قول الله تعالى: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ [سورة القصص، الآية 26].

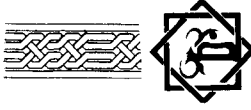
* الجهاد لتحقيق الأهداف: للحفاظ على مظهر العمل وسمعته، وذلك في إطار مراقبة الله تعالى في العمل، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ [سورة التوبة، الآية 105].

وبعد،

فإن هذه شروط وعلاقات وأواصر مطلوبة إسلامياً في بناء شخصية القيادي المسلم المؤمن في المشروعات، لا يختلف على كمالها عاقلان لضمأن وجود هذا القيادي الناجح الذي يتحمل المسؤولية. وما أقومها من شروط وعلاقات كاملة لو اتبعها القياديون في مختلف مواقع المسؤولية لكانت نتائج أعمالهم طيبة يرضى عنها وعنهم الله والناس.

ولقد وضع الله سبحانه وتعالى هذه الشروط منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، فإذا توافرت جميعاً في القيادي كان نموذجاً إيجابياً. فالأصل في نماذج القيادة إذن، أن تكون إيجابية الخير دائماً وكل نسق منها سلبي الخير أو إيجابي الشر ينبغي أن ينحى عن موقعه فوراً ولا تعطى له الفرصة بعد ذلك لأن يحتل أي موقع من مواقع المسؤولية.

وقد يعترض البعض بقولهم: إن هذا البحث يخلط بين شخصيتين منفصلتين هما شخصية الرسول محمد عليه الصلاة والسلام والرسول من قبله عليهم السلام



- وشخصية أي مسؤول في مواقع العمل والإنتاج، وهذا الخلط بين الشخصيتين قياس خاطيء!!

والرد على هذا الاعتراض يكون بما يلي:

1- أن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - كانوا جميعاً قادة وموجهين لأمتهم وشعوبهم.

2- أنهم قدوة لنا في أمور الدين والدنيا وبالأخص رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام.

3- أن حياتهم وسيرهم الشريفة جميعاً شريعة ومنهاجاً نعيش على هدى منها.

4- أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كان خلقه القرآن، وعلى كل مسلم بالضرورة - في أي موقع من مواقع المسؤولية وبدون أي مكابرة أو غطرسة أو عناد - أن يكون خلقه القرآن إذا كان يريد أن يعيش مسلماً مؤمناً وأن يحشر يوم القيامة في زمرة المسلمين المؤمنين وتحت لواء النبي والرسول الأعظم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

2- التحفيز:

(أ) التحفيز في الفكر الإداري:

إن أداء الفرد في أي عمل هو انعكاس لعاملين هامين:

أحدهما: طبيعي ذاتي وهو القدرة على العمل..

ثانيهما: مكتسب وهو المعلومات.. أي أن:

$$\text{الأداء} = \text{القدرة} + \text{المعلومات}$$

لكن هل يبذل الفرد دائماً كل طاقته ويستخدم كل معلوماته في أداء عمله؟ بالطبع لا. ومن هنا لزم البحث عن عامل آخر يساعد على تحقيق ذلك لرفع مستوى الأداء. ولقد وجد علماء الإدارة أن التحفيز هو ذلك العامل الذي يبحثون عنه والمقصود به: حث العاملين على تحسين الأداء لتحقيق أهداف المشروع مع الاقتصاد

في الوقت والتكلفة . . أي أن الأداء يمكن تحسينه بإدخال عامل التحفيز وتفاعله مع
عوامل القدرة والمعلومات بحيث إن :

أداء أفضل = (القدرة + المعلومات) التحفيز

ومع ثبات عاملي القدرة والمعلومات لدى أي فرد عند مستوى معين في أغلب
حالاته فإنه كلما زادت فاعلية التحفيز تحسن الأداء بصورة أكبر وهذا هو أحد
الأهداف الرئيسية للإدارة والتحفيز يعتبر عملية متكاملة تتضمن :

- التعرف على حاجات الأفراد .
- الحوافز المناسبة لإشباع كل حاجة على حدة .
- القواعد المنظمة لمنح هذه الحوافز .

وأهم عناصر التكامل في العملية التحفيزية هما عنصر الحافز والحاجة وهما
يشكلان ما يعرف باسم «الموقف التحفيزي» .

إن الحافز وحده لا يكفي لحث الفرد على بذل جهد أكبر لتحسين الأداء بل
يجب التعرف قبل ذلك على حاجة الفرد التي يمكن إشباعها بحافز معين . ولما كانت
حاجات الفرد كثيرة - حيث حددها علماء النفس بثلاث حاجات رئيسية هي
الحاجات الطبيعية والحاجات النفسية والحاجات الاجتماعية - فإن الحوافز هي
الأخرى تتعدد تبعاً لاختلاف الحاجات عند الإنسان . .

وهكذا فإن الإدارة الناجحة هي التي تعد نظاماً جيداً للحوافز يرتبط
بالحاجات المختلفة للعاملين، ثم تربط إشباع هذه الحاجات لدى العاملين - عن
طريق الحوافز المناسبة - بتحسين الأداء ورفع مستوى الجودة في الخدمات والإنتاج .

وللحوافز مداخل كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

- التوسع في أنظمة الأجر التشجيعي والمكافآت .
- توفير الاستقرار للعاملين .



- إعداد حوافز معنوية كشهادات التقدير ولوحة الشرف .
- ضرب المثل للمرؤوسين ليكون القيادي قدوة .
- استخدام أسلوب التوجيه بدلاً من أسلوب الأمر .
- إعداد برامج للخدمات المختلفة للعاملين .
- إعداد سياسة عادلة للاختيار والترقية .
- إشعار المرؤوس بأهميته وتشجيع روح المبادرة فيه .
- الاهتمام بشكاوى وتظلمات العاملين وحل مشاكلهم داخل العمل وخارجه ما أمكن .

وهكذا نجد أن التحفيز له دور جوهري في رفع الروح المعنوية وتحسين مستوى أداء العاملين مما يساعد بالتالي على تحقيق أهداف المشروع . وهذا يؤكد أهمية التحفيز كعنصر هام من عناصر التوجيه .

(ب) التحفيز في القرآن الكريم :

يقوم التحفيز في القرآن على قاعدتين هما الترغيب ثم الترهيب عملاً بقوله تعالى : ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ [سورة فصلت، الآية 46، وسورة الجاثية، الآية 15].

ولقد اهتم القرآن اهتماماً كبيراً بوضع قواعد للتحفيز . فهو يرتبط بالعمل . كما أن الحوافز في القرآن تعدد هي الأخرى وترتبط ارتباطاً وثيقاً بإشباع الحاجات الإنسانية المختلفة⁽¹⁾ .

وهكذا ارتبط إشباع الحاجات بالأداء مستخدمين في ذلك الحوافز لتشير في الإنسان روح المثابرة والجد للوصول إلى أهدافه . وفي ذلك يشبع حاجاته وتحقق أهداف المجتمع عن طريق تحقيق أهداف مختلف المشروعات التي تعمل فيه ويتكون منها ما يسمى اليوم بالاقتصاد القومي .

(1) وهي الحاجات الطبيعية مثل المأكل والمشرب، والحاجات النفسية مثل الاحترام والحب والتقدير، والحاجات الاجتماعية مثل الأمان والمركز الاجتماعي . . الخ .

والخوافز في القرآن نوعان: إيجابية وسلبية. ويعبر عن النوعين عادة بكلمة جزء ثم يقرن بنوعه إيجابياً أو سلبياً..

1- والجزاء الإيجابي في القرآن الكريم يمنح للعامل لقاء عمله الصالح الجيد وهو عادة ما يكون مضاعفاً وقد يصل التضاعف إلى عشرة أضعاف.. إن ذلك يشجع العامل على الاستزادة من العمل الجيد وبذل الجهد الأكبر حتى يشبع أقصى قدر من حاجاته وبذلك يحقق للمجتمع أهدافه في نفس الوقت.

2- أما الجزاء السلبي فهو الذي يعاقب به الإنسان الذي يسيء في عمله ولكن دون مضاعفة الجزاء حيث إن السيئة بمثلها. إن ذلك له حكمة بالغة تتمثل في إعطاء مهلة للمسيء حتى يرجع عن غيبه ويحاول - مسرعاً - أن يصلح من نفسه ويحسن في أداء عمله حتى ينعم بالجزاء الإيجابي وهو مضاعف كما ذكرنا.

ونذكر فيما يلي من آيات قرآنية ما يؤكد اهتمام القرآن بعملية التحفيز وذلك في قوله تعالى: ﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور﴾ [سورة الشورى، الآية 23]. وقوله تعالى: ﴿ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ [سورة الأنعام، الآية 160]. وقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾ [سورة القصص، الآية 84].

ومثل هذه الآيات آيات كثيرة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم. ولقد تعددت الخوافز وتنوعت في القرآن لكنها تندرج جميعها تحت نوعين أساسيين هما:
الخوافز الفورية: التي يحصل عليها الإنسان في حياته.

والخوافز المؤجلة: التي تتحقق للإنسان يوم لقاء ربه ويوم القيامة. وحتى العقوبات التي توقع على المسيء في عمله نجد منها ما هو فوري يراه الإنسان في حياته ومنها ما هو مؤجل إلى يوم القيامة. ونتحدث الآن في هذين النوعين بتفصيل أكبر على هدى من القرآن الكريم.

لقد تحدث القرآن في الحوافز الفورية التي يتقاضاها الإنسان عادة في عمله . من هذه الحوافز ما يلي:

● الأجر العادل في الدنيا: وهو الأجر بمعناه الشامل الذي يتضمن ما يصرف نقداً وما يقدم في صورة مزايا عينية من خدمات مختلفة للعاملين وما يمنح لهم من شهادات تقدير وأنواط ونياشين وأوسمة . . الخ وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿قل يا عباد الله الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفي الصابرون أجورهم بغير حساب﴾ [سورة الزمر، الآية 10]. ويقول تعالى أيضاً: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [سورة الزلزلة، الآية 7-8].

● الدرجات المختلفة التي تمنح للمجدين: في هذا يقول تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾ [سورة الأحقاف، الآية 19]. . ويقول أيضاً: ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾ [سورة الأنعام، الآية 132].

● إعطاء الفرصة للتدريب: لانتقاء المعارف ورفع مستوى الأداء للعاملين وفي هذا يقول تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [سورة طه، الآية 114]. ويقول أيضاً: ﴿اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [سورة العلق، الآيات 3-4-5].

وليس بالكتابة والقراءة وحدهما يكون التعلم والتدريب، ولكن بالبحث والتنقيب أيضاً وفي هذا يقول تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ [سورة يونس، الآية 101].

وعلى القيادي أن ينتقي المعارف التي تفيد والمعلومات التي تساعد أكثر من غيرها على تنمية مهارات الأفراد ورفع مستوى أدائهم وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ [سورة الزمر، الآية 18].

● الاعتراف والتقدير لمن يحسن الأداء: وفي هذا يقول تعالى: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ [سورة البقرة، الآية 42]. ويقول أيضاً: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ [سورة الكهف، الآية 30].

● إشراك العاملين في الإدارة وتعميم مبدأ الشورى: حتى يضمن القيادي تنفيذ القرارات في سهولة ويسر. وفي هذا وردت آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر، فإذا عزمته فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ [سورة آل عمران، الآية 159]. وقوله تعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم وما رزقناهم ينفقون﴾ [سورة الشورى، الآية 38].

● صرف الحوافز بسرعة إلى مستحقيها ليستفيدوا بها في الوقت المناسب: وفي هذا يقول تعالى: ﴿أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾ [سورة آل عمران، الآية 199].

- العقوبات الفورية: أما بالنسبة للعقوبات الفورية في القرآن الكريم فهي كثيرة ونذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ [سورة المائدة، الآية 41]. وقوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [سورة طه، الآية 124]. وقال تعالى أيضاً: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله﴾ [سورة المائدة، الآية 38].

ونلاحظ فيما سبق من آيات أن العقوبة في الدنيا تتبعها بالضرورة عقوبة يوم القيامة. لكن الله واسع المغفرة لذلك فهو يعطي المهلة لمن يسيء في حالات كثيرة بالعمد في المرة الأولى ثم يعاقبه إن أساء بعد ذلك. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن عفى وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ [سورة الشورى، الآية 40]. ويقول تعالى: ﴿ومن عاد فينتقم الله منه، والله عزيز ذو انتقام﴾ [سورة المائدة، الآية 95].

2- الحوافز والعقوبات المؤجلة:

- فالحوافز هي التي وعد الله بها عباده المحسنين في أعمالهم في الدنيا - ولكنه



تعالى سيحققها لهم يوم القيامة. وهي تتمثل في دخول الجنة والتمتع بما فيها من نعم مثل المساكن الطيبة، والنخيل والأعناب والأنهار الجميلة والخور العين وكل ما يحلم به الإنسان من متعة حسية ومعنوية.

- أما العقوبات المؤجلة فهي التي توقع يوم القيامة على المسيئين جزاء ما اقترفوه من مساوئ وجرائم في حياتهم الدنيا.

وفي هذين المعنيين يقول الله تعالى: ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويمجزهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ [سورة الزمر، الآية 35]. ويقول تعالى أيضاً: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ [سورة النجم، الآية 39-41]. ويقول تعالى أيضاً: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار، هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ [سورة النمل، الآية 89-90].

ويصف الله تعالى جزاء العاملين يوم القيامة بقوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوثنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾ [سورة العنكبوت، الآية 58].

فما أحكمه من نظام للحوافز. وما أعمقه أثراً في نفوس العاملين.

فهو خال من الظلم، قائم على إتاحة الفرصة ومنح المهلة، يركز على العدل، شامل للحاضر والمستقبل، قائم على الإيمان بالعمل الذي هو سبيل الإنسان لتحقيق كل أهدافه في الدنيا وفي الآخرة بفضل الله تعالى على الإنسان في كل شيء.

3 - الاتصال:

(أ) الاتصال في الفكر الإداري:

إن الاتصال الفعال عنصر هام في عملية التوجيه. فهو يسهل من الارتباط بين كافة أفراد المشروع وبين كافة أقسامه وإداراته بحيث يجعله وحدة متكاملة.

إنه يؤثر تأثيراً مباشراً في نجاح العملية الإدارية بصفة عامة حيث إنه يسهل

عملية التخطيط، ويعكس بساطة التنظيم، ويُسرّه ويساهم في تسهيل مهمة الرقابة: إنه يؤثر أيضاً في السلوك الوظيفي للعاملين ويساعد كثيراً في عملية توجيههم التوجيه الرشيد نحو تحسين الأداء.

وبصورة أكثر تحديداً فإن الاتصال عن طريق قنواته المختلفة المنتشرة - كالمشاريين - في كل اتجاه داخل المشروع يعتبر وسيلة جوهرية هامة لنقل كافة المعلومات والتعليقات والتوجيهات والقرارات بين كافة المستويات الإدارية في المشروع.

إن هذا الاتصال يتم بوسائل كثيرة. فهو يتم شفاهة، وكتابة، وبالإيماءات والإشارات. وهو يكون بطريقة مباشرة وبطريقة غير مباشرة. وبطريقة مقصودة وغير مقصودة.

وقد عرف البيوت جاك⁽¹⁾ الاتصال بأنه «يشمل مجموع المشاعر والرغبات والاتجاهات، المنقولة بصفة مباشرة أو غير مباشرة وسواء بقصد أو بدون قصد».

وللاتصال في المشروع خطوط وقنوات يمكن أن نميزها في نوعين رئيسيين هما: قنوات الاتصال الرسمية والقنوات غير الرسمية.

وهي التي يتم فيها الاتصال عبر قنوات محددة مرتبطة بالهيكل التنظيمي للمشروع، وفي صورة اجتماعات دورية ولجان ومكالمات تليفونية، ونشرات ومجلات. وهي تنقسم إلى عدة اتجاهات. منها الاتصال الرأسي، والاتصال الأفقي، وشبكات الاتصال المختلفة.

- الاتصال الرأسي: وله بدوره اتجاهات:

الاتجاه الصاعد من أسفل التنظيم وتنقل من خلاله المعلومات والشكاوى والاستشارات... الخ.

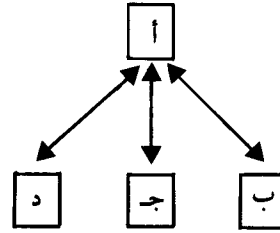
والاتجاه الهابط من أعلى التنظيم وتنقل من خلاله القرارات والتعليقات والأوامر والتوجيهات... الخ.

(1) المرجع الوارد بصفحة رقم 6، ص (235).

- الاتصال الأفقي : وهو الذي يتم على مستويات متشابهة سواء بين إدارات أو بين أقسام، وهكذا.

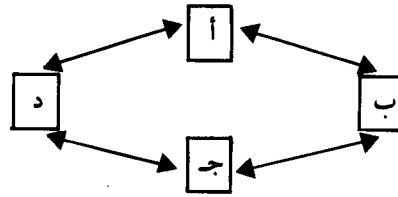
- شبكات الاتصال : وهي تنقسم بدورها إلى عدة أنواع نذكر منها:

● شبكة القوة الموجهة : هي التي يتحكم القيادي الأعلى للمشروع في كل المعلومات الخاصة بها. فلا يتم أي اتصال بين الأفراد على أي مستوى إلا عن طريقه ليكون لديه علم به. ونوضح فكرتها في الشكل رقم (1).



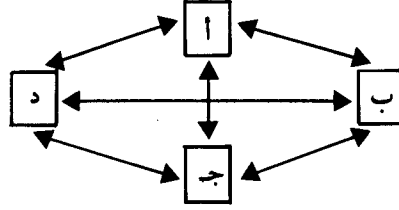
شكل رقم (1)

● شبكة المسار الدائري : وهي التي يتم الاتصال من خلالها في حدود دائرة مغلقة تنحصر في أفراد متجاورين ذوي صفة معينة في المشروع. ونوضح فكرتها في الشكل رقم (2).



شكل رقم (2)

● شبكة المسار الحر: وهي التي يجد الفرد فيها نفسه حراً تماماً في الاتصال بمن يشاء في أي موقع بالمشروع. ويوضح فكرتها الشكل رقم (3).



شكل رقم (3)

2- قنوات الاتصالات غير الرسمية:

هي التي يتم الاتصال فيها بين أفراد المشروع بسبب وجود المصالح المشتركة بينهم داخل المشروع وخارجه. ولهذا النوع من الاتصالات وجهان:

الأول: يتعلق بالعمل الرسمي وفيه يتم الاتصال خارج دائرة التنظيم المعتادة للمشروع مما يساعد على إنجاز العمل بسرعة أكثر.

والثاني: لا يتعلق بالعمل الرسمي ويتم فيه الاتصال بين الأفراد داخل أوعية المشروع ولكن لدراسة ومناقشة أمور خاصة بحياتهم ونشاطاتهم خارج المشروع وهذا الوجه من الاتصال يساعد كثيراً على توطيد العلاقات الشخصية بين أفراد المشروع مما يساعد على إنجاز العمل الرسمي أيضاً بيسر.

وهكذا نجد أن الاتصال على درجة كبيرة من الأهمية شأنه في ذلك التحفيز والقيادة باعتبار الثلاثة أهم مكونات وظيفة التوجيه في أي مشروع. وهناك تكامل واضح فيما بينهم مما يساعد الإدارة - لو أحسنت في الأداء - أن تجعل من وظيفة التوجيه قوة دافعة لكافة العاملين بالمشروع نحو تحقيق أهدافه بكفاءة عالية وفاعلية كبيرة.



(ب) الاتصال في القرآن الكريم :

كما سبق أن عرضنا، فإن مسؤولية الموجه في إعداد الوسيلة المناسبة التي تسهل له الاتصال بمن يعملون معه تعتبر مسؤولية هامة، لأن وسائل الاتصال السهل من الأسباب المباشرة في عملية التوجيه على أي مستوى من المستويات وفي أي مجال من مجالات النشاط والعمل الوطني.

ولقد أحاط القرآن بهذا الأمر وبينه في وضوح تام. حيث عرض مختلف الوسائل التي يتصل بها الله برسله، وبالناس.

يقول تعالى: ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون، الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾ [سورة القصص، الآيات 51-52-53].

توضح هذه الآيات أن مسؤولية خلق وسائل الاتصال المناسبة من عمل الموجه حسبما أقر الله في العبارة الأولى - كما توضح أن هناك وسيلتين للاتصال هما الوسيلة الكتابية في العبارة الثانية - والوسيلة الشفهية كما توضح العبارة الثالثة.

ولقد كان هذا الاتصال بوسيلتيه يتم بطريقة مباشرة وبطريقة غير مباشرة. وفيما يلي سنوضح - بالبرهان القرآني - هذه الوسائل والطرق لتكون دليلاً على أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً وبينه كله في القرآن الكريم: ﴿وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ [سورة النحل، الآية 89].

1 - الاتصال بين الله والرسول :

كان سبحانه وتعالى يتصل برسله إما مباشرة أو عن طريق الوحي برسله من الملائكة وأشهرهم سيدنا جبريل عليه السلام وكان يتم هذا الاتصال تكليماً بالحديث المباشر وبالكتابة عندما كان ينزل آياته على رسله عن طريق «جبريل» ليمليها عليهم ويرددها لهم حتى يحفظوها.

- ففي الاتصال المباشر يمكننا أن نستعرض مجموعة من الآيات التي تثبت أن الله تحدث مع بعض الرسل بصورة مباشرة. يقول تعالى: ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم

المجيبون، ونجيناها وأهله من الكرب العظيم ﴿ [سورة الصافات، الآية 75-76].
وقال أيضاً: ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين﴾ [سورة الشعراء،
الآية 10]، وأيضاً: ﴿... وكلم الله موسى تكليماً﴾ [سورة النساء، الآية 164].
ثم: ﴿وناديناها من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾ [سورة مريم، الآية 52].

وفي نفس هذا المعنى أيضاً توجد مجموعة من الآيات للحوار الرباني مع النبي
موسى - عليه السلام - في الآيات من (11 إلى 46) من سورة طه الذي انتهى بقوله
تعالى: ﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾. على أنه يجب أن يكون مفهوماً أن
الحديث المباشر هنا لا يعني أن الرسول - الذي يناديه أو يكلمه الله - يرى الله جهره
مثلما نرى بعضنا بعضاً، ولكن الله تعالى في هذا سبيل وضوحها في قوله تعالى: ﴿وما
كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما
يشاء إنه عليّ حكيم﴾ [سورة الشورى، الآية 51].

كما أن الاتصال المباشر فقد كان يتم دائماً عن طريق رسل الله من
الملائكة كما يشير إلى ذلك الجزء الأخير من الآية السابقة: ﴿أو يرسل رسولاً فيوحى
بإذنه ما يشاء﴾ ولقد أرسل الله إلى أنبيائه إبراهيم ولوط - عليهم السلام - رسلاً من
الملائكة حيث يقول تعالى: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم * إذ دخلوا عليه فقالوا
سلاماً قال إنا منكم وجلون * قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم﴾ [سورة
الحجر، الآيات 51-52-53]. ويقول تعالى أيضاً: ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون، قال
إنكم قوم منكرون، قالوا بل جنناك بما كانوا فيه يمترون، وأتيناك بالحق وإنا
لصادقون﴾ [سورة الحجر، الآيات 61-62-63-64].

وأرسل الله سيدنا جبريل إلى السيدة مريم في المحراب وهي تعبد الله حيث
قال تعالى: ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً،
قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً
زكياً﴾ [سورة مريم، الآيات 17-18-19].

ثم عندما أنزل الله رسوله جبريل على محمد - عليه الصلاة والسلام - في غار
حراء وهو ينتظر الحقيقة ليبلغه الرسالة في قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي

خلق... ﴿ [إلى نهاية سورة العلق]. كما يقول تعالى أيضاً: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين﴾ [سورة الشعراء، الآيات 193-194-195].

توجد وسيلتان يتم بهما هذا الاتصال أولاهما: اتصال مباشر والآخر اتصال غير مباشر.

فمن المعلوم أن الإنسان يمكنه أن يتحدث إلى الله في أي وقت وبدون أي وسيط وبلا أدنى عوائق - سواء أثناء الصلاة، أو بالدعاء خارج الصلاة وفيه يطلب الإنسان ما يشاء من ربه.

إن هذا الاتصال يتم دائماً من جانب الإنسان - بصورة شفوية أو بمناجاة قلبية ولقد قال تعالى مؤكداً ذلك لرسوله الكريم: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ [سورة البقرة، الآية 186].

فالله إذن محيط بعباده يراهم ويسمعهم ويلبي دعواتهم في أي وقت وفي أي مكان: ﴿إن الله سميع بصير﴾.

فقد كان يتم عن طريق رسل الله من البشر - مثل إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليه السلام - حيث كانوا يدعون الناس شقاهاة أو يرسلون رسلهم ليبلغوا الرسالة ويرعون حُكَّام البلاد البعيدة وشعوبها للدخول في الدين الجديد.

وكانت هذه الرسائل شفوية أو مكتوبة. ولقد ترك الرسل كتباً تهدي البشرية إلى الطريق الحق وتنير لها حياتها إلى يوم القيامة وتلك الكتب تعتبر وسائل اتصال الرسل بالشعوب بطريقة غير مباشرة على لسان رجال الدين وأولي العلم. ومن هذه

الكتب السماوية يوجد الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن. وفي هذا يقول تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [سورة البقرة، الآية 285].

ويمكن أن يتم الاتصال بين الله وبين الناس بطريقة غير مباشرة عن طريق الملائكة ومنهم سيدنا جبريل متى شاء الله ذلك. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده، أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ [سورة النحل، الآية 2].

وفي القرآن الكريم آية تؤكد نزول الملائكة بطريقة دورية مؤكدة في كل عام مرة على الناس في شهر رمضان في ليلة القدر. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ [سورة القدر، الآية 3-4-5].

وهكذا نجد أن الاتصال بين الله ورسله وبين الله والناس وبين الرسل والناس ميسر وسهل ومستمر، ويتم بوسائل عديدة.

إن ذلك كان سبباً مباشراً لوصول الدعوة إلى البشرية وانتشارها من أقصى الأرض إلى أقصاها واستمرارها على مر الزمن قوية هادية.

رابعاً: الاستنتاجات والخاتمة:

يتضح مما عرضناه في صفحات هذا البحث أن التوجيه بني في القرآن على أساس اختيار الله لمن يصطفيهم من الملائكة والناس ليقوموا بهذا العمل الخطير في حياة الشعوب. ألا وهو توجيه الإنسانية إلى طريق الخير والرشاد. ويقول تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير﴾ [سورة الحج، الآية 75]. ومهمة الرسل تكمن بصفة رئيسية في التعليم والتوجيه. وكانوا قدوة حسنة دائماً في كل كلماتهم وفي كل أفعالهم.

ولقد عرضنا أيضاً أن التوجيه يرتكز بصفة أساسية على ثلاثة عناصر هي القيادة والتحفيز والاتصال.

وفي القيادة نجد أن أفضل النماذج التي يحتذى بها هي النماذج الإيجابية التي تسلك سلوكاً يراعي التوازن الدائم بين مطالب الدين والدنيا. وبالتالي تهتم دائماً بالجانب الإنساني باعتباره أساس كل عمل ناجح بناء.

أما التحفيز فهو يبني في القرآن الكريم على أساس الربط بين الأداء وإشباع الحاجات وأعد الله لذلك مجموعة من الحوافز التي يناها الإنسان بصورة فورية ومنها ما يبقى مؤجلاً عند الله، يلقاه المرء محفوظاً له يوم القيامة.

وفي الاتصال وجدنا القرآن واضحاً ميسراً في عرض أساليبه المتعددة سواء أكان هذا الاتصال بين الله ورسوله أو بين الله والناس أو كان بين الرسل والناس ولقد رأينا أنها جميعاً لم تخرج عن كونها وسائل تكليمية وشفهية ومكتوبة مباشرة وغير مباشرة ولقد وجدنا أن معاني الآيات تنصرف إلى تأكيد حقيقة هامة هي أن الاتصال بين الله والرسل والناس كان ولا يزال وسيظل مستمراً لا ينقطع إلى يوم القيامة. وهذا من أجل تحقيق أهداف عديدة من أهمها - إثبات الوجود الدائم لله سبحانه وتعالى واستمرار متابعتة لعباده في أدايتهم واجباتهم الدينية والدنيوية - وتسجيل كل أعمالهم في صحف ليحاسبهم عليها يوم القيامة - وكذلك لضمان استمرار طاعة العباد لربهم والتزامهم بقواعد الدين وقيمه السامية.

إن هذه الأهداف لجديرة بأن تكون مثلاً علياً للقياديين في كل زمان ومكان - بأن يجعلوا من الاتصال بمختلف أساليبه وسيلة لتحقيق الأهداف التالية على وجه التحديد:

- الحضور الدائم للقياديين ومتابعتهم لأداء العاملين معهم وتسجيل أعمالهم ومحاسبتهم عليها.

- التحقق دائماً من ولاء العاملين لقاديتهم عن رغبة وثقة ورضا واقتناع كامل بحسن قيادتهم.

فماذا جاء به بنو البشر في مسألة التوجيه في مجال الإدارة؟

إنهم يفسرون ويفصلون وينسبون الفضل إلى أنفسهم ولا يشيرون إلى المرجع الأصلي الشامل وهو الله سبحانه وتعالى وكتابه القرآن العظيم الذي حوى كل ما جاء به علماء الإدارة من قواعد ونظريات ولكن في شمول وإيجاز معجز لا يقدر عليه إلا الله الخالق الموجه الأعظم الذي أنزل القرآن وأحكم آياته ويحفظها في منأى عن التحريف إلى يوم القيامة حيث يقول تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [سورة الحجر، الآية 9].

وبنظرة سريعة ومتفحصة في نفس الوقت سنجد أن القرآن الكريم هو النظرية وما جاء به الفكر الإداري الإنساني هو التطبيق العملي لهذه النظرية بما يتفق مع كل بيئة ومقتضيات حضارتها وعصرها الذي تعيش فيه مع ما اتضح في تطبيقهم من قصور حيث يلاحظ أن الفكر الإداري قد عرض كثيراً من نماذج القيادة الدكتاتورية - مثلاً - وذكر لها مزايا وعيوباً. بينما تحدث القرآن عن مثل هذه النماذج من القياديين في جملة واحدة في إحدى آيات القرآن⁽¹⁾ حيث قال تعالى: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ وهذا دليل على أن الله لا يريد أن تستمر هذه النماذج من القياديين في مواقعها ويجب دائماً استبدالهم بغيرهم من القياديين الإيجابيين الذين ذكرهم الله في نفس الآية بقوله تعالى: ﴿فمنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات﴾.

على أساس هذا المنهج القدسي العظيم للتوجيه - المتمثل في اختيار الصفوة ليقودوا الإنسانية في مختلف المواقع وفي مختلف الأنشطة - قامت دولة إسلامية عظيمة مترامية الأطراف ومرهوبة الجانب.

وعلى أساس هذا المنهج أيضاً، نجحت المشروعات المختلفة في هذه الدولة في تحقيق أهدافها بسواعد أبنائها ولصالحهم أفراداً وجماعات.

(1) ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ [سورة فاطر، الآية 32].

ونسأل الله أن تعود هذه الأمة إلى قواعد دينها الحنيف - الأمر الذي تنادي به كل الأصوات المسلمة المخلصة في العالم - لتنهل منه ما يعينها على أن تنهض من جديد وتعود إلى سابق مجدها لتقود العالم إلى بر الأمان . .

وإنه على ما يشاء قدير
هذا وبالله التوفيق

المراجع العربية

- 1 - القرآن الكريم .
- 2 - د. زكي محمود هاشم، الإدارة العلمية، وكالة المطبوعات الكويت، 1979 م .
- 3 - د. حمدي مصطفى المعاز، وظائف الإدارة، دار النهضة العربية، القاهرة 1984 م .
- 4 - د. حمدي أمين عبد الهادي، الفكر الإداري الإسلامي والمقارن، الأصول العامة دار الفكر العربي القاهرة، 1984 م .

المراجع الأجنبية

- 5 - Davis Keith, Human Relation At Work, The Dynamics of Organizational Behavior, Mo Crow-Hill Book Co. 1967.



مَجَلَّةُ قَائِمَاتِ الْعِلْمِ





آراء حول أزمة التقييم الجامعي في الوطن العربي

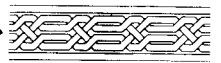
إعداد :

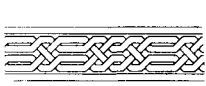
د. فيصل مفتاح شلوف
مخبر بقسم الاقتصاد الزراعي
جامعة عمّان المختار - البتراء

د. ابراهيم كرسني محمد
مخبر بقسم الاقتصاد الزراعي
جامعة عمّان المختار - البتراء



مجلة قارئون في العلم





1 - مقدمة :

من الممكن التعرض لقضايا التعليم العالي في الوطن العربي من عدة زوايا والقيام بتحليلها على مستويات مختلفة ولكنها متصل بعضها ببعض ومرتبطة به. لكننا أثرنا اختيار جانب «الأزمة» موضوعاً لحديثنا هذا لأننا نعتقد أنها - أي الأزمة - تشكل قمة تلك المستويات من جانب. ولأن الحديث عن أي استراتيجية لإصلاح التعليم الجامعي في الوطن العربي لا بد أن تبنى على تحليل وفهم عميقين لتلك الأزمة.

مفهومنا لازمه التعليم الجامعي في الوطن العربي بسيط ومباشر ويمكن تلخيصه في أن تلك الجامعات تستهلك - في كثير من الأحيان ما لا ينتجه المجتمع العربي وتنتج في كثير الأحيان أيضاً ما لا يحتاجه ذلك المجتمع. وبمعنى آخر إن الجامعات في الوطن العربي تعتمد فيما تحتاجه من معارف نظرية وتكنولوجيا على ما هو وارد إليها من العالم الخارجي - وفي الغالب الأعم من الدول الغربية وتقوم بتخريج كم هائل من الطلاب مسلحين بالمعارف النظرية والفنية غير الملائمة لمعالجة القضايا التي يواجهها مجتمعهم.

2 - الانفصام بين الجامعة والمجتمع :

إن المرتكز الأساسي الذي تقوم عليه أزمة التعليم الجامعي في الوطن العربي، في تقديرنا هو ضعف العلاقة إن لم يكن الانفصام شبه التام بين الجامعة كمؤسسة وبقية المؤسسات الاجتماعية. هذه الحالة يمكن تشبيهها بالبنيان العاجي أو «البرج العاجي» المظل على أحياء من الأكواخ. هذه الحالة تقوم على مستويين. المستوى الأول يتمثل فيما تحتاجه الجامعة من مدخلات كالمنشآت والمعدات، والآلات، والمعامل، والكتب والأساتذة. الخ. فالملاحظ أن جميع ما تحتاجه الجامعات العربية من هذه المدخلات، فيما عدى فئة الأساتذة، قد تم استيراده من الخارج عند بداية تأسيسها. وحتى بين فئة الأساتذة نجد أن الأساتذة الأجانب ما زالوا يشكلون نسبة كبيرة من مجموع الأساتذة إلى وقت قريب في معظم الجامعات العربية وبالذات في كلياتها العلمية. فهذا الاعتماد شبه المطلق على الجامعات الغربية من قبل الجامعات العربية قد شكل المناخ المناسب لتفريخ التبعية شبه المطلقة أيضاً التي نعيشها الجامعات العربية الآن والتي شكلت بدورها الشرط الضروري لإنتاج الخريج غير المؤهل لمعالجة قضايا مجتمعه أو ما يمكن لنا تسميته بحالة الانفصام الثقافي والحضاري التي يعيشها خريجو الجامعات العربية وهذا هو المستوى الثاني لأزمة التعليم الجامعي في الوطن العربي.

3 - العلاقة المثل بين الجامعة والمجتمع :

إن العلاقة المثل بين الجامعة والمجتمع - أي مجتمع ما - تتمثل في مدى إمكانية مساهمتها في الاستغلال الأمثل والرشيد لموارد ذلك المجتمع المحدودة بالطبع - من أجل النهوض به من وهدة الجهل والتخلف والرقى به في سلم التقدم والحضارة فالجامعة كمصدر إشعاع فكري - تتمثل رسالتها الأساسية في إنتاج الإنسان المسلح بالعلم الحديث في جوانبه النظري والتطبيقي - الذي يمكنه من الإلمام الكامل والدقيق بقضايا مجتمعه كماً وكيفاً وتوفير الرؤية النظرية والعملية السليمة لمعالجتها.

فالمتبع لنشأة الجامعات وتطورها في البلدان الصناعية - الاشتراكية منها والرأسمالية - يرى أن «سر» نجاحها يتمثل في ارتباطها الوثيق واللصيق بقضايا



مجتمعتها - فالقضايا موضوع البحث مستمدة مباشرة من قضايا المجتمع الجارية. فالبحث والتنقيب الجادان في مختلف القضايا يقود بالضرورة إلى تطوير الجوانب النظرية المتعلقة بمعالجة تلك القضايا التي تؤدي كذلك إلى إيجاد الحلول السليمة لتلك القضايا كما تفسح المجال لظهور قضايا جديدة ربما كانت مختلفة كما ونوعاً عن سابقتها مما يتطلب التطوير الكمي والنوعي للجانب النظري الخاص بالقضية المعنية بما يمكنه من إيجاد الحلول العملية لتلك القضايا وهكذا دواليك. فجدلية العلاقة القائمة بين العلم النظري والبحث التطبيقي في جامعات الدول الصناعية تشكل الأساس السليم لتطور العلم والمعرفة في مختلف مناحي الحياة وضروبها. وما التقدم التكنولوجي المذهل الذي حققته تلك المجتمعات إلا نتاج طبيعي لتلك العلاقة الثابتة بين الجامعة والمجتمع التي لا تتغير بتغير الأحوال الطارئة كتقلب الوضع السياسي أو تغير الحكومات وغيرها. فتطور مختلف العلوم في مساقها النظري هو نتاج طبيعي للرؤية الفاحصة والناقدة والثاقبة في المشاكل التي تعترض مسار البحث العلمي التطبيقي لإيجاد حل ناجح لتلك المعضلات. فهذه المعضلات التطبيقية التي تواجه المجتمعات الصناعية المتقدمة هي وليدة مسار تطورها التاريخي وليست دخيلة عليها أو «مستوردة» من مجتمعات أخرى. لذلك نرى أن نتائج البحوث المنشورة في مختلف العلوم هي أحدث ما توصل إليه العلم في تلك المجالات. خلاصة القول أن العلوم النظرية والتطبيقية في المجتمعات الصناعية هي نتاج لمشاكل تلك البلدان النابعة من تطورها وليس لأي سبب آخر. لذلك نجد أن المدرس والمتلقي لتلك العلوم كليهما لا يعيشان حالة انفصام بين محيطهما داخل الجامعة وخارجها. وبمعنى آخر أن ما يعيشانه داخل المحيط الجامعي ما هو إلا امتداد طبيعي، سلباً وإيجاباً، لما يكتنفها داخل مجتمعهم الكبير.

أما في بلدان العالم الثالث والوطن العربي لا يشذعن هذه القاعدة فنجد أن

(1) نحن لا نعتقد صحة النظرة القصيرة التي تقف ضد الاستفادة الكاملة من الفكر الإنساني، بغض النظر عن مشاركته على أساس أنه «مستورد» والتي تشكل جزءاً من أساس التعصب الأعمى تجاه الأفكار الأخرى التي لم يكن فيها الوطن العربي أو العالم الإسلامي والتي تساوي من الناحية العملية بين قطع السيارات وبين الأفكار العلمية. ولكن ما نقصده تحديداً هو خطورة تبعية جامعات الوطن العربي شبه الكاملة للجامعات الغربية.

الوضع في جامعاته على النقيض تماماً. فالمدرس لتلك العلوم والمتلقي لها كلاهما يعيشان حالة اغتراب علمي حقيقي في معظم الأحيان. فالصورة الزاهية التي رسمناها للتطور العلمي في المجتمعات الصناعية تبدو قائمة لدرجة كبيرة حينما يأتي الأمر للحديث عن الوضع في مجتمعات العالم الثالث وبالذات داخل الوطن العربي. وذلك لأن مواضيع البحث التي تقوم بها تلك الجامعات لا تمت في كثير من الأحيان، لمشاكل مجتمعتها بصلة وبالتالي فإن الأساس النظري الذي يشكل قاعدة الانطلاق لمعالجة القضايا النابعة من تلك البحوث لا يمت لمجتمعات العالم الثالث بصلة أيضاً. والسبب الرئيسي لذلك يرجع - كما نعتقد - إلى حالة التبعية شبه المطلقة التي تعيشها مجتمعات بلدان العالم الثالث للبلدان الصناعية المتقدمة في مختلف المجالات التي جعلت المدرس والمتلقي العلم في جامعات العالم الثالث يتعامل مع قضايا وإشكالات لا تمت إلى مجتمعه بصلة. وإن الأدهى من ذلك أن خريج هذه الجامعات يكون قد تسلم أثناء دراسته الجامعية بكم هائل من المعرفة، في جانبها النظري والتطبيقي تجعله أكثر تأهيلاً لمعالجة قضايا المجتمع «الأصلي» الذي «استوردت» منه تلك المعارف وهذا ما قصدناه حينما شبهنا حال جامعات الوطن العربي «بالأبراج العاجية» وهذا هو ما عيناه بجوهر أزمة التعليم الجامعي في الوطن العربي الذي يتلخص في عجز معظم الجامعات في الوطن العربي - إن لم يكن جميعها - عن تحقيق ما ذكرناه حول العلاقة المثلثية بين الجامعة والمجتمع وذلك لأسباب تاريخية.

4 - الجذور التاريخية لتبعية التعليم الجامعي في الوطن العربي :

لقد بدأ نظام التعليم الحديث في الوطن العربي بأكمله في عهد الاستعمار⁽³⁾ وفي فترات زمنية متفاوتة. وقد كان الهدف الأساسي من وراء تأسيسه هو سد

(2) نقصد بنظام التعليم الحديث ما هو سائد الآن في أقطار الوطن العربي من ابتدائي، وإعدادي، وثانوي وجامعي وهو مختلف عن التعليم الديني الذي كان يسود تلك البلدان في فترة ما قبل الاستعمار عن طريق الخلاوي والزوايا ويتمثل أساساً في تعاليم القرآن والفقهاء الإسلامي.

(3) فيما عدا القليل منه ونذكر على سبيل المثال جامعة الأزهر الشريف بمصر.



حاجات الدول المستعمرة فيما تحتاج إليه من إداريين وموظفين أكفاء لإدارة المستعمرات وذلك ليس غرض تدريب العناصر الوطنية على هذا النوع من الأعمال وإنما لتخفيض تكاليفها إلى أدنى مستوى لها وقد تم إنجاز هذه العملية من زاويتين الأولى هي سدّ الاحتياجات من الكوادر الدنيا والوسيلة والثانية أن تكون مرتباتهم أقل من نصف ما يتقاضاه «الخبير» الأجنبي مع ضمان استمرار «الخبراء» الأجانب من الوطن المستعمر، «الأم» في الوظائف العليا والمناصب «الحساسة» في جميع أجهزة الدولة العسكرية منها والمدنية.

كان لتحديد هذا الهدف آثار سلبية بعيدة المدى على نشأة التعليم في المستعمرات. فقد كانت الحاجة تقتضي الاقتصار على تأسيس التعليم العام فقط. وحتى على مستوى التعليم العام اقتصر توفيره على أبناء الطبقات المرتبطة مصلحياً بالوجود الاستعماري من كبار ملاك الأراضي وشيوخ القبائل ضمناً لولا أنهم الشخصي للنظام الاستعماري ولذلك لم يكن من ضمن أهداف التعليم العام نحو الأمية بين الطبقات الفقيرة ولهذا فليس من المستغرب أن نجد أن نسبة الأمية بين سكان العالم الثالث تصل إلى (80٪) وترتفع إلى أكثر من (90٪) بين العناصر النسائية. فإذا لم تكن إزالة الأمية أحد أهداف هذا النظام التعليمي فإنه لمن المستحيل أن يشكل أثراء الثقافة الوطنية وتطويرها أحد اهتماماته. بل إن التجربة التاريخية قد أوضحت لنا أنه لقد كان من مصلحة الدول المستعمرة الإبقاء على مجتمعات الدول المستعمرة غائصة في بحر من الجهل والمرض.

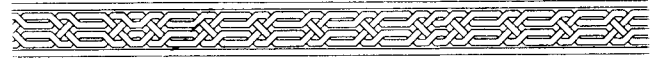
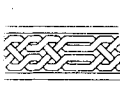
وهي بهذا إنما تشكل بوعي أو بغير وعي السند الحقيقي للقوى الاستعمارية لأنها بمواقفها تلك إنما تركز مصالح المستعمرين في بلدان العالم الثالث.

لكل هذا فإن إنشاء الجامعات في الوطن العربي لم يتم إلا في فترات متأخرة من الحقبة الاستعمارية إن لم يكن بعد رحيل القوى الاستعمارية تماماً وتحقيق ذلك ضمن برنامج إنجاز مهام الاستقلال السياسي. فتحقيق الاستقلال السياسي في معظم أرجاء الوطن العربي لم يستتبعه تحقيق للاستقلال الاقتصادي أو التقدم الاجتماعي ويدعمه. فقد ظل معنى الاستقلال بالنسبة للكثيرين من الحكام العرب لا يعدو أن يكون غير رفع للعلم وإنشاداً للسلام الوطنيين.

فالقاعدة الاقتصادية والاجتماعية التي قام عليها الاستقلال السياسي ظلت تابعة كما كانت عليه أيام الاستعمار.

ما نقصده بالتشوه هنا هو أن القاعدة الاقتصادية التي خلقها الاستعمار قد أنبنت على تطور قطاع اقتصادي واحد - وهو ذو طبيعة استخراجية في الغالب الأعم - وعلى إنتاج سلعة واحدة. وفي كثير من الأحيان من المواد الخام تصلح كأحد مدخلات الإنتاج لمصانع البلد المستعمر. هذا القطاع قد تميز أساساً بنمو علاقات الإنتاج الرأسمالية وتطورها وبأسلوب الإنتاج الرأسمالي وما يستتبعه من إيجابيات وسلبيات في تركيبته التشكيلية الاجتماعية السائدة. هذا القطاع ارتبط ارتباطاً مباشراً وعضوياً باقتصاديات الدول الرأسمالية وبالأخص باقتصاد البلد المستعمر دون أن يكون له روابط ثابتة ومتينة ومتميزة ببقية القطاعات الداخلية للاقتصاد الوطني التي تميزت إلى وقت قريب بسيادة نمط الإنتاج السلمي البسيط وعلاقات الإنتاج السابقة للرأسمالية. هذا النوع من العلاقات الاقتصادية وأسلوب الإنتاج قد أفرز ثنائية أو ازدواجية داخل الاقتصاد الوطني تميزت بوجود قطاعين مختلفين ولكنها مترابطان الأول حديث في قاعدته الفنية ورأسمالي في أسلوب إنتاجه مرتبطاً تماماً بالاقتصاد الرأسمالي العالمي والثاني متخلف في قاعدته الإنتاجية وسابق للرأسمالية في أسلوب إنتاجه الأول خاضع لسيادة الاقتصاد الرأسمالي العالمي واستغلاله والثاني خاضع كذلك لهذه السيادة والاستغلال بحكم خضوعه لنمط الإنتاج الرأسمالي المحلي. هذا النمط من التطور قد نجح في خلق قاعدة إنتاجية ضيقة، ضعيفة وهشة في بنائها وتركيبها تعتمد اعتماداً كلياً على إنتاج سلعة واحدة ليتم تصديرها مباشرة إلى السوق الرأسمالية العالمية. وهذا ما نقصده بتشوه هذه الاقتصاديات التي شكلت الأساس الموضوعي لتبعية اقتصاديات بلدان العالم الثالث لاقتصاديات البلدان الرأسمالية والتي تمثلت في الحفاظ على البلدان التابعة كمصدر للمواد الخام رخيصة الثمن لصناعاتها المتطورة وكسوق جاهزة لمنتجات تلك المصانع المرتفعة الأثمان.

هذه العلاقة الاقتصادية غير العادلة وهذا التبادل التجاري غير المتكافئ هو الذي صاغ الشروط الموضوعية للتبعية التكنولوجية والسياسية لبلدان العالم الثالث بما في ذلك بلدان الوطن العربي التي جعلتها تعتمد اعتماداً مطلقاً في استيراد حاجياتها



الضرورية، بما في ذلك موادها الاستهلاكية، على السوق الرأسمالي العالمي أكثر مما تصدر إليه حتى في فترة ما بعد تحقيق الاستقلال السياسي،⁽⁴⁾ وهذان النمطان من الإنتاج قد أفرزا طبقات وفئات اجتماعية مختلفة ولكن ما يميزها هو بروز الطبقة الرأسمالية غير المنتجة أو ما أصبح يعرف بالفئات الطفيلية كشرائح اجتماعية مسيطرة على القطاع الحديث من الاقتصاد وعلى جهاز الدولة الشيء الذي وفر الضمان الكافي لاستمرار هذه التبعية.

وفي ظل هذه العلاقات الجائرة والظالمة لبلدان العالم الثالث، وبلدان الوطن العربي على وجه الخصوص، أسست الجامعات ونمت وترعرعت وكان لا بد لهذا النمو في ظل هذا النمط من العلاقات، من أن يكون نمواً تابعاً هذه التبعية امتدت من مواد البناء التي قامت عليها تلك الجامعات مروراً بالمعامل العلمية وأجهزتها، إلى المكتبة ومحتوياتها وانتهاءً بالإداريين والأساتذة.

نبدأ بالفئة الأخيرة. فكما ذكرنا أنه في العهد الاستعماري لم يتم تدريب سوى الفئات الدنيا والوسيلة من الإداريين ولذلك كان لا بد من «استيراد» هذه الفئة من الدول المستعمرة إلى أن يتم تدريب الكوادر الوطنية، التي انحدرت في بادئ الأمر من أبناء الفئات الاجتماعية المتعاونة مع القوى الاستعمارية⁽⁵⁾ داخل الجامعات والمؤسسات البحثية في الدول الاستعمارية نفسها. فقد تم تعليمهم على أساس المنهج النظري الذي يعالج مشاكل المجتمعات الصناعية الرأسمالية وتدريبهم على التكنولوجيا التي تم إنتاجها لتناسب ظروف المجتمعات الصناعية الرأسمالية وأحوالها.

هذه الفئة من طلائع المتعلمين من العالم الثالث، والوطن العربي على وجه

(4) - الحديث عن القضايا الشائكة لموضوع التبعية يقع خارج نطاق هذا البحث ولكننا نود أن نلفت أنظار الذين يودون معرفة المزيد إلى مؤلفات، على سبيل المثال لا الحصر أ. ق. فرانك، ت. زنتش، س. فرتادو، أ. لاكلو، ايمانويل وسمير أمين.

(5) لا نظن أنه سيفوت فطنة القارئ أننا لم نقصد الإساءة الشخصية لهذه الفئة بل إن إشخاصهم تقع موقع اعزاز لدينا، ولكن كلما قصدناه هو توضيح الأساس المادي الذي أفرز نمط تفكيرهم وسلوكهم والذي نعتقد أنهم أنفسهم قد كانوا ضحاياه.

الخصوص، هي التي شكلت النواة التي قامت عليها الجامعات الوطنية عند عودتها إلى بلدانها وهي متشعبة بمختلف ضروب المعرفة التي تعالج مشاكل المجتمعات الرأسمالية. لذا لم يكن أمامها سوى أعمال المناهج النظرية لمعالجة قضايا مجتمعاتها واستيراد التكنولوجيا الغربية لاستعمالها في بحوثها التطبيقية. لكل هذا لم يكن بمستغرب أن تعجز هذه الفئة من أوائل المتعلمين في الوطن العربي عن تلمس المشاكل الأساسية التي يعاني منها هذا المجتمع وبالتالي إيجاد الحلول الناجعة لها وذلك لأن مشاكل هذا المجتمع تختلف نوعياً عن مشاكل المجتمعات الرأسمالية المتقدمة وبالتالي يتضح قصور بل خطأ المنهج الذي يعتمدونه عند معالجتهم لهذه القضايا.

فعند تولي هذه الكوادر زمام المسؤولية داخل الجامعات العربية اعتمدت على التكنولوجيا الرأسمالية في تطوير هذه الجامعات وكانت نوعية البحوث التي يجرؤها أحادية الجانب وكذلك لم تستطع النفاذ إلى لب القضايا التي يواجهها المجتمع العربي⁽⁶⁾ فتأثيث مكثبات هذه الجامعات قد تم على نفس المنوال وقد نتج عن ذلك أمران في غاية الأهمية والخطورة. الأول هو تسليح المتلقي لهذه العلوم، بالذات النظرية منها، بمنهج نظري وتدريبه على معالجة قضايا المجتمعات الصناعية الرأسمالية المتقدمة وبالتالي جعله أكثر اغتراباً وعجزاً عن تناول قضايا مجتمعه الملحة والثاني، وهو الأمر الأكثر خطورة، تربيته على مناهج تشكل في محتواها الأساسي ومضامينها النظرية رؤية عنصرية لاضطهاد كل ما هو وطني وازدائه من إنتاج وثقافة، وتمجيد كل ما هو خارجي ومستورد، وبالذات لو تم ذلك من المجتمعات الرأسمالية المتقدمة⁽⁷⁾.

(6) لم يكن مصادفة أن يكون أكثر من ثلثي البحوث المقدمة لنيل درجات الماجستير والدكتوراه لأساتذة كليتي الزراعة والاقتصاد في جامعة الخرطوم خلال العقد الأولين اللذين تليا الاستقلال السياسي، عن تكنولوجيا واقتصاديات القطن. وذلك لأن القطن هو المادة الخام التي كانت تعتمد عليها مصانع النسيج البريطانية والذي جسد إنتاجه في نفس الوقت نشوة تبعية الاقتصاد السوداني.

(7) دليلنا على ذلك هو محتويات منهج «علم» الأنثروبولوجيا في معظم الجامعات ذات الطابع الغربي التي ظلت إلى وقت قريب تعترف صراحة وفي عنصرية فاضحة عن تمييز الرجل الأبيض بمجموعه صفات تجعله ذا مقدرات متفوقة على بقية الأجناس وبالذات تلك التي تنحدر من العناصر الزنجية. هذا هو الأساس



وحتى عند هذا المستوى من التبعية لم تتمكن الجامعات العربية من أن تُقدِّم لطلابها وأساتذتها أحدث ما توصلت إليه دور العلم الأوروبية من معارف نظرية وتطبيقية أو أحدث ما أنتجه دور النشر الأوروبية من كتب ودوريات. بل إن ما تقوم بتدريسه معظم الجامعات العربية لطلابها، وبالذات في مجال الدراسات الإنسانية لا يشكل قمة المعرفة التي توصل إليها العلم في أوروبا بل إنه في حقيقة الأمر أصبح يشكل جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الفكري لمختلف الفروع العلمية في تلك الجامعات⁽⁸⁾ وهنا يمكننا أن نرى الحجم الحقيقي لمأساة الجامعات العربية وعمق أزمته.

فجامعات تتمتع بهذه الحدود الضيقة من المعارف العلمية وهذه المستويات الأكاديمية المتدنية سوف تكون مشلولة تماماً وعاجزة كلية من مجاراة التقدم العلمي في العالم بل وستعجز أيضاً عن التفاعل مع قضايا مجتمعهما وتقديم الرؤية العلمية السليمة التي تشكل الأساس السليم للنظر إلى تلك القضايا ومن ثم فحصها وتمحيصها وتحديدها وتشخيصها ليكون ذلك أساساً صلباً لوضع السياسات المناسبة لمعالجتها علاجاً شافياً. فالخريج الجامعي الذي يكون مسلحاً بالمعارف النظرية التي لا تمت إلى قضايا مجتمعه بصلة سوف يكون حاله حال الطبيب الذي يشخص المرض خطأ ومن ثم يأمر بصرف الدواء غير المناسب. والفرق بين الحالتين أن خطأ

= الذي انبنى عليه ذلك الكم الهائل من المادة الإعلامية الغربية، والمبتذلة في كثير من الأحيان التي تقسم عالم اليوم إلى أبيض وأسود. الأول مرتبط بالتقدم التكنولوجي والحضاري والثاني مرتبط بالتخلف بكل أبعاده.

(8) يمكننا أن نضرب المثل لذلك بما يدرس ضمن مادة الاقتصاد في معظم الجامعات العربية. فبينما بدأت معظم الجامعات الأوروبية الرجوع إلى التراث الغني لعلم الاقتصاد السياسي الذي يشكل القضايا الاقتصادية للعملية الإنتاجية ومشاكل توزيع الفائض الاقتصادي الناتج عن تلك العملية على الطبقات الاجتماعية المختلفة مادته الأساسية، لم تزل معظم الجامعات العربية غارقة حتى أذنيها في تزويد طلابها بالمعارف السطحية الناجمة عن تدريس المناهج القصيرة للمدارس الاقتصادية الفجة كالمدرسة الكلاسيكية الحديثة والمدرسة الكنزية.

الثاني يتسبب في موت فرد أو مجموعة بسيطة من أفراد المجتمع بينما يتسبب خطأ الثاني في موت المجتمع بأكمله⁽⁹⁾.

5- التحدي الذي يواجه الجامعات في الوطن العربي :

نحن نعتقد أن التحدي الأساسي الذي يواجه الجامعات في الوطن العربي يتمثل في مدى إسهامها الفاعل في التقليل من حالة التبعية التي يعاني منها المجتمع العربي ومن ثم الإجهاز التام عليها وتغيير الصورة القائمة التي يعيشها في مختلف مناحي حياته والتصدي بالجدية والحزم اللازمين للقضاء على حالة الجفاف الفكري الذي يعيشه المجتمع العربي اليوم وضرورة أهمية التصدي لقيادة تطوير الثقافة العربية⁽¹⁰⁾ هذا مع أهمية تقديم أقصى درجات المساهمة في إعادة بناء القاعدة الاقتصادية الصلبة، القوية، المتناسكة، والمستقلة التي تشكل الأساس المادي الذي تقوم عليه النهضة المستقبلية للمجتمع العربي.

فحينما أتت الحرب العالمية الثانية على الصرح الاقتصادي لمعظم دول أوروبا توقع البعض أن إعادة بناء هذه الدول سيأخذ وقتاً طويلاً. وكانت دهشتهم كبيرة حينما وجدوا أن الفترة الفعلية التي استغرقتها إعادة البناء كانت أقل بكثير مما توقعوه. وتفسير ذلك هو أن هؤلاء البعض قد أهملوا أهمية عنصر رأس المال البشري، ولم يأخذوا في اعتبارهم إلا الاحتياجات إلى رؤوس الأموال المادية فقط. ولقد اتضح لهم أن عملية إعادة بناء هذه الدول لم تأخذ من الزمن ما كان متوقفاً لها بسبب توفر عنصر رأس المال البشري ومدى أهميته في عملية البناء الاقتصادي. فربما كانت النتيجة المنطقية للتقصير في تنمية العنصر البشري سوء استخدام القدر المتاح من

(9) أقرب مثال لذلك هو إصرار بعض اقتصادي العالم الثالث على تطبيق نموذج صندوق النقد الدولي، الذي صيغ أساساً لمعالجة قضايا اقتصاديات المجتمع الرأسمالي المتقدم وأزماته، لمعالجة قضايا اقتصاديات مجتمعات العالم الثالث وأزماته المختلفة كما ونوعاً عن سابقتها مما نتج عنه أضرار بليغة باقتصاديات العالم الثالث كان أخفها أزمة الديون الخارجية الخائفة التي تواجهها والتي لا تدخل مناقشتها ضمن أهداف هذا البحث.

(10) إنه لمن المحزن حقاً أن نجد بعض الجامعات العربية تعتمد اللغات الأوروبية لتدريس بعض المناهج، خاصة في مجال العلوم الإنسانية بعد أن شارفت على نهاية العقد الثالث من نيل استقلالها السياسي.

رأس المال المادي . وليس أدل على ذلك من احتياج معظم الدول النامية إلى الخبرة الأجنبية للمساعدة في استخدام أحدث ما وصلت إليه الدول المتقدمة من تكنولوجيا وذلك بسبب افتقارها إلى الخبراء المحليين مع ضعف التدريب اللازم للكوادر الموجودة، بالإضافة إلى أن معدلات أعدادهم (معدل تنمية الموارد البشرية) لا تتم بنفس السرعة اللازمة لمجالات التطور المادي في هذه الدول .

من هنا ينصب اهتمام بعض الاقتصاديين على مرحلتَي الطفولة والصبا ومرحلة الشيخوخة باعتبارها تمثل عبئاً على الاستهلاك ومن ثم يطرحون السؤال التالي : هل من الممكن أن يقوم الفرد خلال حياته الإنتاجية بتعويض ما استهلكه خلال فترة إعداده لدخول القوة العاملة (أي في مرحلة الطفولة والدراسة) وكذلك ما يستهلكه أثناءها وبعد خروجه منها؟ والإجابة هنا تتوقف على نوعية الفرد من الناحيتين العلمية والصحية وإمكانياته . فكلما تقدم علمياً وصحياً أمكن الارتفاع بمستوى كفاءته الإنتاجية ومقدار مساهمته في زيادة الرفاهية الاقتصادية للمجتمع . ومهما يكن من أمر، فإن تحسين نوعية الموارد البشرية يساعد إلى حد كبير على تمكين المجتمع من أن يخصص موارده تخصيصاً أمثل بقدر الإمكان وبالذات الموارد البشرية وبالتالي المساهمة في القضاء على حالة التخلف .

5 - أ - دور التعليم الجامعي في إحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية :

ليس هناك أدنى خلاف بين خبراء التنمية حول الدور الهام والحاسم الذي يجب أن تلعبه الجامعات ودور البحث في الإسراع بوتائر التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دول العالم الثالث . يتمثل هذا الدور في جانبين ربما اختلفا نوعياً ولكنها مكملان بعضهما بعضاً . الأول هو إعداد الكفاءات البشرية وتدريبها كماً نوعاً لتغطية الاحتياجات التي تملئها ضرورات التنمية، والثاني هو مهمة القيام بالبحث العلمي حول القضايا والإشكاليات التي تعترض طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والناجمة عنها بغرض إيجاد الحلول الناجعة والشفافية لها والإسهام في تطوير القاعدة التكنولوجية للمجتمع .

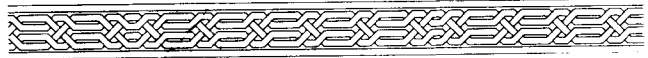
وفيا يتمكن المجتمع من تحقيق هذين الهدفين لا بد من ربط أهداف قطاع

التعليم بصورة عامة والتعليم الجامعي بصورة أخص بالأهداف العامة للخطة الاقتصادية والاجتماعية المعتمدة من قبل السلطة السياسية لتطوير المجتمع⁽¹¹⁾. فجوهر العملية التخطيطية هو تحديد الأهداف المراد تحقيقها ومن ثم تحديد الموارد اللازمة - كما ونوعاً - للوصول إلى تلك الأهداف ومن ثم تحديد الوسائل والأساليب المختلفة التي عن طريقها يمكن إحكام إنجاز الخطة بصورة غاية في الدقة والا ترك مجالاً لأسلوب المصادفة في التحكم في حركة المجتمع. وانطلاقاً من هذا المفهوم فليس هنالك أدنى مجال في أن لا يجد أي من القطاعات الاقتصادية ما يحتاج إليه من موارد ضرورية لتحقيق ما ينشده من أهداف⁽¹²⁾ أو في إنتاج سلعة أو خدمة قد لا يحتاج إليها المجتمع في الوقت الراهن. كما أنه من المعلوم أن إنجاز مهام التنمية الاقتصادية والاجتماعية في بلدان العالم الثالث يحتاج لعدد لا يستهان به من الكوادر الفنية المتخصصة، التي يساهم إنتاجها وطنياً في تقليص ميزانية استيرادهم من الخارج، وتقع مسؤولية إعدادهم على عاتق الجامعات الوطنية.

لذلك فإن الاستثمار في قطاع التعليم العالي بجانب أنه يزيد من كفاءة الذين ينعمون بمثل هذا النوع من الخدمات وبالتالي يوسع من فرص العمل والاختيار أمامهم فإنه وفي نفس الوقت يساهم إسهاماً فعالاً في الدفع بوتائر التنمية الاقتصادية والاجتماعية إلى الأمام، فتنمية الموارد البشرية، التي تعتبر المجال الأساسي لعمل التعليم الجامعي، هي في حقيقة الأمر نقطة الارتكاز والمحور الأساسي الذي تقوم عليه التنمية الاقتصادية والاجتماعية الفاعلة. فمجرد توفر الرغبة في إحداث هذه التنمية

(11) سوف لا ندخل في جدل فقهي حول أن يترك المجتمع العربي ينمو ويتطور من تلقاء نفسه، أي بواسطة آلية السوق وقيادة القطاع الخاص كما فعلت الدول الأوروبية عند بداية الثورة الصناعية أم يخضع لأسلوب التخطيط الاقتصادي بقيادة القطاع العام الذي أثبت جدواه تحقيق معدلات مرتفعة للاستثمار في معظم مجتمعات البلدان المتخلفة اقتصادياً اعتمده منهجاً يحكم نموها وتطورها وذلك لأن معظم الاقتصاديين الذي ساهموا في هذا النقاش قد حسموا الأمر بتبني وجهة النظر الثانية.

(12) الحديث عن الميكانيزمات المختلفة التي يجب أن تحكم أداء الخطة يقع خارج نطاق أهداف هذا البحث ولكن ما نود الإشارة إليه هو الدرجة القصوى من الأهمية للدور الحاسم الذي يجب أن تلعبه السلطة السياسية - عند كل المستويات - في جميع المراحل التي يتطلبها إعداد الخطة ومن ثم الإشراف على إنجازها على الوجه الأكمل.



دون إعداد العنصر البشري إعداداً كافياً ما هو إلا مجرد عمل في فراغ وبالتالي لن يحقق الأهداف المرجوة منه. لذلك فإن التنمية الاقتصادية والاجتماعية بمفهومها الشامل لا بد أن تهتم اهتماماً أساسياً بالإنسان حيث إنه يشكل موضوعها وإليه ترجع نتائجها في شكل سلع وخدمات وإذا لم يحسن المجتمع إعداد الفرد من جميع الجوانب العقلية، والصحية، والثقافية والسلوكية، فإن احتمال أن تأخذ التنمية أبعادها الحقيقية يصبح عندئذ مشكوكاً فيه. لذلك يجب أن تزيد نسبة الصرف الفعلي والحقيقي على قطاع التعليم لتناسب الزيادة في معدلات وتأثر التنمية.

5- ب - الانفاق المالي على التعليم العالي في الوطن العربي :

من الحقائق الثابتة أن ما تنفقه جميع الأقطار العربية دون استثناء على ميزانتي الدفاع وأجهزة الأمن الداخلية يفوق في حجمه ما تنفقه تلك الأقطار على كل القطاعات الخدمية مجتمعة بما في ذلك قطاع التعليم. ولكن هذه الحقيقة لا تنفي أن جميع الأقطار العربية تبذل جهداً مقدراً في الإنفاق على التعليم في ضوء ما تخصصه من موارد مالية، فتقدر نسبة الإنفاق على التعليم العالي مقارنة بحجم الإنفاق على قطاع التعليم كله بحوالي (7.4٪ عام 1970 م) وقد ارتفعت تلك النسبة لتصل إلى حوالي (13.3٪ عام 1980 م) ومن المتوقع وصولها إلى حوالي (18.8٪ عام 1990 م) ومن ثم ارتفاعها إلى حوالي (26.3٪ عام 2000) كما يتضح من الجدول رقم (1) أدناه.

جدول رقم (1)

نسبة نفقات التعليم العالي إلى النفقات الإجمالية على التعليم في
الوطن العربي (بالأسعار الثابتة لسنة 1977 = 100)
تشمل النفقات الجارية والرأسمالية

السنة	إجمالي نفقات التعليم مقربة بالمليون دولار (1)	نفقات التعليم العالي مقربة بالمليون دولار (2)	نسبة 1 إلى 2/ (3)
1970	4.200	310	7.4
1980	9.000	1.200	13.3
1990	13.800	2.600	18.8
2000	19.800	5.200	26.3

المصدر: حامد عمار، حول التعليم العالي العربي والتنمية، مجلة المستقبل العربي
العدد 40، يونيه 1982 م، ص 124 - 126

وهكذا نرى ان حجم الإنفاق على التعليم العالي تزداد نسبتُهُ زيادة طردية إلى
مجموع الإنفاق العام على التعليم، كما أنه من المتوقع أن يزداد الحجم المطلق لهذا الإنفاق
عام 2000 إلى أكثر من أربعة أمثال ما كان عليه في عام 1970 - وللنظر إلى مغزى هذا
الإنفاق يجب أن نأخذ بعين الاعتبار حجم التدفق الطلابي من المرحلة الثانوية ومدى
إمكانية استيعابهم من قبل الجامعات العربية وهو ما حسبت على أساسه توقعات
نفقات التعليم العالي حتى سنة 2000. فالجدول رقم (2) يوضح نسبة الاستيعاب في
التعليم العالي في الوطن العربي.

جدول رقم (2)

النسبة الإجمالية للإستيعاب في التعليم العالي في الوطن العربي
للسنوات 1970 - 2000 (الأعداد مقربة بالآلاف)

النسبة الإجمالية للاستيعاب %	أعداد الطلاب	السكان 18 - 23 سنة	السنة
3.3	445	13.500	1970
6.9	1.320	19.200	1980
11.9	2.950	24.900	1990
19.1	6.200	32.400	2000

المصدر: حامد عمار، حول التعليم العالي العربي والتنمية، مجلة
المستقبل العربي العدد 40، يونيه 1982 م، ص 124 - 126.

يتضح من الجدولين السابقين أنه بالرغم من توقع زيادة النسبة الإجمالية
للاستيعاب في التعليم في الوطن العربي إلى ستة أضعاف في الفترة 1970 - 2000 إلا
أن الزيادة المتوقعة في نفقات التعليم العالي إلى النفقات الإجمالية على التعليم في
الوطن العربي ولنفس الفترة لا تتجاوز إلا الثلاثة الأضعاف. وهذا يدل على قلة الموارد
الواجب توفرها قياساً إلى الاحتياج الفعلي للجامعات في الوطن العربي رغم ارتفاع
الأرقام المطلقة لهذه النفقات. والنتيجة المنطقية لهذه العلاقة هو التردّي المطرد في أداء
الجامعات في الوطن العربي على المستويين اللذين أشرنا إليهما سابقاً وهما التدريس
والباحث العلمي اللذان يشكلان القاعدة الأساسية لأزمة الجامعات في الوطن
العربي.

والمسألة الأخرى التي لا تقل أهمية عن سابقتها هو الشكل الهرمي الذي
يأخذه نظام التعليم في الوطن العربي. وبمعنى آخر ضيق الفرص أو انعدامها في



الكثير من الأقطار العربية للطلاب المؤهلين أكاديمياً في الحصول على أماكن في جامعاتهم وبما أن هذه الفئة تعتبر من أكثر فئات المجتمع حيوية نسبة لانتسائهم لفئة الشباب، فإن عدم تمكنها من إيجاد أماكن في الجامعات يسبب لها الكثير من المشاكل وينتج عنه أضرار بليغة للمجتمع. فالذين ينحدرون من الفئات المتيسرة الحال في المجتمع، أبناء الطبقة الرأسمالية والفئات القيادية داخل جهاز الدولة، يمكنهم مواصلة تعليمهم في الدول الرأسمالية المتقدمة لأن أسرهم على استعداد وذات إمكانية مادية تمكنهم من مواجهة التكاليف الباهظة التي يتطلبها التعليم الجامعي في البلدان الرأسمالية المتقدمة على النفقات الخاصة وهذا في حد ذاته يشكل عنصراً لتكريس تبعية اقتصاد البلدان العربية للبلدان الرأسمالية المتقدمة. هذه الفئة قليلة العدد لا تتجاوز الـ 5٪ من مجموع المؤهلين أكاديمياً. أما البقية فعليها مواجهة مستقبل غامض غير مضمون العواقب وربما كان غاية في القتامة للكثيرين منهم.

إن القاعدة الاقتصادية للأقطار العربية ضيقة وضعيفة ومشوهة وتعاني من التبعية للبلدان الرأسمالية، كما أشرنا سابقاً. وحتى في هذا المستوى من التبعية فإنها تواجه أزمة مالية واقتصادية ذات شقين. يتمثل شقها الأول في انخفاض قيمة عائداتها من صادرات البترول خلال عقد الثمانينات ويتمثل الشق الثاني في استيرادها لأزمات النظام الرأسمالي في جوانبها المختلفة. وبالذات توجهاته التضخمية، نتيجة لتبعيةها المباشرة لذلك النظام وتأثيرها مباشرة بكل ما يتنابه من أزمات. لكل هذه فإن اقتصاد الوطن العربي عاجز عن توفير حجم الاستثمار اللازم في القطاعات المنتجة من الاقتصاد، كالصناعة والزراعة، واعتماده في كثير من الأحيان على القطاعات الاستخراجية كالبترول مثلاً، والتي تعتمد في تطورها على التكنولوجيا والعمالة الأجنبية إلى حد كبير. هذا العجز جعل من اقتصاديات الوطن العربي تنصف بقطاع ثالث متضخم متميز بكثير من الأعمال الهامشية. كالنشاط الطفيلي، وخدم المنازل، وماسحي الأحذية، وأعمال المطاعم... الخ. هذا النوع من الاقتصاد يكون بحكم تكوينه وقوانين تطوره الباطنة عاجزاً عن خلق فرص جديدة للعمالة المنتجة.

فعندما يواجه قطاع الشباب في الأقطار العربية هذا الواقع الأليم المتمثل في

عدم إيجاد أماكن في الجامعات أو فرص العمل داخل القطاعات المنتجة للاقتصاد فعندئذ لا يجد أمامه سوى تبديد طاقاته فيما لا يجدي ولا ينفع على المستويين الشخصي والاجتماعي - عندئذ يتولد المناخ الصالح للانحراف وتبدأ قوافل الهجرة من الريف إلى المدينة تاركة خلفها فرص العمل الزراعي العائلي الذي أصبح لا يلبي طموحاتها بل أصبحت تدرية نتيجة لنوعية التعليم الذي تلقتة في المدارس باحثة عن فرص للعمل في المدينة وعندما لا يجد الواحد منهم هذه الفرصة يتولد عنده نوع من الإحباط وفي نفس الوقت لا يكون عنده الاستعداد الكافي للرجوع إلى قريته كيلا يصبح في موقع تندر من أفراد القرية. عندها لا يجد أمامه سوى الانضمام إلى عصابات المدن من اللصوص ومدمني المخدرات والمنحرفين أي يصبح مشرداً بكل ما تحمل هذه الكلمة من مضامين. وعند هذا المستوى تصبح تكلفة العلاج لهذه المشكلة الاجتماعية الخطيرة أكبر كثيراً مما لو وفر المجتمع القدر الضروري من المال لإصلاح النظام التعليمي أو لتوفير فرص العمل الشريف.

ونفس هذا المصير يواجه معظم خريجي الجامعات في الوطن العربي وبالأخص خريجي الدراسات الإنسانية. فمن المفترض أن يدخل إلى سوق العلم، باستثناء الوفيات، حوالي ثلاثة ملايين من حملة الشهادات الجامعية خلال السنوات 1970-، 1990، ومن المتوقع أن يصل هذا العدد إلى سبعة ملايين وسبعمئة ألف في سنة 2000، كما يتضح من الجدول رقم (3).



جدول رقم (3)

خريجو التعليم العالي في الوطن العربي للسنوات
1970 - 2000 الآلاف

الفترة	ذكور	إناث	المجموع
1970 - 1975	270	120	390
1975 - 1980	1394	189	583
1980 - 1985	574	306	880
1985 - 1990	825	468	1.293
1990 - 1995	1.183	686	1.869
1995 - 2000	1.696	989	2.685
المجموع	4.942	2.758	7.700

المصدر: حامد عمار، حول التعليم العالي العربي والتنمية،
مجلة المستقبل العربي العدد 40، يونيه 1982 م، ص
124 - 126.

وهذا الحجم من حملة الشهادات الجامعية يجب أن يوضع في الاعتبار عند
تخطيط القوة العاملة وتحديد احتياجات القطاعات الاقتصادية المختلفة حاضراً
ومستقبلاً. والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح عند هذا المستوى من التحليل هو هل
توجد هنالك فرص عمل بالنسبة لهؤلاء الخريجين؟ أو بمعنى آخر هل من الممكن
للاقتصاد استحداث فرص العمل لحملة الشهادات الجامعية كيما يجعلهم أكثر إسهاماً
في إحداث التنمية وبالتالي تطوير المجتمع⁽¹³⁾ ولكيما تكون الصورة أكثر وضوحاً فإننا

(13) المثال المأساوي لذلك هو خريج كلية الزراعة بجامعة الخرطوم نتيجة لتدني الاستثمار داخل القطاع =



سنتطرق بشيء من الإيجاز، الذي نأمل أن لا يكون محلاً، لعلاقة التعليم العالي ببعض القطاعات الاقتصادية.

تمثل الزراعة النشاط الاقتصادي الغالب في جميع الأقطار العربية غير النفطية. إذ يشكل الإنتاج الزراعي، بشقيه النباتي والحيواني، حوالي 30 إلى 40٪ من الدخل القومي لتلك البلدان كما يستوعب حوالي 75٪ من سكانها ويدير حوالي 90٪ من حاصل صادراتها. وهذه المؤشرات تدل على أن التنمية الزراعية في الوطن العربي لم تتحقق، في معظم الحالات، معدلات النمو اللازمة لتطوير هذا القطاع إذ أن معدلات استصلاح الأراضي لم تزل تسير بخطى بطيئة كما أن يد الإصلاح والاستثمار لم تشمل الكثير من الأراضي القابلة للزراعة. فحجم الأراضي المزروعة حالياً لا يتجاوز 4 - 5٪ من مجموعة مساحة الوطن العربي ولا تزيد عن نصف المساحة القابلة للزراعة. أما مساحة الأراضي المزروعة في القطاع المروي فلا تزيد هي الأخرى عن ربع المساحة المزروعة، أي أقل من 1٪ من مساحة الوطن العربي⁽¹⁴⁾.

فإننا لا نبالغ إن أقررنا بأن أحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة على نطاق الوطن العربي يتوقف على مدى نجاحه في تطوير قطاعه الزراعي. ذلك لأن للقطاع الزراعي دوراً هاماً في إنجاز مهام تلك التنمية ويتمثل، باختصار شديد في توفير الاحتياجات الغذائية لأفراد المجتمع النامي، وتوفير الموارد النقدية اللازمة

= الزراعة السوداني لسنوات عدة فقد تدهور هذا القطاع إلى درجة أنه أصبح عاجزاً عن خلق فرص جديدة للعمالة في بلد كان قد رشحه معظم الاقتصاديين لأن يكون سلة الوطن العربي للغذاء. نتيجة لذلك لم يكن أمام خريجي كلية الزراعة بجامعة الخرطوم، طيلة عقد الثمانينات الجاري، من فرص عمل سوى تدريس مادة اللغة الإنجليزية في المدارس الثانوية. وبذلك يكون المجتمع قد خسر مرتين. الأولى ناتجة عن عدم استغلال كفاءة هذه الكوادر في مجال تخصصها والثانية عندما وقع الطلاب ضحايا لأساتذة غير متخصصين في مجال التدريس لهم.

(14) جامعة الدول العربية، الأمانة العامة وآخرون، التقرير الاقتصادي العربي الموحد 1983، مطبعة دبي 1983.



وذلك من خلال التوسع في المحاصيل التصديرية، وتوفير فرص العمل المنتج للقطاعات الإنتاجية غير الزراعية، وإنتاج المحاصيل الزراعية الضرورية التي يجب توفرها كمدخلات إنتاج للقطاع الصناعي وأخيراً يجب على القطاع الزراعي أن يكون سوقاً نامية لمنتجات القطاعات غير الزراعية وسلعها.

هذه الأهداف وهذا الدور الهام الذي يجب على القطاع الزراعي أن يلعبه لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إحداث ثورة زراعية حقيقية تتمثل أهم معالمها في إنجاز مهام الإصلاح الزراعي على أكمل وجه. فقضايا الإصلاح الزراعي يجب حسمها على مستويين. الأول هو تغيير علاقات الإنتاج السائدة لمصلحة صغار المنتجين والعمال الزراعيين والثاني هو تطوير القاعدة التكنولوجية البدائية التي يقوم عليها الإنتاج الزراعي. وعلى هذين الصعيدين يأتي الدور الحاسم الذي يجب أن يلعبه الخريج الجامعي.

فقضية تغيير علاقات الإنتاج داخل القطاع الزراعي لمصلحة صغار المنتجين والعمال الزراعيين لا يمكن أن تتم في غياب المهندس الزراعي الواعي بأبعادها المختلفة، المسؤول والملتزم بقضايا تلك الفئات. المهندس الزراعي الذي يكون مستعداً للتضحية بما توفره حياة المدينة من رفاهية نسبية والحياة في أوساط المزارعين ومواجهة ضنك العيش بين صفوفهم وذلك من أجل كسب ثقتهم وبالتالي تتوفر لديه المقدرة في أن يلعب الدور الطبيعي والقيادي الذي تتطلبه قضية الإصلاح الزراعي وأن يكون همزة الوصل بين المزارع ودور البحث العلمي فعلى الجامعات العربية وحدها تقع مسؤولية إنتاج مثل هذا النوع من المهندسين.

أما مسؤولية تطوير القاعدة التكنولوجية البدائية التي يقوم عليها الإنتاج الزراعي في الوطن العربي فتقع ضمن اختصاصات الجامعات العربية. فأحد الجوانب الهامة لتبعية الأقطار العربية للبلدان الرأسمالية المتقدمة يتمثل في التبعية التكنولوجية. فاستيراد التكنولوجيا من البلدان الرأسمالية ربما أضر في كثير من النواحي بواقع المجتمع العربي ومستقبله وتمثل هذه الأضرار في ثلاثة أوجه: الأول هو استنزاف موارد النقد الأجنبي الذي يجب توفره لاستيراد التكنولوجيا والثاني هو إمكانية عدم ملاءمة هذه التكنولوجيا المستوردة لبيئة الإنتاج الزراعي في الوطن



العربي والثالث هو مد الطريق وبالتالي حرمان القطاع الصناعي في الوطن العربي من إنتاج هذه التكنولوجيا. لذلك فعلى عاتق الجامعات العربية وحدها تقع مسؤولية إجراء البحوث اللازمة لاقتراع التكنولوجيا التي تلائم البيئة العربية للإنتاج الزراعي وتطويرها.

٥ - ٥ - التعليم العالي والقطاع الصناعي

لو توفرت القدرة لقطاع اقتصادي واحد لتجسيد أزمة الجامعات في الوطن العربي لكان ذلك القطاع هو القطاع الصناعي دون أدنى شك. فأخذ أهم مميزات هذا القطاع هو ضيق قاعدته الإنتاجية وضعفها وتبعيته شبه المطلقة لاقتصاديات البلدان الرأسمالية المتقدمة. فإن نسبة مساهمة القطاع الصناعي إلى الدخل القومي في معظم الأقطار العربية لا تتجاوز الـ 15٪ وهو يعتمد إلى حد كبير على النمط التجميعي للصناعة أي تلك التي تستورد معظم مدخلات إنتاجها من خارج الوطن العربي وبالتالي فالصلة الواجب توفرها بينه وبين بقية القطاعات الاقتصادية الداخلية تتقدم أو تكاد وتحل مكانها الصلة المباشرة بينه وبين القطاعات الاقتصادية للبلدان الرأسمالية المتقدمة أو غياب ما يعرف في علم الاقتصاد بالارتباطات الأمامية والخلفية بين القطاعات الاقتصادية المختلفة التي تشكل الأساس السليم لخلق القاعدة الاقتصادية المترابطة الأطراف. ومن الملاحظ كذلك غياب القطاع الرأسمالي داخل القطاع الصناعي للأقطار العربية، أي ذلك القطاع المؤهل لإنتاج السلع الرأسمالية أو تلك السلع القادرة على إنتاج وسائل الإنتاج نفسها. ومن دون أن يتمكن الاقتصاد العربي من خلق هذا القطاع الهام وتطويره فإنه سيستحيل عليه إحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية العميقة المحتوى لأن تاريخ التطور الصناعي لبلدان أوروبا، الرأسمالية منها والاشتراكية لم يحدثنا عن نجاح تجربة واحدة دون أن تتمكن من خلق هذا القطاع الهام⁽¹⁵⁾.

وهنا يكمن التحدي الرئيسي الذي يواجه الجامعات في الوطن العربي ألا وهو

(15) فيما عدا النادر والقليل من الدول كالدنمارك مثلاً وحتى في هذه الحالة فإنه لم يتسن لها تحقيق التنمية الاقتصادية إلا بتحويل قطاعها الزراعي نفسه إلى قطاع صناعي.

إجراء البحوث العلمية اللازمة لتطوير القطاع الصناعي وبالذات القطاع المنتج للسلع الرأسمالية ومن ثم تأهيل الكوادر الفنية التي يحتاجها تطور القطاع الصناعي وتدريبها لا لتكون بديلاً للخبرة الأجنبية التي يعتمد عليها القطاع الصناعي في الأقطار العربية في الوقت الراهن فقط وإنما لتتمكن من تشغيل وحدات هذا القطاع بكامل طاقتها القصوى وذلك عن طريق توفير الصيانة وقطع الغيار اللازمة لها خلال عمرها الاقتصادي .

هنالك بند ثابت في ميزانية الدول المتقدمة تحت عنوان «البحث» و«التنمية» وهذا إن دل في شيء فإنما يدل على الأهمية القصوى التي توليها تلك المجتمعات لدور البحث العلمي الطليعي في بناء قاعدتها الإنتاجية . فمن المعروف أن من الأهداف الأساسية لموضوع التخطيط من أجل التنمية هو إمكانية تطوير القوى المنتجة للمجتمع للوصول إلى المستوى الذي تتمكن فيه من توفير السلع والخدمات الضرورية بأعلى مستوى من الكفاءة الإنتاجية وبأقل تكلفة بحيث يمكن تقديمها للمواطن في أجود أصنافها وبأثمان تكون في متناول القوة الشرائية للمواطن هادفة بذلك إلى تحسين المستوى المعيشي لجميع أفراد المجتمع والارتفاع به .

فالهدف الأساسي للبحث العلمي هو التمكن من الوصول بالعملية الإنتاجية إلى أرقى مستوى لها من الكفاءة وذلك لن يتأتى إلا بعد أن يكون التخصص الدقيق هو النمط السائد للإنتاج وذلك بأن يكون قائماً بالطبع فوق أرقى أشكال تقسيم العمل الممكنة داخل المجتمع . فالمجتمعات الصناعية المتقدمة لم تصل إلى ذلك المستوى من التطوير التكنولوجي إلا بعد أن بذلت جهداً لا يستهان به وقامت بعمليات استثمارية واسعة النطاق في مجال البحث العلمي باعتباره المدخل الوحيد لتحقيق الاختراعات العلمية وبالتالي توفير التكنولوجيا الحديثة للقاعدة الإنتاجية .

إن أحد أهم التحديات التي تواجه الجامعات في الوطن العربي هو مدى إمكانية مساهمتها في اختراع التكنولوجيا التي تناسب المناخ البيئي والاجتماعي

للمجتمع العربي وتصنيعها والقضاء على أسطورة «صنع في إنجلترا» كرمز لسيادة الثقافة الاستهلاكية «المستوردة» من الغرب التي تعبر عن التثمين العالي لكل ما هو آت من تلك البلاد وذلك بغرض التقليل من التبعية التكنولوجية للبلدان الرأسمالية كهدف آني، بغرض الإجهاز عليها تماماً كتحد استراتيجي. إن الطريق الوحيد لذلك في اعتقادنا، هو إحلال الفكر العلمي محل الإثارة الفكرية. وإن الأسلوب الأمثل لذلك هو اعتماد العلم والتفكير العلمي كمنهج يحكم مستقبل تطور المجتمع العربي. وإن أول ما يتطلبه هذا النهج هو توفير الوسائل الضرورية لنجاح البحث العلمي ويأتي في طليعتها توفير الإمكانيات المالية التي تكفي للقيام بالأبحاث العلمية الناجحة وهذه هي مسؤولية جميع الحكومات في الأقطار العربية دون استثناء⁽¹⁶⁾.

إن توفير الإمكانيات الضرورية لدور البحث، وفي طليعتها الجامعات العربية سوف يعبد الطريق أمام إجراء البحوث العلمية الناجحة، وبالتالي خلق الشروط الضرورية للسير في هذا الطريق بثبات ورباطة جأش وثيقة كبيرة في دار العلم والمتعلم العربي وهو الضمان الأكيد للإجهاز النهائي على التبعية التكنولوجية أحد أوجه تبعية الوطن العربي المطلقة للبلدان الرأسمالية المتقدمة.

الوجود الصهيوني في الوطن العربي

من المعروف أن أقطار الوطن العربي تعيش حالة صراع مع الصهيونية العالمية متمثلة في الوجود الصهيوني في فلسطين المحتلة ولفترة الأربعين عاماً الماضية. هذا الصراع له جذوره التاريخية وله أبعاد وأوجه مختلفة منها السياسي والاقتصادي

(16) من الأمثلة العميقة الدلالة على عدم جدية الحكومات العربية اعتماد الأسلوب العلمي كمنهج ليحكم تطور مجتمعا هو ما اعتمده سلطات جامعة الخرطوم من ميزانية بحثية لكلية الاقتصاد والدراسات الاجتماعية، وهو محكوم بالطبع بما تعتمد لها السلطات الحكومية من ميزانية، للعالم المالي 1987/1986. فقد رصدت سلطات الجامعة مبلغ (14 ألف جنيه)، أي ما يعادل حوالي (5) آلاف دولار في ذلك الوقت، كميزانية بحوث لكلية يبلغ عدد أساتذتها (65) أستاذاً في ذلك الوقت. إن هذا في تقديرنا يعتبر نوعاً من العبث فقط إذ أن هذا المبلغ لا يكفي حتى لإجراء بحث واحد أكاديمي جاد.



والثقافي، والتكنولوجي... الخ... ولكن قاعدته الأساسية هي الصراع الحضاري بين الكيان الصهيوني وبين الموروث التاريخي لحركة التحرر في الوطن العربي.

إننا نعتقد، ونأمل ألا يجانبنا الصواب في اعتقادنا هذا، بأن السلاح الوحيد والأكثر فعالية في جسم هذا الصراع لمصلحة حركة تحرر الوطن العربي هو سلاح العلم. فبسلاح العلم يمكننا تحرير المواطن العربي من حالة الجهل والدجل والمرض التي يعيشها الآن وكانت نتاجاً طبيعياً لحالة الجهل المنظم التي تعرض لها هذا المواطن من قبل القوى الاستعمارية وربيباتها من العناصر المحلية. فوجود المواطن الحر هو الضمان الأكيد لنجاح حركة التحرر الوطني في كسب هذا الصراع لأنه هو الوحيد القادر على التعليم، وبأخص درجة من الكفاءة، على مختلف أساليب إدارة الصراع الحضاري ووسائله فالجامعات العربية يجب أن تكون في طليعة القلاع الرئيسية المنتجة لهذه الأساليب والوسائل وذلك عن طريق إجراء البحوث العلمية التي تدعم وتعضد هذا الاتجاه.

فالمؤسف حقاً أن واقع الحال يشير إلى عكس هذا الاتجاه فبرغم الفارق الكبير في الإمكانيات البشرية إلا أن ما ينتجه الوطن العربي من أبحاث علمية يقل في مجموعه عن نصف ما تنتجه إسرائيل. وفي دراسة قام بإعدادها الأستاذ انطون زحلان، متضمنة مقارنة بين الإنتاج العلمي في كل من الوطن العربي وإسرائيل اتضح وجود فجوة علمية هائلة وخطيرة. والأدهى من ذلك أن هذه الفجوة آخذة في الازدياد إذا لم تتكاتف كل الجهود العلمية في الوطن العربي لتداركها قبل فوات الأوان. فقد بلغ الإنتاج العلمي في الوطن العربي ما نسبته 41% من الإنتاج الإسرائيلي في عام 1967 م وتدهورت هذه النسبة إلى 40% بعد مرور عقد من الزمان أي في العام 1977. فهذا يوضح أن الفجوة العلمية بين الوطن العربي وإسرائيل آخذة في الاتساع رغم ازدياد عدد سكان الوطن العربي بحوالي 30 مليون نسمة وازدياد ناتجة القومي من 25 بليون دولار إلى 140 بليون دولار خلال نفس الفترة. هذا مع العلم بأن إعداد خريجي الجامعات في الوطن العربي قد ارتفعت من 300



ألف إلى 856 ألف خلال نفس الفترة مع احتمال وصولها إلى المليون خلال العام 1988 م⁽¹⁷⁾.

ونعتقد أن مسببات هذه الفجوة العلمية الهائلة بين الوطن العربي واسرائيل ترجع إلى عدة عوامل أهمها: (18):

1 - ضعف بنية نظام التعليم الجامعي في الوطن العربي نظراً لأنه يقوم على تخطيط قطري ضيق يعتمد على واقع تجزئة الوطن العربي إلى أقطار لكل منها حدودها، وسياساتها، وإيدولوجيتها وفلسفتها التربوية الخاصة بها مما حدا بكل قطر عربي على أن يصوغ نظام تعليمه الجامعي وفق فلسفته وما تقتضيه ظروفه المحلية، الأمر الذي أدى إلى تبديد الكثير من الطاقات العربية وإهدار الكثير من الموارد المالية والبشرية، فعلى سبيل المثال، ونتيجة لعدم التنسيق بين مختلف الأقطار العربية، نجد أن بعض الجامعات الحديثة في بعض الأقطار النفطية تتوفر لدى جامعاتها إمكانيات مادية وتقنية هائلة من حيث المباني والمعامل والمكتبات، ولكنها تشكو من قلة إعداد الطلاب الملتحقين بها نظراً لقلّة عدد سكانها أو عدم توفر الرغبة الأكيدة للالتحاق بالجامعات نتيجة للجو السائد غير المساعد على تلقي العلم والمعرفة، إضافة إلى النقص الهائل في أعضاء هيئة التدريس من العناصر الوطنية. وفي المقابل نجد أن بعض الجامعات في بعض البلدان العربية عاجزة عن استيعاب جميع الطلاب المؤهلين أكاديمياً للالتحاق بها ولذلك لضعف إمكانياتها المادية ولقلة النسبة الموجودة من أعضاء هيئة التدريس وذلك نتيجة هجرتهم إلى الخارج بحثاً عن الحوافز المادية التي يفتقدونها في جامعاتهم.

2 - ضحالة البحوث التي تقدمها الجامعات العربية وشكليتها وعدم نفاذها إلى جوهر القضايا التي يواجهها المجتمع العربي إلى الحد الذي يمكننا من القول بعدم

(17) محمد أحمد الغنام «بدائل التعليم العالي» «التربية الجديدة»، السنة السادسة، عدد 16، 1978، ص 6

- 1

(18) فضل عبد الله، نظم التعليم العالي والجامعي بالجمهورية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس 1986.



وجود بحث علمي بمعناه الدقيق على الرغم من تعدد مراكز البحوث وتنوعها في الوطن العربي. والدليل على ذلك أنه وإن وجد الأستاذ المؤهل علمياً لإجراء هذا النوع من البحوث فإن نشاطه البحثي لا يتعدى الـ 5٪ من مجموع نشاطه الجامعي، في الوقت الذي يمثل فيه النشاط البحثي للأستاذ في جامعات الدول المتقدمة حوالي 35٪ من أعباء وظيفته الجامعية، ومرد هذا في كثير من الأحوال يرجع إلى الوضع المادي المتردي للأستاذ الجامعي مقارنة بالشرائح الأخرى في المجتمع التي ربما كانت أقل تأهيلاً منه من الناحية العلمية. لذلك فقد ينصرف الأستاذ الجامعي من أداء وظيفته الأساسية إلى أداء وظائف إضافية حتى يتمكن من زيادة دخله وذلك لتوفير لقمة العيش الكريم له ولأفراد أسرته وذلك عن طريق قيامه بأعمال لا صلة لها بالبحث العلمي مما يحول بينه وبين القراءة والاطلاع على الجديد في ميدان العلم والمعرفة. أضيف إلى ذلك ضعف الإمكانيات البحثية في معظم جامعات الوطن العربي وانشغال الأساتذة إما بالتدريس أو الأعمال الإدارية الأخرى مما يحول بينهم وبين إجراء البحوث الأكاديمية الجادة.

3- إن معظم الجامعات في الوطن العربي لا تعطي للبحث العلمي الأهمية المنوطة به والأولية التي يستحقها ولا توفر له وسائله الضرورية كالمكتبات المتخصصة، علماً بأن البحث العلمي يعد من أهم الرسائل التي يجب أن تقوم بها الجامعة كما ينص على ذلك معظم قوانين الجامعات العربية.

4- هجرة الكفاءات العربية لأسباب سياسية أو اقتصادية أو علمية مما كان له الأثر المباشر في إيجاد تلك الفجوة العلمية بين الوطن العربي والكيان الصهيوني.

5- عدم وجود الصلة الوثيقة بين الجامعة ومراكز البحث العلمي من جهة، وبين المؤسسات الإنتاجية في المجتمع من جهة أخرى، وهو ما أطلقنا عليه «البرج العاجي» الأمر الذي شكل عائقاً أمام الجامعة وحرمها من أداء دورها في دراسة مشاكل المجتمع ووضع الحلول العلمية المناسبة لها.

كل هذه الأسباب وغيرها ساهمت في صنع التحدي الذي يواجه الجامعات في الوطن العربي المتمثل في الفجوة العلمية الهائلة بينها وبين جامعات الكيان الصهيوني



ومراكز بحوثه. وإننا نعتقد اعتقاداً جازماً باستحالة تضييق هذه الفجوة، والإجهاز عليها نهائياً، ما لم تتمكن الجامعات في الوطن العربي بالإجهاز أولاً والقضاء التام على ما يمكن لنا تسميته «بالجهل المسلح بالشهادات» والقضاء التام عليه الذي يميز معظم خريجي الجامعات في الوطن العربي. هذا الجهل الذي يشكل أساسه:

1- التركيز على منح الطالب كماً هائلاً من المعلومات العلمية التي لا تمت، في كثير من الأحيان، إلى واقع مجتمعه بصلة والتي لا يمكن تطبيقها إلا في أضيق حدود وذلك لعدم الاهتمام الكافي بالتجارب العلمية.

2- محدودية خيارات الدراسة وحصرها في خيارين أساسيين، برنامج علمي وآخر أدبي، مع انعدام التنوع والخيارات داخل كل برنامج بما يتناسب مع ميول الطالب وقدراته.

3- ربما كان من أهم مواطن الخلل في نظام التعليم في الوطن العربي أنه لا يقدم خياراً فعالاً وأساساً سليماً للتعليم المهني في مراحل الدراسة العامة. ففي معظم الأقطار العربية لا تتعدى هذه النسبة إلى 5% من مجموع طلاب المرحلة الثانوية فيما تصل إلى 50% في إسرائيل مثلاً⁽¹⁹⁾. وإذا ربطنا هذه الظاهرة بالتوجه النظري للتعليم الثانوي عموماً لأدركنا حجم الضغوط التي تتعرض لها الجامعات العربية من حيث إنها أصبحت الخيار الوحيد المتوفر أمام الطلاب.

4- لو تمت مقارنة عشوائية بين بعض الكتب المقررة للمساق العلمي في جميع مراحل التعليم في الوطن العربي مع مثيلاتها من الكتب المقررة في الدول المتقدمة لوجدنا فروقاً واضحة في المستوى، والأسلوب، والرسم وحتى مستوى الطباعة.

6- الديمقراطية مفتاح الحل لأزمة الجامعات العربية:

ربما أبدى البعض دهشته واستغرابه للعنوان الذي اخترناه لهذا الجزء خاتمةً

(19) عصام النقيب. «دور العلم في التنمية والتغير في الوطن العربي». أفكار أولية «مجلة المستقبل العربي» العدد 40، يونيو 1982.



لهذا المقال، أو ربما تساءل عن علاقة التعليم الجامعي بأحد مواضيع علم السياسة وهو مسألة الديمقراطية. ولكننا نبادر ونقول إن من أهم العوامل التي أضرت إضراراً بليغاً بنظام التعليم الجامعي في الوطن العربي هو محاولة بعض القائمين بأمره بإضفاء قدسية زائفة عليه وذلك عن طريق جعل الجامعة مستقلة استقلالاً تاماً في جميع مناحي حياتها عن بقية مؤسسات مجتمعنا. ذلك الاستقلال الذي حول الجامعات العربية إلى «أبراج عاجية» وكما أسلفنا القول إننا لسنا ضد استقلال الجامعات العربية بل على العكس من ذلك تماماً وربما نكون من أكثر الناس حماساً له ولكن مفهوم الاستقلال الذي نتمسك به وندعوه له يختلف كلياً اختلافاً عن المفهوم السائد اليوم - مفهوم الاستقلال الجامعي السائد في الوطن العربي الآن يدعو إلى استقلال الجامعة عن المجتمع ولكننا ندعو إلى ربط الجامعة بالمجتمع بأوسع الروابط الممكنة وأوثقها كشرط ضروري لتطوير المجتمع والجامعة نفسها أي أهمية إزالة «الأبراج العاجية» وكشف مضمون القدسية الزائفة التي حرمت الجامعات العربية من أن تكون واحات علمية وارقة الظلال وحولتها إلى صحارى علمية ليس لها من ناتج إلا القليل. إن مفهوم الاستقلال الذي ندعوه له هو أهمية استقلال الجامعات في الوطن العربي عن الحكومات العربية كما تتمكن من أداء رسالتها على الوجه الأكمل فالوضع الحالي لمعظم الجامعات في الوطن العربي، وهو الخضوع التام لحكومات تلك الأقطار، هو الذي جعل منها أجساماً مشوهة وقاصرة عن أداء دورها حتى في أدنى مستوياته وفي أضيق الحدود الممكنة - والسبب المباشر لذلك هو الإشراف الحكومي التام على كل ما يجري داخل الحرم الجامعي من نشاط وفرض رقابة صارمة على مختلف أوجه الحياة الجامعية وذلك ليس بغرض الإمام بجميع تفاصيله من أجل تقويمه وتطويره وإنما، كما دلت التجارب من أجل تحجيمه والقضاء على جوانبه الإيجابية.

هذا النشاط وهذه الحيوية تجعل الجامعة في طبيعة المؤسسات الاجتماعية التي تملك نظرة ثاقبة لمشاكل المجتمع، وبحكم استقلالها النسبي عن العملية الانتاجية وبالتالي انتهاء أساتذتها وطلابها الفئة المتعلمة المستنيرة، تكون قادرة على التصدي الشجاع لتلك المشاكل وتقديم البرامج العلمية البديلة لمعالجتها وتلك البرامج تتناقض في كثير من الأحيان مع المصالح الضيقة للحكومة. وبما أن الوطن العربي قد



ابتلى بأسوأ أنواع الدكتاتوريات السياسية في العالم الثالث يصحح من غير المنطقي ترك الجامعات العربية لتتوارس نشاطها في حرية تامة، والحرية كما نراها تكمن في ناحيتين رئيسيتين، الأولى هي نشاط أعضاء هيئة التدريس والثانية هي نشاط الحركة الطلابية.

فتقييد نشاط أعضاء التدريس يتمثل أساساً في انعدام حرية البحث العلمي. إن ما نعنيه بهذه الحرية هو تمكن الأستاذ الجامعي من القيام بإجراء البحوث العلمية على مختلف المشاكل التي تهم مجتمعه وفي موضوعية تامة دون الخوف من النتائج التي يتوصل إليها البحث. وليس هذا فقط، مع أنه أهم جزء يجب توفره لضمان حرية البحث العلمي، بل أيضاً ضرورة نشر ما يتوصل إليه من نتائج بغض النظر في أنها تضر أو تخدم مصلحة أي من طبقات وفئات المجتمع. وبما أن نتائج معظم البحوث العلمية الجادة، إن وجدت، تأتي ضارة بمصالح الحكومة والفئات والطبقات الاجتماعية التي تساندها فهي لذلك تأخذ مواقف معادية لحرية النشر والتعبير، فجامعة لا تتوفر لها حرية النشر والتعبير تتحول إلى جهاز عاجز عن أن يقوم بأداء مهمته على كل المستويات.

أما تقييد نشاط الحركة الطلابية فيأتي على مستوى مختلف بعض الشيء عن نشاط أعضاء هيئة التدريس رغم استناد نجاحها على توفر الحرية داخل الحرم الجامعي. فالفئات الطلابية بحكم انتابها للفئة المتعلمة المستنيرة وبحكم ابتعاد موقعها عن العملية الانتاجية ليست لها مصالح مباشرة في أسلوب الانتاج السائد وبالتالي في المؤسسات السائدة، الحكومة، والقضاء، والجيش والشرطة والسجون... الخ... المشرفة على استمراره وإعادة إنتاجه. لذلك تصبح الفئات الطلابية، في كثير من الأحيان، من أكثر فئات المجتمع شجاعة في التصدي لما تراه، من وجهه نظرها، وواجبها في تصحيح مسار الأمور الوطنية والقومية. يقود هذا النشاط وهذا الحماس المنقطع النظر، في معظم الأحوال، إلى تغيير الحكومات داخل الوطن العربي، هذا إن لم يقود إلى تغيير النظام بأكمله⁽²⁰⁾. هذا النشاط قد دفع بأجهزة

(20) الحركة الطلابية جزء لا يتجزأ من المجتمع الجامعي، بل هي جزء رئيسي وأساسي فيه. فالاهتمام =



الأمن إلى التدخل المستمر لوقفه، غير عابثة بقدمية أماكن العلم والفكر مما أدى إلى تعطيل الدراسة وفترات طويلة مضرّة بذلك بمصالح الطلاب، والجامعة والمجتمع بصورة عامة.

توفر هذين النشاطين داخل الحرم الجامعي وهو الضمان الأكيد والوحيد كما تؤدي الجامعة دورها الطبيعي في المجتمع. فعلى عاتق الجامعة تقع مسؤولية إعداد الخريج القيادي وليس الخريج الفني فقط كما أرادت القوى الاستعمارية وخطت لذلك. فالأساس السليم والمناخ الصالح لتربية الكوادر القيادية هو توفير الحرية لها لممارسة نشاطها. وأساس هذه الحرية، كما نراه، يكمن في توفير الديمقراطية للجامعات في الوطن العربي، وإن توفير الديمقراطية سوف يجعل من الجامعات العربية قادرة على إنتاج الإنسان الحر القادر على التعبير عن رأيه دون خوف أو وجل والقادر على قول الحق والتمسك به والعمل به وتحمل نتائجه.

هذه الديمقراطية هي وحدها القادرة على تفجير الطاقات الهائلة الكامنة في الإنسان العربي. هي وحدها القادرة على تطوير ملكاته العقلية وتفجير طاقاته الذهنية الخلاقة التي تجعله قادراً، فعلاً لا قولاً، على التصدي لمشاكل مجتمعه بالعمق والأمانة اللازمين لعلاجها وحسمها.

هذه الكوادر القيادية المدربة هي الوحيدة القادرة على الانتشار في جميع أوساط المجتمع وبذلك تكون قادرة على التعليم وعلى بحث قضاياها وعلى أعمال الفكر وبالتالي التوصل إلى أنجح الوسائل لحلها، وبالتالي تكون الديمقراطية هي المدخل لحل أزمة الجامعات في الوطن العربي.

محتوى هذه الديمقراطية يتمثل في الاستقلال المالي والأكاديمي والفكري للجامعات في الوطن العربي عن الأنظمة الحاكمة مع أهمية ربطها بقضايا مجتمعتها

= بمختلف جوانبها له من الأهمية ما يجعله مادة رئيسية لبحث منفصل. ولكن ما نود الإشارة إليه هو دور الحركة الطلابية في مسار حركة السياسة على مستوى الأقطار العربية. فتجارب السودان في الأعوام: 1964 م - 1973 - 1981 - 1985 م. وتجربة ليبيا في عام: 1964 م. وتجربة الجزائر في عام 1988 م، على سبيل المثال لا الحصر، خير دليل على ذلك ونؤكد أهمية إجراء بحث منفصل لتوضيح هذا الدور.



وبالتالي يجعلها قادرة على خدمة هذا المجتمع . في هذا الاتجاه ويجدر بنا التنويه إلى الآتي:

أولاً: ضرورة أن تشارك الجامعات في الوطن العربي في إعداد خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وفي مناقشتها وإقرارها وفي الاشتراك في اللجان المسؤولة عن الإشراف على تنفيذها وذلك بغرض ربط المؤسسات التعليمية ببقية المؤسسات الإنتاجية داخل المجتمع وإعداد ما تحتاجه تلك المؤسسات من كوادر فنية وقيادية .

ثانياً: العمل على إجراء مسح شامل للموارد البشرية من حيث الكم والنوع للاستفادة منها كل في مجال تخصصه ومن ثم القيام بعمل دليل للكفاءات العلمية المتوفرة بغرض الاستفادة القصوى من طاقاتها المهدرة .

ثالثاً: التزام اللغة العربية لغة تدريس في جميع المراحل بما فيها الجامعات بالذات في جوانب الدراسات الإنسانية والعلوم التطبيقية، مما يتطلب الإعداد الجيد والمتقن عند القيام بمهام التأليف والترجمة وذلك عن طريق تكوين هيئة قومية للترجمة على مستوى الأقطار العربية يكون للجامعات العربية دور رئيسي فيه .

رابعاً: أهمية العمل الجاد والصارم لإحلال الخبرات المحلية مكان الخبرات الأجنبية في جميع القطاعات الاقتصادية والخدمية كلما كان ذلك ممكناً .

خامساً: تعد الكليات المنتجة، في إطار التعليم الجامعي، أحد أهم وسائل التمويل الجامعي وعلى سبيل المثال يمكن لكليات الزراعة أن تسهم من خلال الاستغلال الأمثل لحقولها في مجال الإنتاج النباتي والحيواني أو الصناعات الغذائية في خلق سوق محلية ذات منتجات متطورة وتعد عائداً جزءاً من السعي لتوفير الاستقلال المالي للمجتمعات .

سادساً: أهمية إجراء التدريب الميداني في مواقع النشاطات الاقتصادية والاجتماعية إذ لا يجب أن يقتصر ذلك على معامل كليات الجامعة فقط بل يجب أن يصبح امتداده إلى مواقع النشاط الزراعي والصناعي جزءاً لا يتجزأ من المقررات والبرامج الدراسية .

سابعاً: بعد التجهيز والإعداد الكامل لخلق الجامعة المنتجة والمرتبطة بقضايا



مجتمعها يمكن اللجوء إلى بحث إمكانية تطبيق نظام الجامعات المفتوحة بالذات في مجال تعليم الكبار ومحو الأمية .

ثامناً: أهمية تكريم أعضاء هيئة التدريس معنوياً ومادياً وذلك عند اجتهادهم في إيجاد أنجح الحلول للمشاكل التي تواجه المجتمع العربي .

عن طريق هذه الخطوات يمكن للجامعات في الوطن العربي أن تساهم بشكل فعال في القضاء على ظاهرة التبعية شبه المطلقة للمجتمع الرأسمالي المتقدم وفي خلق التكنولوجيا المناسبة لظروفه وبالتالي تطوير قاعدته الإنتاجية مما يجعله أكثر ترابطاً وقوة وصلابة في مواجهة المنافسة الخارجية، وكذلك في تطوير الثقافة القومية وفي إعداد الخريج القادر، القيادي والفاعل في توجيه مختلف النشاطات المنتجة وتطويرها وحينها ستنتهي ظاهرتا «البرج العاجي» والجهل المسلح بالشهادات .

المراجع

دوريات .

- (1) حامد عمار، حول التعليم العالي العربي والتنمية، مجلة المستقبل العربي العدد 40، 1982 م .
- (2) عصام النقيب، دور التعليم في التنمية والتغير في الوطن العربي، أفكار أولية مجلة المستقبل العربي العدد 40، يونيو 1982 م .
- (3) هشام أبو قمر: دور التعليم في تنمية الذاتية العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد 40، يونيو 1982 م .
- (4) حامد عمار، التربية العربية وعائدها الإنمائي، مجلة المستقبل العربي العدد 40 يونيو 1982 م .
- (5) محمد السيد سليم، الجامعات العربية وظاهرة التبعية العلمية، مجلة المستقبل العربي، العدد 40، يونيو 1982 م .



- (6) سالم توفيق النجفي، الجامعة والمجتمع، دراسة في الدور المنتظر للجامعة في المجتمعات النامية، مجلة اتحاد الجامعات العربية، عدد 3، 1986 م.
- (7) موسى الصفدي وأبو بكر القري، دور الجامعة في خدمة المجتمع المحلي، مجلة اتحاد الجامعات العربية، عدد 3، 1986 م.
- (8) أحمد زكي بدوي، دور الجامعات في دعم دراسات العمل، مجلة العلوم الاجتماعية العدد الثاني، السنة السابعة، يوليو 1979 م.

المكتبة

- (1) محمد لبيب النجعي، دور التربية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للدول النامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1981 م.
- (2) محمد يونس محمد وعبد المنعم مبارك، مدخل إلى الموارد واقتصادياتها دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985 م.
- (3) عمر التومي الشيباني، ديمقراطية التعليم في الوطن العربي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس 1986 م.
- (4) انطوان زحلان، العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1979 م.
- (5) فضل عبد الله، نظم التعليم العالي والجامعي بالجمهورية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس 1986 م.
- (6) سعدون حمادي، وزكي الجابر، ومسارح الراوي، وعدنان أبو عمشة، وقمر الدين قرنبيع، ومحمود محمود، دور التعليم في الوحدة العربية، بحوث ومناقشات ووقائع الندوة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت أكتوبر 1980 م.





حول المقال العلمي وكتابت

بمقام

د. بدر الدين حامد علي

د. أبو بكر أحمد بشير

قسم علم الأروية جامعة العرب الطبية
بنغازي



مَجَلَّةُ قَائِمَاتِ الْعِلْمِ





الملخص

تعرضت هذه المقالة لأنواع مختلفة من الكتابة العلمية التي تشمل المقال الأصلي والمقالة المختصرة والمقال النقدي والمقال الافتتاحي ورسائل إلى المحرر، وخواص كل نوع وصفاته.

تخلص هذه المقالة إلى أنه يجب على كاتب المقال العلمي أن يهتم بأن تكون مقالته بسيطة في اختيار كلماتها واضحة في لغتها، مختصرة ودقيقة في عرضها نتائج البحث ومناقشته.





مقدّمة

تعايش الأمة العربية - منذ سنوات - صراعات عنيفة ضد قوى مختلفة تشمل كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها. ولعل أحد أوجه هذه الصراعات هو محاولة الغرب مسح تراث الأمة العربية «وتغريب» مثقفها بربطهم بثقافة الغرب ولغاته. . . . إن أحد أوجب واجبات المثقف والمفكر والعالم العربي هو العمل على الانعتاق من ربة الاستعمار الثقافي الغربي المفروض ومحاولة إعادة الحياة للهوية العربية للعلوم ولاستعمال لغة العرب لغةً عالمية في مجالات التدريس والبحوث. ولما كانت اللغة العربية لا تستعمل إلا في مواطن قليلة - كلغة لنشر البحوث العلمية المحكمة فلقد ارتأينا أن نساهم بهذه المقالة المختصرة في تبيان بعض خواص كتابة المقال العلمي وشروطها آمليين أن يقبل علماءنا العرب على خوض هذا المجال والتوسع في نشر المقالات العلمية بلغتنا الأم.

أنواع المقالات العلمية:

يمكن أن يأخذ المقال العلمي شكل المقال الأصلي (Original Paper) وهو أكثر الأنواع شيوعاً، أو المقال العلمي القصير، ويعرف أيضاً بالتوصيلة العلمية (Short Communication)، أو رسالة إلى المحرر (Letter to the Editor)، أو قد يأخذ



شكل المقال النقدي (Review article)، أو المقال الافتتاحي (Editorial).

وبغض النظر عن الشكل الذي يأخذه المقال العلمي فإن الطابع العام والأسلوب السائد في كتابة هذه الأنواع المختلفة من المقالات هو «الأسلوب العلمي» الصارم الذي لا مجال فيه للتكرار أو البلاغة اللفظية كما سنفصل ذلك لاحقاً.

١ - المقال الأصلي:

يهدف هذا النوع من الكتابة إلى إيصال نتائج بحث علمي في موضوع محدد مبيناً الطرق والوسائل المستخدمة ومناقشة ما تعنيه النتائج المتحصل عليها. ويكون المقال الأصلي عادة مقسماً إلى الأقسام التالية:

(أ) العنوان: لعله من أشق الأمور على الباحث اختيار عنوان مناسب لبحثه إذ إن العنوان يجب أن يجمع بين شمول المعنى واختيار الألفاظ. وهذه «المعادلة الصعبة» لا يمكن حلها إلا بالمران والمراس والخبرة في الكتابة العلمية. ينبغي على الباحث أن يختار عنواناً «مشوقاً» ليجذب انتباه القارئ لمواصلة القراءة في المقال، ثم إن العنوان يجب أن يحدد - وفي أقل عدد كلمات ممكنة - ماهية البحث وطبيعته. ولكن يجب ألا يعد الكاتب قارئه ببضاعة لا يستطيع أن يؤديها له، فكم من مقال ذي عنوان مثير لا تجد فيه ما يثبتك به عنوانه.

إن العناوين الكثيرة الشبوح في المقالات العلمية المتخصصة تأخذ شكلاً مثل «تأثير دواء (أ) على إفراز هرمون (ب) في خلايا غدة البنكرياس المعزولة من الأرانب». فهذا العنوان قد دلنا على الدواء المستعمل والمادة التي تم قياسها وأين تم القياس وفي أي حيوان. على أن هنالك أشكالاً مستحدثة في كتابة العناوين، فمثلاً يمكن صياغة العنوان السابق بهذا الشكل: «هل يؤثر دواء (أ) على إفراز هرمون (ب) في خلايا غدة البنكرياس المعزولة من الأرانب؟». وهناك قلة من الباحثين تفضل أن تذكر نتيجة البحث النهائية في العنوان كقولهم «دواء (أ) لا يؤثر على إفراز هرمون (ب) في خلايا غدة البنكرياس المعزولة من الأرانب». على أن كتابة العنوان بهذا الشكل الأخير سوف يجعل قلة فقط من الباحثين يقبلون على قراءته إذ إن مضمون البحث قد كشف عنه عنوان المقال. وتطالب بعض المجلات العلمية بأن



يقدم الكاتب عنواناً مختصراً (Short or Running Title) لكتابه على رأس كل صفحة من صفحات البحث. وكذلك يطالب بعضها بكتابة كلمات قلائل (Key Words) تكون أهم الكلمات الواردة في البحث مثل الدواء أو الحيوان، أو العضو الوارد ذكره في البحث.

(ب) الملخص: يوجز الملخص في كلمات قليلة ما قام به الباحث وما توصل إليه من نتائج رئيسية. وتكون لغة الملخص عادة مركزة في شكل جمل قصيرة منفصلة أو فقرات مرقمة. وينبغي تحاشي استعمال أرقام يصعب فهمها ويفضل استعمال كلمات واضحة بدل الأرقام. وتشكل نهاية الملخص الاستنتاج الذي توصل إليه الباحث. هذا ويفضل أن يكون الملخص في بداية الورقة. إن كثيراً من الباحثين لا يقرأون من الورقة العلمية غير العنوان والملخص فيجدر بالمؤلف أن يولي عناية خاصة بهما. ويكون الفعل المستعمل في الغالب في الملخص هو الفعل الماضي خلا الفقرة الأخيرة (التي قد تشمل الاستنتاج) فهذه قد تكتب في صيغة المضارع. يعقب الملخص عادة فقرة يضيفها الناشر تذكر تاريخ وصول الورقة المقدمة للنشر وتاريخ تصحيحها وقبولها ولعل أهمية ذلك تكمن في حفظ حقوق الباحث في السبق العلمي وأيضاً لتمكين المجلة من ترتيب المواد المقدمة للنشر التي تصلها وتصنيفها. هذا والجدير بالذكر أن عملية النظر والتمحيص ثم طبع الورقة العلمية وظهورها تستغرق نحواً من تسعة أشهر إلى اثني عشر.

(ج) المقدمة: مقدمة البحث تلخص باختصار نتائج البحوث السابقة التي أجريت على نفس الموضوع وتبين الأوجه التي لم تطرق من قبل مما دعا الباحث إلى القيام ببحثه للإجابة على سؤال أو أسئلة محددة أو لحسم خلاف أو تباين في النتائج المتحصل عليها في أبحاث سابقة. وتتميز المقدمة في المقالات العلمية بالقصر والتركيز وعدم التطرق لكل ما كتب في الموضوع المطروق وإلا صارت سرداً أو مقالة نقدية (أو فذلكة تاريخية) لتاريخ العلم وهذا ما ينبغي تجنبه في المقال الأصلي.

(د) الطرق والمواد المستعملة: يهدف هذا الجزء إلى توضيح الطريقة أو الطرق التي استعملها الباحث للوصول إلى نتائجه. وتختلف - بالطبع - الطرق والوسائل المستعملة باختلاف أنواع البحوث.



يبدأ هذا الجزء عادة بالحديث عن الحيوانات أو النباتات أو أجزاء منها (إذا كان البحث في علوم الحياة المختلفة) أو عن المرضى أو الأصحاء المتطوعين (إن كان البحث طبياً سريرياً) مبيناً الجنس والعمر والوزن والحالة العامة إلى غير ذلك من المعلومات الوثيقة الصلة بالبحث. ثم ينتقل الباحث بعد ذلك إلى وصف الطرق التي سلكها في تجاربه سواء أكانت طرقاً فيزيائية أو طبية أو كيميائية أو غيرها. إن من أوجب الأمور في الكتابة العلمية أن يوضح الباحث الطرق التي اتبعها في بحثه توضيحاً بيناً لا لبس فيه أو أن يشير إلى المراجع التي طرقت الموضوع باستفاضة من قبل وذلك لفائدة الباحثين الآخرين الذين يودون تكرار نفس البحث - إذا رغبوا - والتأكد من صحة النتائج المحصلة. إن أسلوب كتابة «الطرق والمواد المستعملة» يجب أن يتضمن الشمول (بحيث لا يغفل التفاصيل المهمة التي لا تقوم التجربة بدونها) والاختصار (حتى لا يغرق المقال في تفاصيل دقيقة تجعل المتابعة والفهم عسيرين).

والجدير بالذكر في هذا المقام أنه يجب تحاشي ذكر الأسماء التجارية للأدوية والمواد الكيميائية الأخرى المستعملة حتى لا يبدو المقال كأنه دعاية تجارية لأنواع بعينها دون أخرى، بل يجب ذكر الأسماء الرسمية المقبولة والمتعارف عليها عالمياً مع ذكر مصدرها ونذكر في هذا الجزء أيضاً أن الأطباء السريريين يفضلون استعمال كلمتي «المرضى والطرق» بدلاً من كلمة «المواد المستعملة» وذلك بالطبع - احتراماً لأدمية المرضى.

وينبغي أن يشمل هذا الجزء أيضاً إشارة إلى الطرق الإحصائية التي استعملت لمعرفة ما إذا كانت الفروق التي وردت في النتائج معنوية (Significant) أم لا؟

(ذ) النتائج: تكون النتائج في المقال العلمي عادة على شكل جداول أو أشكال توضيحية (رسومات) مع كتابة موجز مختصر جداً للنتائج في شكل جمل قصيرة. ولا تسمح المجلات العلمية عادة بأن تذكر النتائج السلبية على شكل جداول أو رسومات (لعدم جدواها في هذا المقام) بل يكتفي بالإشارة إليها في النص بجمل قصيرة كما لا تسمح المجلات أيضاً بأن تكرر النتائج في أكثر من صورة (مثلاً جدول وشكل توضيحيان معاً) كما يجب أن تكون كل النتائج المرصودة في شكل



جداول أو رسومات من الوضوح بحيث لا يحتاج القارئ إلى الرجوع إلى النص لفهم الجدول أو الرسم المعين. إن نتائج التجارب المعادة يجب أن لا تكرر إذ إنه يكفي أن يعطي المتوسط مع قياس المتغير (Mean and Variability). إن ذكر المدى (Range) فقط لا يعد مقبولاً لأنه لا يفيد القارئ في معرفة مدى المتغير (Variability) في النتائج. كما أنه لا بد من ذكر حجم العينة المستعملة إذ بدونها لا يكون للنتائج معنى دقيق.

لقد صار من الممكن الآن - ومع التطور العلمي الهائل في مجال الحاسوب الآلي - أن تقوم أجهزة الحاسوب بعمل الرسومات والجداول المطلوبة بعد إدخال المعلومات الخام (Raw Data). هذا ولا تحبذ أغلب المجلات العلمية الصور والأشكال الملونة وتفضل اللونين الأبيض والأسود، وقد يرجع ذلك لأسباب اقتصادية أو فنية بحثية. على أنه يسمح باستعمال الصور الملونة في الحالات التي تستدعي ذلك، مثال جزء مصاب في جسم الإنسان والحيوان ومتغير اللون.

(ر) المناقشة: قد تفرد بعض المقالات باب المناقشة منفصلاً عن باب النتائج المتحصل عليها وقد يضاف في باب واحد، وفي كلتا الحالتين تعد المناقشة من أصعب الأجزاء من ناحية الكتابة العلمية رغم أن البعض يعتقد أن جزء المناقشة هو الجزء الوحيد من الورقة العلمية الذي يعطي للباحث أكبر حرية للتعبير عن أفكاره وتقديم تفسير ونظريات تتعلق ببحثه. ولعل هذه الحرية - النسبية - هي التي تجعل جزء المناقشة عسير الكتابة. ويطلب الكاتب في هذا الجزء بتقويم النتائج التي تحصل عليها هو في الأساس مع الإشارة إلى نتائج الآخرين الذين طرقتوا نفس الموضوع من ناحية اتساقها أو اختلافها عن نتائجه وأيضاً من ناحية اختلاف المنظور (Scope) الذي عولج به الموضوع البحثي المعين. إن قوة المناقشة تعتمد على مدى فهم الباحث لموضوع بحثه ومدى تعمقه فيه ومعرفته بحدود إمكانية (Limitations) طرقه البحثية ونواقصها كما تعتمد كذلك على سعة علمه ومعرفته (النقدية) لما كتب في الموضوع ذاته من قبل كتاب آخرين.

إن الكاتب في المناقشة ينبغي أن يطرح على نفسه أسئلة عديدة مثل «هل يمكن دحض نظريتي في هذا المقال العلمي؟» أو «هل لنتائجي من تفسير غير الذي خطر



علي؟ إن الكاتب ينبغي أن يتوخى (الحيادية) في التفكير ويقبل فكرة أن ما أتى به من تفسير أو نظرية قابلة للتفسير من وجهة أو بوجهات نظر أخرى غير التي عننت له .

إن المجالات العلمية الرصينة لا تقبل أن تتضمن المناقشة فرضيات وتصورات (Speculations) لم يقم الدليل عليها من خلال البحث المقدم . إن من الأمور المستحبة في جزء المناقشة أن يشير الباحث إلى ما ينبغي التطرق له في ذات الموضوع في بحوث قادمة مما لم يتطرق إليه البحث موضوع الدراسة .

(ج) الخاتمة أو الاستنتاج : ينبغي أن تتقى كلمات الخاتمة أو الاستنتاج انتقاء حذراً . إن للكاتب أن يدون استنتاجه في ثلاثة مواضع في الورقة العلمية . في المقدمة وفي المناقشة وفي الملخص بيد أنه - وخشية التكرار الممل - ينبغي أن ينوع في أسلوب كتابة الاستنتاج في هذه المواضع الثلاثة، فإذا لم يفهم القارئ مراد الكاتب في موضع، فقد يتيسر له الفهم في موضع آخر . كما ينبغي استعمال أقصى درجات الاختصار في كتابة الاستنتاج في الملخص .

(و) المراجع : تختلف المجالات العلمية فيما بينها اختلافاً واسعاً في الطريقة التي تطالب الباحثين فيها بكتابة تفاصيل المراجع التي ورد ذكرها في البحث - ولكن وبصفة عامة - يستحسن أن يشمل ثبت المراجع اسم المؤلف أو المؤلفين، وعنوان المقال واسم المجلة أو الكتاب وتاريخ النشر ورقم الصفحات . كما ينبغي ذكر اسم الناشر ومكانه إذا كان المرجع كتاباً . كما تختلف المجالات العلمية اختلافاً كبيراً في الطريقة التي تشير بها إلى المراجع داخل النص فبعضها يشير إليها بكتابة أرقام وبعضها بكتابة الاسم الأخير للمؤلف مع إضافة كلمة (وآخرين) (et al) إذا كانوا عدة، مع كتابة العام . إن كل المحاولات التي بذلت لتوحيد الطريقة التي تكتب بها المراجع في كل المجالات العلمية قد باءت بالفشل، ولكن توجد طريقة فانكفور في كتابة المراجع، وقد بدأت أغلب المجالات في تبني هذه الطريقة التي تتلخص في أن يذكر رقم داخل النص يشير إلى المرجع الذي يكتب في ثبت المراجع بالطريقة التالية: الاسم الأخير للمؤلف مع الحروف الأولى لاسمه ثم كتابة عنوان البحث واسم المجلة ورقمها وعدد الصفحات، ثم العام (بين قوسين) .

ويجب على الكاتب الاهتمام بانتقاء المراجع بدقة ولا بد من أن يكون قد قرأ



فعلاً هذه المراجع إذ إنه من الخطأ أن يستعير الكاتب مراجع من مقال كاتب آخر (ويكرر بذلك الأخطاء التي قد يجوبها الأخير هذا). ولا تدل كثرة المراجع على سعة اطلاع الكاتب بقدر ما تشير إلى عدم مقدرة الكاتب على تمييز الجيد والمناسب من المراجع. وكذلك ينبغي على الكاتب الاتصاف بالإنصاف في اختيار المراجع ولا يوقف اختياره على كتاباته السابقة فقط ولا كتابات معارفه وأساتذته، بل يجب أن يكون معيار اختيار المراجع هو مناسبتها وملاءمتها للبحث.

(هـ) كلمة العرفان (أو الشكر) (Acknowledgements): تختتم الورقة العلمية عادة بجمل قصيرة يذكر فيها الباحث اسم الجهة التي مولت بحثه سواء أكانت هيئة حكومية أو غيرها، واسم الشركة أو الشركات أو الأفراد الذين أهدوه المواد أو الأدوية التي استعملها في البحث. ثم إنه من الإنصاف ذكر من ساعدوه في عمل البحث أو كتابته أو طباعته من الزملاء والعاملين الآخرين. بيد أنه تبرز هنا مشكلة أخرى وهي كتابة أسماء الذين ساهموا في البحث في جزء «كلمة الشكر أو العرفان» بينما هم في الواقع قد قاموا عملياً باقتراح موضوع البحث ولازموا البحث والباحث حتى ظهرت نتائجه. يواجه الباحث هنا بسؤال «أخلاقي»: هل ساهم الشخص المعني بقدر كاف يجعله مؤهلاً لأن يكتب ككاتب مشترك (Co-author) في المقال؟ أم أنه تكفي الإشارة إليه في جزء «الشكر أو العرفان»؟ وفي الجانب المقابل - بالطبع - نجد أن بعض الأشخاص قد يضمنوا ككتاب مشاركين دون أن يساهموا في قليل أو كثير في اقتراح الموضوع البحثي أو عمله أو كتابته. إن الأسباب التي تدفع الباحثين لإضافة أسماء آخرين في بحوث لم يقوموا فيها بدور يذكر تشمل الصداقة الشخصية والمصلحة «المنفعة» أو غيرها. وكل ذلك لا يمت بصلة - بالطبع - إلى الأخلاق العلمية القويمة.

المقالة المختصرة (أو التوصيلة العلمية):

يتميز هذا النوع من أنواع الكتابة العلمية بأنه - على الأقل من ناحية الكتابة - «صورة مصغرة» من المقال العلمي الأصيل الذي سبق ذكره. إن الصفات التي تحكم عمل هذا النوع من الاتصال وكتابته لا تقل إطلاقاً عما هو واجب في المقال



العلمي الأصيل . كل ما في الأمر هو أن مدى (Scope) العمل في المقالة المختصرة يكون أقل اتساعاً مما يتطلبه المقال العلمي الأصيل مما يوجب صياغتها باختصار وتركيز شديدين . تدور في الأوساط العلمية دوماً تساؤلات وتحفظات على كتابة نتائج البحوث في شكل مقالات مختصرة وتدور هذه التحفظات حول الانطباع عن أن كتابة النتائج بهذه الطريقة قد تغري - لسهولة الظاهرية - بعض الباحثين بالإكثار من كتابة البحوث دونما تجويد وبتلفيق أو طبخ الأعمال العلمية إذا صح التعبير وذلك مسايرة للقول المشهور (انشر أو ستقبر Publish or Perish) وأيضاً من العيوب المفترضة في كتابة هذا النوع من أنواع الكتابة العلمية هو أن بعض الباحثين قد يمارسون نوعاً من «الغش الأكاديمي» (إذا جازت التسمية) بأن يقوم كل باحث في جامعة أو قسم بعمل تجارب محدودة ذات نتائج يمكن نشرها فقط كمقال مختصر وأن ينشر كل باحث بحثه مضيفاً مع اسمه أسماء آخرين (قاموا ببحوث صغيرة منفصلة) على أن يقوم كل فرد من الآخرين بضم اسمه إلى كل بحث يقومون به . ينتج عن ذلك أن اسم كل فرد في مجموعة الباحثين هذه يتكرر في عدد من البحوث بينما هو قام في الواقع ببحث واحد فقط . بالطبع قد ينطبق هذا الكلام على المقال العلمي الأصيل، ولكنه يكون أكثر وضوحاً وشفافاً في المقالات المختصرة . على أنه يجب التأكيد من أن المجتمع العلمي في كل مكان يدين هذه الممارسة ويعتبرها عملاً منافياً للأخلاق . بيد أن للكتابة والنشر في صورة «مقالة مختصرة» فائدة لا يمكن إنكارها وهي أنها تكون أقرب إلى الفهم وأوضح للقارئ وتساعد على توصيل المعلومات بصورة سريعة للمجتمع العلمي حتى يمكن الحكم عليها وبيان صحتها (أو بطلانها) بسرعة دون أن يضيق الباحث الوقت والمال في بحث علمي لا طائل وراءه . ودون أن يسير الباحث في طريق علمي خاطيء . ثم إن كتابة المقال بهذه الطريقة يجعل النتائج العلمية - خاصة في المجالات العلمية الهامة - كصناعة اللقاحات والأدوية ضد الأمراض الفتاكة مثل متلازمة نقص المناعة (AIDS) - في متناول المجتمع العلمي بسرعة وذلك للاستفادة منها وتطويرها دونما إبطاء .

رسائل إلى المحرر:

تنشر بعض المجلات العلمية ذات الوزن العالمي كمجلة الطبيعة (Nature)



البريطانية ومجلة العلم (Science) الأمريكية خطابات إلى المحرر تتضمن نتائج أبحاث هامة وعاجلة وتتطلب النشر السريع. وهي بهذا تنقل إلى المجتمع العلمي العالمي نتائج الأبحاث فور الحصول عليها تقريباً. كما تجدر الإشارة هنا إلى أن أهمية البحث لا تقاس بالطريقة التي يقدم بها للنشر (كورقة علمية كاملة أو مقال علمي صغير أو رسالة إلى المحرر)، فعلى سبيل المثال ذكر أن الأمريكي د. واطسن وزملاءه قد نشروا اكتشافهم الشهير لتركيبة حامض (د. ن. أ.) (DNA Sequence) في صيغة رسالة مختصرة إلى مجلة الطبيعة (Nature) وهو الاكتشاف الذي أدى لمنحه (وآخرين) جائزة نوبل في الطب. كما تنشر المجلات العلمية أيضاً رسائل إلى المحرر تتضمن تعليقاتاً أو نقداً لمقالات علمية نشرت في نفس المجلة وتتاح للمؤلف «المنتقد» فرصة الرد على الرسالة مما يعمق الصلة بين القارئ ومؤلف البحث.

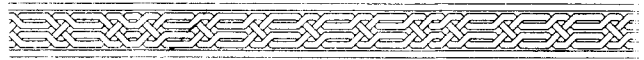
نقد المصنف

قد يدعو محرر المجلة العلمية أحد العلماء المشهورين في مجال ما لكتابة مقال نقدي في موضوع تخصص فيه ونشر العديد من الأبحاث أو قد يتقدم باحث من تلقاء نفسه بمقال نقدي في موضوع ما، له فيه أبحاث منشورة.

يشتمل المقال على عرض نقدي لما كتب في الأدب العلمي (Scientific Literature) في الموضوع المعين، محدداً المشاكل التي بحثت وطرق البحث والنتائج التي يحصل عليها مختلف الباحثين ومدى اختلافها أو اتفاقها بعضها مع بعض وذاكراً أيضاً الموضوعات الجديدة بالبحث التي لم يتطرق إليها الباحثون بعد. إن فائدة مثل هذا النوع من الكتابات العلمية تكون أوضح ما تكون عند الباحثين الذين يودون الخوض في بدء أبحاث في مجال معين لأول مرة، إذ إن الباحث بقراءته للمقال النقدي يختصر الزمن الذي يقضيه في البحث عن مراجع ذات صلة بعمله البحثي إذ يجدها مرتبة ومعلقاً عليها في المقال النقدي. إن بعض المقالات النقدية قد تحتوي على أكثر من خمسمائة مرجع في الموضوع الواحد. ولا شك أن استعمال الحاسوب الآلي وأدوات التخزين العلمية تساعد على متابعة الأدب العلمي وعلى كتابة مثل هذا النوع من المقالات.

المقال الافتتاحي:

قد تبتدىء المجلة العلمية بمقال افتتاحي يقوم بكتابتة رئيس التحرير (أو من يكلفه). والغرض من هذا الضرب من المقالات هو تسليط الضوء على موضوع معين (يكون حديث الساعة عادة) أو ذا طبيعة مثيرة للجدل (Controversial). وغالباً ما يكون الموضوع مطروحاً في نفس العدد من المجلة على شكل مقال علمي أصيل، وعادة ما تكون المقالة الافتتاحية مختصرة وذات أسلوب رفيع غير مغرقة في ذكر التفاصيل والمراجع، إذ إن الغرض منها - كما أسلفنا - هو تهيئة المسرح لما هو آت أو لتسليط الضوء على مشكلة عامة تهم المجتمع كُله.



بعض خواص الكتابة العلمية

ينطبق وصف «السهل الممتنع» أكثر ما ينطبق على الكتابة العلمية بأشكالها المختلفة. ولكن رغم ضخامة عدد الباحثين في فروع المعرفة العلمية المختلفة وعدد البحوث التي تجرى في مختلف الجامعات والمعاهد والمختبرات فإن قلة نسبية من البحوث التي تُجرى تجد طريقها فعلاً للنشر. إن أسباب ذلك كثيرة ومتعددة ولكن هنالك سبب له علاقة مباشرة بموضوع هذه المقالة ألا وهو عدم القدرة على صياغة البحث في شكل مقبول للنشر. لذا فإن إجادة الكتابة العلمية شرط هام من شروط تأهيل الباحث حتى يقدم ثمرة أبحاثه في شكل منشورات علمية تفيد المجتمع العلمي خاصة والمجتمع عامةً، وإلا ظلت نتائج الأبحاث حبيسة الأدراج حيث لا قيمة فعلية لها بل تعد ضياعاً وخسارة للجهد والوقت والمال.

يمكن القول إن أهم صفات الكتابة العلمية المرغوبة هي:

1- الوضوح (اللغوي والعلمي).

2- الدقة.

3- البساطة.

4- الاختصار.

5- التواضع.

1- الوضوح: يجب أن تكون المقالة العلمية مكتوبة بلغة واضحة لا لبس فيها



ولا غموض مبتعدة ما أمكن عن الإطالة والتكرار والتعقيد. لا تتطلب الكتابة العلمية عادة بلاغة فائقة ولا تنميقاً لفظياً (مما قد يعد من الصفات المرغوبة في بعض الكتابات الأدبية وغيرها). إذ إن الغرض أصلاً من الكتابة العلمية هو إيصال نتائج أبحاث معينة إلى المتخصصين في فرع ما من فروع العلم بأقصر الطرق ودونما حشو أو إطالة.

يجب أن تكون اللغة واضحة حتى لا يصعب فهم العبارة (حتى على العلماء من غير ذوي التخصص) وأن تكون الطرق المستعملة والنتائج المتوصل إليها مكتوبة بلغة واضحة حتى يمكن استغلال الطريقة لأبحاث أخرى أو تكرار العمل أو جزء منه وحتى يمكن تقويم النتائج تقويماً يناسب الطرق المستعملة للحصول عليها. إن الغموض في الكتابة العلمية مذموم وينبغي عن عجز في إيصال المادة العلمية للقارئ أو عن رغبة مريضة في إيهام الآخرين بأن ما يكتبه العالم المعني عصي على فهم القارئ.

وينصح الخبراء عادة أن يكتب الباحث بحثه ثم يضعه جانباً بعض الوقت ثم يعود إليه وفي بعض الأحيان قد يجد الكاتب أن بعض الذي سطره هو بذاته غير واضح ولا مفهوم لديه مما يؤكد أن كتابة النص ثم إمعان النظر فيه بغرض إزالة ما علق به من لبس وغموض أمر هام من أجل توصيل المادة للقارئ دون عسر أو عناء.

قال أحد العلماء «إنك إذا وصفت شيئاً فإنك تعرف عنه بعض الشيء ولكن إذا قمت بقياس هذا الشيء فإنك تعرف عنه كل شيء». إن الكتابة العلمية هي - عادة - وصف لشيء تمت ملاحظته أو قياسه. لذا يجب على الكاتب العلمي أن يكون دقيقاً في وصف ما يلاحظه وأكثر دقة في كتابة ما قام بقياسه. إنه من الجائز القول في الكتابات «غير العلمية» أن تقول مثلاً: «إن بعض الناس يصابون بالأمراض الجلدية وبعضهم توجد لديه مقاومة لمثل هذه الأمراض». ولكن في الكتابات العلمية يجب أن نحدد ماذا تعني «حسابياً» بكلمة بعض الناس، أي أنه يجب تحديد عدد أو نسبة الذين يصابون بالأمراض الجلدية تحديداً دقيقاً، ويجب أيضاً تحديد الأمراض الجلدية المذكورة تحديداً دقيقاً أيضاً. مثال آخر للدقة في



الكتابة العلمية : إذا ذكرت أنك قد قمت بتسخين أنبوب اختبار فلا بد من ذكر درجة الحرارة التي قمت بتسخين الأنبوب إليها. وغني عن القول إنه كلما كان الكاتب أكثر دقة في كتابة عمله ونتائجه البحثية ازدادت القيمة العملية والعلمية لبحثه. لذا فإن الدقة هي من المعايير الهامة التي يحدد بها رئيس التحرير في المجلة العلمية (أو من يكلفه) مدى صلاحية العمل المقدم للنشر من عدمه.

3- البساطة : ليست الكتابة العلمية مجالاً لإبراز المهارات اللغوية الفائقة ولا إلى «التفعر» وتخير الغريب من الألفاظ بل ينبغي انتقاء السهل من الألفاظ والابتعاد ما أمكن عن استعمال الجمل الطويلة المعقدة التي تتطلب متابعتها - دعك من فهمها - جهداً كبيراً. إن بعضاً من نفسية الكاتب يمكن فهمها عن طريق ملاحظة أسلوبه وألفاظه المستعملة. إن تواضع العلماء «تلك الصفة النادرة» تفرض عليهم أن يؤثرُوا استعمال البسيط من الكلام - بقدر ما تسمح به طبيعة البحث - لشرح مرامي البحث ونتائجه علماً بأن وقع البحث وصداه لن يتأثر كثيراً أو قليلاً إذا كتب في أسلوب سهل بسيط. إن قلة فقط من القراء هي التي قد تخدع باللغة الصعبة المتكلفة والتي قد يلجأ إليها كاتب ما ليكسب بحثه بعضاً من الهيبة والاحترام (المزيفين) وفي أغلب الأحوال تكون نتيجة استعمال اللغة الصعبة المتكلفة على عكس ما يشتهي الكاتب.

4- الاختصار : نسبة لكبر عدد الباحثين وازدياد كمية الأبحاث المقدمة للنشر وجودتها فإن هناك حاجة حقيقية كي يتعلم كتاب اللغة العلمية الاختصار غير المخل في كتاباتهم والالتزام بكتابة «المختصر المفيد» دوغماً إطالة أو تكرار. إن استعمال قصار الجمل وقصار الكلمات من الأشياء المستحبة التي تفيد في تقليل عدد صفحات البحث، وبالتالي تفيد في تخفيض تكاليف النشر وإتاحة الفرصة للآخرين كي يجدوا مجالاً للنشر السريع في المجلات العلمية. وليس هذا بالأمر السهل كما قد يتبادر إلى الذهن. فالإيجاز في الكلام - مع استبقاء المعاني المطلوبة - من أشق الأمور حتى على العارف بأسرار الكتابة. ولعل الأديب عباس محمود العقاد كان صادقاً حين كتب في «ساعات بين الكتب» أن أحداً اعتذر لصاحبه عن الإطالة في رسالة بعثها له أنه لم يكن لديه وقت للإيجاز. ويبدو من هذا القول التناقض الظاهري بينما هو الحقيقة

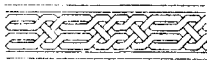
بعينها. إذ يستلزم الإيجاز التمعن والتبصر وإطالة التفكير قبل الشروع في وضع الأفكار على الورق.

وتوجد أمثلة كثيرة لما يمكن أن نكسبه من مساحة عندما نوجز فبدلاً من قولك «احمر اللون» يمكن أن تقول «احمر» وبدلاً من أن تقول «في هذا الوقت بالذات» يمكن استبدالها بكلمة «الآن» وقس على ذلك.

٥ - التواضع: لا ينبغي للكاتب وصف البحث ونتائجه بالأهمية الفائقة كأن يقول «هذه النتائج والاستنتاجات الهامة» بل يجب أن يترك ذلك للقارئ من خلال ما توصل إليه الباحث من نتائج تقويم أهمية ما كتب وخطورته. كما يجب أن يترك الكاتب العلمي الحصيف مجالاً للتراجع أو لاحتتمال حدوث تغيير أو وجود تفسير غير الذي قدم في البحث، ولا عجب إذن من أن نجد كبار العلماء يكثرون من استعمال «قد» و«ربما» و«أغلب الظن» إذ إن مثل هذه الكلمات مفيدة للكاتب والقارئ على حد سواء فهي تحدد وتوضح جانباً مهماً في فلسفة العلم وهي أن لا شيء يقبل كاملاً ونهائياً ولا مقولة تقبل قطعيةً (Dogma) إنما تقبل الأشياء مُسَلِّمَاتٍ فقط بعد البحث والتكرار وإعادة البحث.

إن بعض الكتاب ينصحون باستعمال الفعل المبني للمجهول ويعتبرونه أكثر تواضعاً في الكتابة العلمية دون غيره، فبدلاً من كتابة «قمنا أو قمت بأخذ عينة من دم فأر» يمكن القول «أخذت عينة من دم فأر».

نختتم هذه المقالة بمعنى من معاني الحديث الشريف الذي ورد فيه أن العالم يظل عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد بلغ غاية العلم فلقد جهل.



للاطلاع على مزيد من المعلومات بخصوص موضوع هذا المقال يمكن الرجوع إلى المصادر التالية:

Books:

- Houp, K. W. and Pearsall, T. E. (1977). Reporting Technical Information (U.K.).
- Maney, A. S. and Smallwood, R. L. (1978). MHRA Style Book, Modern Humanities Research Association (London).
- O'Connor, M. and Woodford, F. B. (1976). Writing scientific Papers in English. Elsevier (Amsterdam).
- Vernon Booth (1978). Writing a Scientific Paper, 4th edition, Biochem. Society (London).
- Woodford, F. P. (Editor) (1970). Scientific Writing for Graduate Students (U. K.).

Papers:

- Buchanan, W. W. and Kraag, G. R. (1980) **Saudi Med. Journal**, 1, 257-266.
- Hill B. (1965). **British Medical Journal**, 2, 870.
- Kashboor, M. and Abdulla, E. M. (1983). **Garyounis Medical Journal**, 6, 3-6.
- Vancouver Style (1979). **Lancet**, 11, 905.





السيلفيوم

تأليف : سَالمِ رِزْجَمِيل
ترجمة : فؤاد سالم موسى أبو النجّاء

محاضر بجامعة قارنوس
كلية الآداب والتربية
قسم الدراسات التاريخية والأثرية
"فروع الآثار"

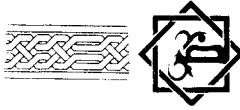
Gemmill, Chalmers L. «Silphium».
Bulletin of the History of Medicine,

Vol. XI (1966), pp.295-313



مَجَلَّةُ قَائِمَاتِ الْعِلْمِ





السلفيوم

تأليف: سّالمدرزجَميل
ترجمة: فؤاد سالم موسى أبو النجاء (*)

على الرغم من أن العديد من وسائل العلاج المستعملة في الوقت الراهن قد تم استحداثها نتيجة لجهود بذلت في العصور الحديثة، إلا أن البعض من تلك الوسائل كانت قد اكتشفت منذ عصور أكثر قدماً. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن (الأفيون Opium) قد عرف منذ زمن الآشوريين كما أن (القمعية Digitalis) كانت موروثاً إنجليزياً، في حين عرف (الإيفدرين Ephedrine) من الأدوية الصينية (والريسيريبن Reserpine) من الأدوية الهندية القديمة. لهذا السبب أصبح فحص العقاقير المستعملة لأزمان طويلة من قبل أعداد هائلة من البشر - كما هو الحال بالنسبة (للسلفيوم) - أمراً بالغ الأهمية.

لقد كتب الكثير عن السلفيوم⁽¹⁰⁻¹⁾، الأمر الذي نتج عنه مفاهيم عدة تتعلق بذلك النبات وباستعمالاته وهي مفاهيم يمكن تلخيصها على النحو التالي: تم اكتشاف السلفيوم في زمن استعمار الإغريق لمدينة (قوريني Cyrene 631 ق. م.) (*); على أن تصنيفه النباتي لم يكن معروفاً حينئذ رغم أنه يستعمل بوصفه عقاراً لعلاج أمراض متعددة؛ بعد ذلك انقرض سلفيوم قوريني واستعوض عنه (بالحلتيت

(*) أستاذ مساعد في قسم الدراسات التاريخية والأثرية - فرع الآثار جامعة قاريونس.

(*) شحات حالياً (الترجم).



Asafoetida) قبل عهد بليني (Pliny 23-79 ميلادية). وما يعيننا أمره في هذا البحث هو مناقشة هذه المفاهيم ومتابعة تاريخ السلفيوم توطئة لتوضيح تطور معارفنا العلاجية عنه.

لا يساورنا أدنى شك في أن الاهتمام بالسلفيوم قد ازداد بعد الاستعمار الإغريقي (لقوريناية Cyrenaica) (*). لقد غادر المستعمرون جزيرة (Thera) (سانتورين حالياً - Santorin) واستقروا في جزيرة (بلاتيا Platea)، وعندما علموا بوجود نبع ماء في الداخل انتقلوا من (بلاتيا) وأسسوا مدينة (قوريني) حول ذلك النبع. الأمر الذي يدعو للاهتمام هو أن ماءه لا يزال يستعمل في هذه المدينة حتى الآن. لقد كتب الكثير عن مدينة قوريني (11-14)، غير أن وصف (أسترابو¹⁵) (Strabo) يعد واحداً من أفضل تلك الكتابات. «لقد نمت (قوريني) قوية والفضل في ذلك يرجع إلى خصوبة أرضها، فهي أرض ممتازة لتربية الخيول كما أنها تنتج فاكهة من النوع الجيد. فضلاً عن ذلك فقد كان يقطنها رجال قادرون دافعوا عن حررتها ببسالة يجدر بها الإكبار وقاوموا بقوة السكان المحليين الذين كانوا يعيشون أعلاهم».

لقد مرت المدينة بصراعات مريرة على الصعيدين الداخلي والخارجي، وسيجد القارئ في دليل (جودشايلد¹⁶ Goodchild) التاريخي المختصر (قوريني وأبولونيا) تلخيصاً ممتازاً لتلك الصراعات، على أن التاريخ يخبرنا أن (قوريني) - رغم هذه المنازعات - قد نمت وازدهرت، كما أن المنطقة الواقعة بمحاذاة ساحل شمال أفريقيا أصبحت المصدر الرئيسي لتموين اليونان وروما كما حدث أثناء المجاعة التي اجتاحت اليونان حوالي عام 325 ق.م؛ فلقد أرسلت (قوريني) حينئذ كمية كبيرة من القمح لمساعدة وطنها الأم. ومن الواضح أن للمنطقة الواقعة حول قوريني - حتى يومنا هذا - طقساً يختلف عن سائر أجزاء ليبيا. ففي القطاع الذي يقع بين بنغازي وقوريني توجد ثلاث مناطق، كما توجد حول بنغازي رمال وأشجار نخيل استوائية، وفي الوسط يوجد سهل خصب، وأخيراً هناك منطقة التلال الواقعة حول قوريني حيث توجد الصخور البارزة والأشجار والنباتات الخضراء - لقد حدثنا (هيرودوتس¹⁷)

(*) المنطقة الشرقية من ليبيا (المترجم).



Herodotus) عن ثلاثة مواسم زراعية في قورينائية، الأول بمحاذاة ساحل البحر والثاني في الإقليم الأوسط والثالث للمحاصيل النامية على التلال، التي كان نبات السلفيوم أحدها.

القول بأن السلفيوم قد اكتشف في الوقت الذي استوطن فيه المستعمرون الإغريق قوريني يعتمد في الأساس على رواية (ثيوفراستوس⁽¹⁸⁾ Theophrastus) التي تقرر أن هذا النبات قد ظهر بعد هطول أمطار غزيرة وأنه لم يكن موجوداً قبل ذلك. غير أن البحث في أصل كلمة (سلفيوم) يثبتنا أنه قد عرف منذ سنوات عديدة قبل إنشاء قوريني.

لقد أثير جدل حول أصل تلك الكلمة كما استعملها الإغريق وحول كلمة (لازربيبيوم Laserpitium) التي استخدمها الرومان. ورغم ذلك فإن هناك اتفاقاً تام⁽¹⁹⁾ بشأن إنكار أن تكون كلمة السلفيوم كلمة (هندأوروبية Indo-European) الأصل. ذلك أن كلاً من (ليديل Lidell، واسكوت Scott)⁽²⁰⁾ يُعرفان كلمة سيلفيون (Silphion) σιλϕιον مثل تعريفهم لكلمة (لازوروت Laserwort) أما كلمة (فيرولاتينقيتانا Ferulatingitana) فهي تشير إلى العصير الذي كان يستخدم في الطعام والدواء. وهنا نجد في القاموس الكلمتين σιλϕιουλις سيلفيوليوس (Silphipōles) التي تعني بائع السلفيوم، و σιλϕιουפורوس سيلفيوفوروس (Silphiochoros) التي تشير إلى ثمرة السلفيوم، أما الفعل سيلفيو (Silphioō) σιλϕιου فيعني إعداد السلفيوم غير أن (ليوس Lewis وشورت Short)⁽²¹⁾ يعرفان اللازر Laser (lasar) بأنه عصير نبات (اللازربيبيوم Laserpitium) وهو نبات (الحلتيت Asafoetida)، وقد عرف فيما بعد باسم (لازربيبيوم Laserpicium) على أنه نبات يدعى أيضاً السلفيوم، الذي كانوا يحصلون منه على عصير (لازر Laser)، (ولازاراتوس Laseratus) تعني نكهة بإضافتها مع عصير لازار Laser، وأصبحت معاً (لازاراتوم Laseratum)، وبهذا أصبحت تعني تابلاً مصنوعاً من اللازر Laser، وعصير لازاربيبيوس Laserpiciatos محضراً أو منكه بعصير لازاربيبيوم Laserpicium. ومن المهم أن نشير هنا إلى أن كلمتي سلفيوم Silphium ولازر Laser تستعملان بنفس المعنى عند الإغريق والرومان للدلالة على الكلمات لازارون (Lasaron) λάσαρον أو (Lasar) λάσρα = أوبوس سيلفيو (Opossilphiou)

σιλϑιον =Silphium وكلمة سلفيوم (opos Silphiou). σ-ὀπὸσσεϑιον (Silphon) أما الكلمات (سلفيوس Silphius)، (وسيلفي Silfi)، (وسيليي Silpi) فهي مرادفات لاتينية لكلمة سيلفيوم Silphium⁽²²⁾. في حين أن قاموس (ويستر Webster)⁽²³⁾ يعرف السلفيون بوصفه «نبات الأناميسيوس Anammiaceous plant وربما كان نبات (لازروت Laserwort)، الذي استخدم الإغريق عصيره في النواحي الطبية»، ونبات (اللازربييوم Laserpitum) يُعرف بأنه «نوع قديم من الأعشاب الطبية الدائمة على مدار السنة من عائلة الجزر... نبات لازروت Laserwort»، ويعرف لازر Laser «بأنه صمغ راتنجي مطهر شديد أو دواء مسهل مأخوذ من نبات لازروت Laserwort»، فضلاً عن ذلك فإن اسم السلفيوم قد أخذ أيضاً على أنه نوع من الأعشاب الطبية في أمريكا الشمالية، ولكن هذه النباتات لم تكن لها علاقة بنبات السلفيوم الإغريقي.

نجد في القاموس الطبي لمؤلفه (جيمس⁽²⁴⁾ James)، الذي تم طبعه في عام 1745 م، تفسيراً منطقياً لأصل كلمة السلفيوم. فقد اقترح الكاتب أن ذلك النبات كان يُدعى سيرفي (Sirphi) σιρϑι عند السكان الأصليين، وبعد ذلك سيلبي (Silpi- (Silpi- (pi) σιλπι وأخيراً سلفيون (Silphion) σιλϑιον. لقد كان جيمس يعتقد أن هذه الكلمة ربما قد أتت من الكلمة الكلدانية المرادفة لكلمة الصمغ الطبي، وهي سيرف Sereph. ولعل الرومان قد أخذوا كلمة سيرفي (Sirphi) σιρϑι وحولوها إلى كلمة سيربيكيوم Serpicium، التي أدمجت مع كلمة (لايك Lac)، فكانت لازربيكيوم Laserpicium. أما (بلانكارد⁽²⁵⁾ Blancard وستيفانيوس⁽²⁶⁾) Stephanus فقد ذهب إلى أن كلمة سيلفيون (Silphion) σιλϑιον جاءت من كلمة سيرفي (Sirphi) σιρϑι. ويناقد سيشوردت⁽²⁷⁾ Schuchardt أصل كلمة سيربي Sirpe ويعتقد أنها ربما قد أتت من كلمة محلية، مثل كلمة (أسيلبو aselbu)؛ وهنا نجد أن نينسيوني⁽²⁸⁾ Nencioni يوافق على ذلك. ويظن (ليوي⁽²⁹⁾ Lewy) أن كلمة سيلفيون (Silphion) σιλϑιον اشتقت من الكلمة السامية، (سيرباد Sirpad). وأشار سارنيلي⁽³⁰⁾ Sarnelli أن الحروف (SLF) هي أصل شائع في لغة (الطوارق Tuâreg)، وأن كلمة (سيلوف Selluf) اسم معروف في النباتات عند هؤلاء السكان الأصليين. وبالنسبة لكلمة سيلوف Selluf فإنها ربما تم تحريفها إلى سيلفيوم



Silphium بواسطة الإغريق. ويقترح كيلير⁽³¹⁾ Keller أن الكلمة اللاتينية (سيربي Sirpe) كلمة افريقية. وعند (بوور Power وسيدجويك⁽³²⁾ Sedgwich) أن كلمة سيلفيوم Silphium قد أتت من كلمة سيلفوس Silphos ذات الأصل الافريقي. ويعتقد كارنوي⁽³³⁾ Carnoy أن كلمة سيلفيوم Silphium قد تم اشتقاقها من أصل قديم يرجع إلى كلمة (سيلب Selp). أما (دينو⁽³⁴⁾ Déniou) فيوافق على الاقتراح القائل إنها مشتقة من سيلفي σιλφῆ (Silphē) وهي تعني حشرة الخنافس Beetle. وهو الاقتراح الذي يؤيد وصف لخنفساء في المغرب وهي تثقب ساق الفراولا Ferula مسببة إفراز الصمغ⁽³⁵⁾.

أما (ثومسون⁽³⁶⁾،⁽³⁷⁾ Thompson) فإنه يصف المصطلح الآشوري (لازربيتو Lasirbitu) على أنه أصل كلمة لازربيتيوم Laserpitium وكلمة آس Asا على أنها الأصل لكلمة آسا «Asa» في نبات الحلثيت Asafoetida. وأيضاً، فإنه يدعي أن كلمة آسا «Asa» ربما قد اشتقت من نقل حرف L و R من كلمة Laser. والكلمة العربية المقابلة لكلمة أسافوتيدا Asafoetida هي كلمة الحلثيت Hiltit. ويعتقد (فيكيتيف⁽³⁸⁾ Vikentiev) أن هذه الكلمة مصرية الأصل وأن الإشارة الهيروغليفية إلى نبات السلفيوم قد وردت في الكتابات المصرية المبكرة. ووصف (إيفانس⁽³⁸⁾) Evans) أن تلك الإشارة الهيروغليفية قد استعملت بواسطة (المينويين Minoans) في جزيرة كريت Cret كتصوير لنبات السلفيوم، كما ذهب إلى أن التجارة بهذا النبات قد بدأت في وقت مبكر بين منطقة قورينائية وكريت.

لقد ظهرت كلمة السلفيوم في وقت مبكر في الأدب اليوناني، فقد استعملها (سولون⁽⁴⁰⁾ Solon). وإنه لمن المهم أنه يوجد بعض الكلمات اليونانية المرتبطة سوباً التي تستخدم في النباتات مثل كلمة σέλινον (Selinon)، ونبات الكرّفس Celery ونبات السيليقنون σιλίγγρον (Silignion) وهو القمح الشتوي. كما توجد تهجئات أخرى لكلمة سلفيون σιλφῆ (Silphion) ككلمة سيلبون σέλποΝ (Selpon) على سبيل المثال. واقترح (دينو⁽⁴¹⁾ Déniou) أنه ربما توجد علاقة بين أصل كلمة فضة⁽⁴²⁾ وكلمة السلفيوم اللتين كانتا تستعملان للتعبير عن امتلاك الأشياء الثمينة وعن سبل المقايضة.



إن كل ما سلف ذكره من آراء يشير إلى وجود هذا النبات منذ عصور قديمة .
وعلى وجه الخصوص فإنه يؤكد أن السلفيوم قد عرف منذ وقت طويل قبل الاستعمار
الإغريقي في عام 631 ق.م . لمنطقة قوريناية Cyrenaica .
وهناك أيضاً مقترحات متعددة بشأن تحديد هوية السلفيوم النباتية، وقد
اشتملت هذه المقترحات على نبات (انجدان) فيرولا تنجتانا *Ferula Tingitana*
وفيرولا مارماريكا *Ferula Marmarica* وثابسيا قارقانكا *Thapsia Garganica*
وبرانقوس فيرولاسيا *Prangos Ferulacea* ومختلف النباتات التي تعتبر المصدر
التجاري لنبات الخلتيت *Asafoetida*، مثل نارثيكس آسافيتيدا *Narthex*
Asafoetida وسكورودوسما فيتيدا *Scorodosma Foetida* . غير أن أمر تحديد هوية
السلفيوم قد أصبح أكثر صعوبة سيما وأن هناك اقتراحاً يقرر أن نبات السلفيوم لم
يكن ينمو في منطقة قوريناية بل كان يشحن إليها بالسفن من أجزاء أخرى من
أفريقيا وبعد ذلك يتم تصديره . على ذلك فإن المراجع الحديثة والمعاصرة لا يعترها
شك في أن نبات السلفيوم قد نما بالفعل في منطقة قوريناية . ولكي نحدد أن
السلفيوم نبات مماثل الوصف النباتي الذي قال عنه (ثيوفراستوس *Theophrastus*)
ينبغي علينا مقارنة بالنبات الذي وجد على عملة مدينة قوريني وعملات المدن
المجاورة لها، بقدر ما ينبغي علينا التأكد من أنه كان يصدر تجارياً من المنطقة التي
حول قوريني . أضف إلى ذلك أن (ثيوفراستوس *Theophrastus*)، الذي ولد حوالي
عام 370 ق.م . وعاش أثناء الفترة التي استعمل فيها السلفيوم في منطقة قوريناية،
يصف هذا النبات بأن له جذراً سميكاً وساقاً تشبه القنة *Ferula* وأوراقاً تشبه
الكرفس⁽⁴³⁾ فلقد أعطى وصفاً عاماً لفصيلة النباتات الشبيهة بنبات القنة أشار فيه
إلى أن كل نبات منها له ساق واحدة تتفرع منها أوراق وأغصان صغيرة، وتخرج
الأوراق في صفوف متبادلة ولون الأزهار أصفر مثل أزهار شجرة السفرجل، وهذه
النباتات لها جذور عميقة ومفردة . وذكر ثيوفراستوس *Theophrastus* أن السلفيوم
وجد فوق قطعة واسعة من الأرض الليبية رغم أنه لم يكن يجنى .
والمصدر التالي للمعلومات المعاصرة مستمد من عملة قوريني . ذلك أن تصوير
السلفيوم على هذه العملات قد ناقشه العديد من المؤلفين، ولعل من أكثر هذه
المناقشات تفصيلاً تلك التي قام بها (روبينسون⁽⁴⁴⁾ *Robinson*)، الذي أشار إلى أن

رمز السلفيوم قد استخدم على عملة قوريني بوصفه شعاراً على دروع الرماة. أما (هيد⁽⁴⁵⁾ Head) فيرى أن استخدام السلفيوم شعاراً على تلك العملة قد يكون مرتبطاً بعبارة (ارستاوس Aristaeos) حامي حقول القمح ومجنبها تيارات الرياح الصحراوية. وفنانو قوريني استخدموا أسلوباً يمثل هذا النبات ويشابه أسلوب الزهرة المصورة على عملة (رودس Rhodes). وإنه لشيء يدعو إلى الاهتمام أنه بمدينة بنغازي يوجد تصوير على البرونز لنبات السلفيوم على نافورة المياه في أحد الميادين العامة^(*) وكذلك صور هذا النبات على الأضواء التي حول الميناء. ومن الصعب جداً أن نقرر انتزاع الطبيعة النباتية لهذا النبات من النماذج التي على نافورات المصابيح أو أعمدها. ومن خلال هذا السياق والترابط في الأفكار يجب أن نتذكر أن الإغريق استخدموا أحياناً تصويراً غير عادي على عملتهم، مثل الشخص الذي صور رأسه على هيئة رأس ثور كما في عملة مدينة (جيلة Gela). ومع ذلك، وبشيء من الحذر، فإنه من الممكن استخدام النباتات المصورة على عملة قوريني من أجل تحديد هوية تلك النباتات.

لقد اعتقد البعض إمكان ظهور صور نبات السلفيوم على أشياء أخرى مستندين على ظهوره على عملة قوريني، وعلى ذلك فإن آثار تلك الصور لم تظهر إلا على عدد قليل من الأشياء. فهناك خاتم في المتحف البريطاني⁽⁴⁶⁾ يعتبر مثلاً جيداً للسلفيوم المنقوش على المعدن؛ إنها قطعة من الحجر الكريم المسمى (الجمش)⁽⁴⁷⁾ وصفت بأنها قد نقش عليها نبات السلفيوم. وفي متحف⁽⁴⁸⁾ القاهرة، توجد لوحة اردوازية مصرية، تخلد ذكرى انتصار مصري على ليبيا. هذه اللوحة تحتوي على مجموعة من النباتات والحيوانات منقوشة على الحجر، والنباتات تتخذ في شكلها العام نبات السلفيوم^(*). ولكن بدراسة العديد من المنحوتات الحجرية في متحف قوريني لم تظهر أي تمثيلات لهذا النبات^(**).

(*) يوجد أيضاً رسم لنبات السلفيوم عند مدخل سوق الظلام بمدينة درنة.

(**) يعتقد بعض الباحثين أنها أشجار زيتون؛ انظر إلى:

F. Chamoux, Cyrène sous la monarchie des Battiades. Paris: De Boccard. 1953, p.41

(المترجم).

(***) تجدر الإشارة هنا إلى أن صورة هذا النبات قد ظهرت على تاج عمود موجود في السوق العامة =

ومصادر المعلومات الأخرى، التي ربما لا تكون معاصرة لاستخدام السلفيوم من منطقة قوريناية، هي الرسومات المخطوطة (لديوسكوريدس Dioscorides) وهذه الرسومات المستخدمة في النص نشرها (قائير⁽⁴⁹⁾ Gunther) وهي من عمل فنان بيزنطي ترجع إلى حوالي 512 م وربما قد تم تصميمها على أساس الرسوم التخطيطية التي قام بها (كراتيسوس Crateuas، 111-64 ق.م.). أما في طبعة قائير Gunther فلا يوجد به رسم للسلفيوم رغم وجود صور لنبات (الامونيكون Ammoniakon) وهو نبات قريب الشبه بنبات السلفيوم. حقاً إنه لتصوير جيد، ولكنه نسخة غير كاملة من مخطوطة (فيندوبونينسيس⁽⁵⁰⁾ Vindobonensis)، حيث تم حذف بعض من التفاصيل المتعلقة بالأوراق.

الإناء اللاكوني الشهير Laconian Cup للفنان (اركيسيلوس Arkesilas)، الموجود الآن في المكتبة الوطنية في باريس Bibliothèque Nationale in Paris، لم يساعد كثيراً على حل مشكلة السلفيوم فهناك تفسيرات متعددة لذلك الشكل. كما أن كتاب (ارياس⁽⁵¹⁾ Arias) الحديث يحتوي على صورة شمسية ممتازة لهذا الإناء ودراسة نقدية للمنظر المرسوم عليه. وفي وقت ما كان المعتقد أن المنظر الموجود على الإناء يمثل الملك (اركيسيلوس الثاني Arkesilas II) على ظهر سفينة يراقب عمليتي شحن ووزن حمولة من السلفيوم. ومن المفترض أن هذا الإناء صنع في قوريني والهجاء لكلمة سليفوماخوس σιλφωμάχος (Silphomachos) تم تصحيحه إلى سيليفوماخوس σ(ι)λφωμάχος (S(i)liphomachos) وذلك ليتم ربط المنظر بعملية تصدير السلفيوم. وعلى أية حال، فهناك تفسيرات أخرى، فلقد أثار (ارياس Arias) مسألة ما إذا كان المشهد على ظهر سفينة أم على البر، وما إذا كانت قطعة القماش هي شراع السفينة أم مظلة. ولكن يبدو أن هذا الإناء لم يصنع في قوريني

= (الاجورا Agora) في قوريني نحت عليه رأس الملك باتوس الأول؛ انظر إلى:

S. Stucchi, Cirene 1957-1966, Tripoli, 1967, p.114 fig.91 (المترجم).

كما ظهرت صورة تبدو شبيهة بصورة نبات السلفيوم على تيجان أعمدة معبد أسكليبيوس Asclepius إله الطب في مدينة البيضاء. ظهرة صورة هذا النبات أيضاً على قده فخاري (كيليكس Kylix) عثر عليه في مدينة نقراتس Naucratis بمصر؛ انظر إلى:

F. Studniczka, Kyrene, eine altgriechische Göttin, Leipzig, 1890, pp.17-22 (المترجم).



بل في (اسبرطة Sparta حوالي 560 ق.م.). وقد افترض⁽⁵²⁾ (لان Lane) أن المادة التي في السلال هي صوف وليست السلفيوم، مستنداً في ذلك إلى مظهرها وإلى رواية ثيوفراستوس Theophrastus القائلة إن السلفيوم كان يعبأ في جرار وليس في سلال مفتوحة. وعلى كل حال، فإن أوراق السلفيوم كانت أيضاً تصدر، وكان من الممكن أن توضع في مثل هذه السلال. ويقترح لان Lane أن كلمة سليفوماخوس «Sliphomachos» ربما تكون اسم علم شائع، أو ربما تعني (قاتل الصراصير). وقد ترجمتها (بتون⁽⁵³⁾ Benton) (بصائد الحشرات) وافترضت أن الرجل يشير إلى أحد الطيور، كما أنها تذهب إلى أن العملية كلها مزيفة لأن الصوف في إحدى الكفتين كان يوزن بما يقابله من صوف في الكفة الأخرى. على أية حال فإنه من الممكن أن يكون هناك نوع معياري من الصوف تقارن بالنسبة إليه الأنواع الأخرى.

ويشير (نيدهام⁽⁵⁴⁾ Needham) أنه من النادر أن استعمل الإغريق صور الموازين وهذه الصورة تعطي مثلاً جيداً لميزان معلق من نقطة ارتكازه. إن النبات الذي يعتبر أكثر شبيهاً للسلفيوم هو نبات (الانجدان) فيرولاتنجتانا *Ferula Tingitana*. وقد اتبع كتاب كثيرون ما جاء به (سبرينجيل⁽⁵⁵⁾ Sprengel) ومن هؤلاء ليديل (لاسكوت⁽⁵⁶⁾ Scott)، وفورستير⁽⁵⁷⁾ Forster، وهيفنر⁽⁵⁷⁾ Heffner، وقتشير⁽⁵⁸⁾ Gunther، وذسيلتون - دير⁽⁵⁸⁾ Thiselton-Dyer، وهورت⁽⁵⁹⁾ Hort، وهورت هوبر⁽⁶⁰⁾ Hort Hooper، وآش⁽⁶¹⁾ Ash، وراكهام⁽⁶¹⁾ Rackham، وجونس⁽⁶²⁾ Jones، وكارنوي⁽⁶³⁾ Carnoy هؤلاء جميعاً قد ذكروا نبات فيرولاتنجتانا *Ferula Tingitana* وكأنه «السلفيوم».

لقد أوضح وصف السلفيوم لثيوفراستوس Theophrastus، وصور هذا النبات على عملة قوريني، والرسم التخطيطي لأمونياكون Ammoniakon المأخوذة من الصورة المطابقة للأصل (لليدين Leiden) وهذا يرجع إلى مخطوطة فيندوبونينسس Vindobonensis وللعديد من النباتات الموجودة في الحدائق النباتية الملكية في (كيو Kew). ويقال إنه لا يوجد شك في أن هذا النبات كان (خيمي الأزهار*) (Umbellifera) ومعظمه قريب الشبه بنبات (الانجدان) فيرولاتنجتانا

(*) كالجزر وغيره (المترجم).

Ferula Tingitana. وبمقارنة مختلف العينات من نبات (الفِنَّة *Ferula*) في حديقة الأعشاب (Herbarium) تأكد هذا الاستنتاج.

هناك وصف جيد لنبات فيرولاتنجتانا *Ferula Tingitana* قدمه (بوست⁽⁶⁴⁾) الذي ذكر أنه ينمو في لبنان وطرابلس وفلسطين. ونبات فيرولاتنجتانا *Ferula Tingitana* ينمو أيضاً في شمال افريقيا، وهو نبات شائع في المغرب، واسم تنجتانا *Tingitana* هو اسم روماني لذلك الجزء من شمال افريقيا. ولكن هذا النبات كان نادراً ما يوجد حول قوريني، رغم وجود عينة منه في حديقة لأعشاب في (كيو *Kew*) جمعها (ساندوڤ *Sandwith*) بالقرب من مدينة درنة في عام 1939. كذلك يوجد في (كيو *Kew*) عينات من مدينة بنغازي (1922) والجزائر (1852) ووهران (1839). وفي حديقة النباتات بالجامعة الأمريكية في بيروت بلبنان توجد عينات جمعت بالقرب من نهر الكلب بلبنان في عامي 1884 و 1889. وتوجد عينة تنمو في حديقة شيلسيا فيسيك *Chelsea Physic* في لندن. وأيضاً نبات فيرولاتنجتانا *Ferula Tingitana* كان ينمو بحديقة النباتات في باريس⁽⁶⁵⁾.

وهناك نجد اهتماماً وعناية بنبات (ثابسيا قارقانيكا *Thapsia Garganica*) الذي اعتبر مثل (السلفيوم). والذي شد الانتباه لهذا النبات هو (فيثاني⁽⁶⁶⁾) *Vivani*)، الذي وصف هذا النبات وأطلق عليه اسم (ثابسيا سلفيوم *Thapsia Silphium*) وذلك في عام 1824، وهو قريب الصلة من نبات (ثابسيا قارقانيكا *Thapsia Garganica*). وهذه النشرة قد أثارت جدلاً هاماً بين المؤلفين الفرنسيين في القرن الماضي^(*). . . . وسلفيوم قورينائية، دواء مستخرج من هذا النبات، كان يُعرض في السوق الفرنسية. وعلى كل حال، فإنه قد ظهر فيما بعد أن نبات ثابسيا سلفيوم *Thapsia Silphium* لم يكن نوعاً منفصلاً عن ثابسيا قارقانيكا⁽⁶⁷⁾. وإنه لأمر يدعو للدهشة أن ذلك النبات كان يعتقد أنه نبات السلفيوم وهذا بسبب طبيعته السامة. وقد وصف (ثيوفراستوس⁽⁶⁸⁾ *Theophrastus*) جذر هذا النبات بأنه مطهر ومنظف داخلي وخارجي، والمخطوطة المبكرة توضح وتؤيد هذه الأمور⁽⁶⁹⁾. وفي عام 1876 أعاد (دونقليسون⁽⁷⁰⁾ *Dunglison*) نفس ما قاله ثيوفراستوس *Theophrastus*

(*) يبدو أن هناك بعض العبارات التي سقطت من النص المترجم (المترجم).

في قاموسه تحت اسم نبات ثابسيا *Thapsia*. وأدمز⁽⁷¹⁾ Adams في ترجمته (لباولوس أجينيتا *Paulus Aegineta*) قال: إن نبات ثابسيا *Thapsia* قد توقف استعماله في الطب لمدة طويلة؛ حتى إن (كولبير القديم *Old Culpeper*) كان يطلق عليه «الجزر الغريب السام ولهذا لا حاجة إليه». ونجد في قاموس (ويستر⁽⁷²⁾ *Webster*)، أن نبات (الدرياس *Drias*) (*Thapsia*) يُعرف بأنه «الجزر المमित» وهو نبات شائع حول قوريني وإليه يتم لفت نظر الزوار على أنه (نبات السلفيوم).

كما أن نبات فيرولا مارمريكا *Ferula Marmarica* كان يعتبر أيضاً مثل نبات «السلفيوم» وكان سيشونفورث *Schweinfurth* وآشيرسون⁽⁷³⁾ *Ascherson* هما أول من وصف هذا النوع النادر من نبات القنّة *Ferula* في عام 1893، وقد تم وضعه في قائمة (دوران *Durand* وبارتي⁽⁷⁴⁾ *Barratte*) وذلك لكونه قد وجد في خليج البومبة والبيضاء في منطقة قورينائية، ووصفه ساندوذ *Sandwith* وسيمبسون⁽⁷⁵⁾ *Simpson* بأنه ينمو في منطقة قورينائية. ويعتبر استابف⁽⁶⁷⁾ *Stapf* أن نبات أمونياكون ديسكوريدس *The Ammoniakon of Dioscorides* هو نبات فيرولا مارمريكا *Ferula Marmarica* وليس نبات فيرولا تنجتانا *Ferula Tingitana*. ومع ذلك فإنه ليس للاعتقاد القائل بأن نبات فيرولا مارمريكا *Ferula Marmarica* مشابه لنبات السلفيوم، مبرر كاف. فإن نبات فيرولا كوميونيس *Ferula Communis* لم يتم التأكد من اعتباره نبات السلفيوم وذلك بسبب انتشار توزيعه في العصور القديمة والحديثة، وأيضاً بسبب السموم التي يحتوي عليها.

ويستبعد ثيوفراستوس⁽⁷⁷⁾ *Theophrastus* نبات البرانقوس فيرولاسيا *Prangos* *Ferulacea* (ماقيداريس *Magydaris*)، وذلك لكونه ذا طعم لاذع ولأن نموه جاء متأخراً عن نمو نبات السلفيوم، كما أن هذا النبات كان ينمو في سوريا وليس في قوريني. كما أشار ثيوفراستوس *Theophrastus* إلى ملاحظة مهمة وهي أنه باستطاعة الخبراء التمييز بين عصير نبات السلفيوم ونبات الماقداريس *Magydaris*.

لكننا نجد أن مختلف أنواع نباتات الحلتيت *Asafoetida* قد تم إهمالها وتجاهلها على أنها هي نبات السلفيوم، وذلك لأن نباتات مثل نبات نارثيكس *Narthex Asafoetida* لم توجد في شمال أفريقيا⁽⁷⁸⁾. وكذلك نجد

الأوصاف المبكرة لنبات السلفيوم الموجود في قوريني تقرر أنه نبات عديم الرائحة وسهل الحصول عليه، بينما نجد أن نبات الحلتيت *Asafoetida* كانت له شهرة سيئة تتعلق برائحته خاصة. وعلى سبيل المثال، فإن الاسم الشائع لنبات *Asafoetida* في اللغة الألمانية هو (تيوفيلسدريك *Teufelsdreck*) أو (Dung of the Devil) أي روث الشيطان. ونجد في قاموس أدوية (ماتيريا) ⁽⁷⁹⁾ *Materia Medica* الذي نشر في عام 1774 م، أن نبات الحلتيت *Asafoetida* يوصف على أنه «روث الشيطان عند الأوروبيين، وأكل الآلهة بالنسبة للأسويين».

ومن الوصف السابق الذي استند بشكل رئيسي على الشواهد التي أتى بها ثيوفراستوس *Theophrastus* ومن عملة قوريني، وأيضاً على عملية حذف نباتات الحلتيت من فصيلة السلفيوم، فإنه يكون من الواضح أن نبات السلفيوم هو نبات (الفرولا *Ferula Tingitana*) أو نبات يرتبط به ارتباطاً قوياً. ونبات الفرولا *Ferula Tingitana* نادر الوجود في منطقة قورينائية في وقتنا الحاضر، ولكن ما يزال موجوداً في تلك المنطقة.

والفكرة القائلة إن نبات السلفيوم لا يمكن أن تنقل زراعته إلى تربة أخرى تقوم أساساً على رواية هيبوكراتيس ⁽⁸⁰⁾ *Hippocrates* القائلة بأن نبات السلفيوم ينمو نمواً طبيعياً في ليبيا ولا يمكن أن ينمو في الهند أو في منطقة البلوبونيز *Peloponnesus*. ومن هذا يتضح صعوبة أن تنقل زراعة نبات القنة *Ferula* بجذوره الطويلة إلى أماكن أخرى. مع ذلك، فمن الممكن أن تزرع بذور هذه النباتات بسهولة. وقد لاحظ (بليني ⁽⁸¹⁾ *Pliny*) أنه عندما كانت تزرع هذه النباتات فإنها تعود سريعاً إلى الصحارى. ووصف (سينيسيوس ⁽⁸²⁾ *Synesius*) زراعة نبات السلفيوم في الحدائق. وأن نباتات القنة *Ferulas* تنمو في التربة الصخرية. وفي صقلية نجد أن نبات فيرولا كوميونيس *Ferula Communis* هو الاسم الشائع لنبات فيلا *Fella* وهو ينمو بطريقة جيدة حول المنحدرات البركانية لجبل (اتنا *Mount Etna*). وفي إنجلترا نجد أن نبات فيرولا كوميونيس *Ferula Communis* ونبات فيرولا تنجتان *Ferula Tingitana* يزرعان على أنهما من نباتات الحدائق وتوجد عينات معروضة من نباتات القنة *Ferulas* تنمو في الحدائق النباتية الملكية في كيو



Kew وفي حديقة شيلسيا فيسيك Chelsea Physic بلندن .

كان السلفيوم يستخدم لأغراض متعددة، فقد استخدم تابلاً وبهاراً وطعاماً للحيوانات الأليفة، بالإضافة إلى استخدامه بوصفه عقاراً علاجياً للإنسان والحيوان، كما يستخدم عاملاً مخصباً لنمو النباتات. وقد أعد (ويسقلاسس⁽⁸³⁾ Waisglass) قائمة ممتازة لهذه الاستعمالات. إن إنتاج السلفيوم وتصديره من قوريني بدأ في الحال بعد إنشاء المستعمرة وتناقص تدريجياً بعد ذلك من عام 200 ق.م وما بعدها. والدليل على هذه الرواية يأتي بصفة رئيسية من سك العملة. إن العملات النقدية المبكرة لمدينة قوريني، التي سكت بين عامي 510 و 525 ق.م. كان يوجد عليها ثمرة نبات السلفيوم، أو ورقة منه، أو النبات نفسه⁽⁸⁴⁾. وآخر التواريخ لهذه العملات النقدية المنقوش عليها نبات السلفيوم كانت في الفترة التي بين 221-246 ق.م وذلك خلال فترة حكم بطليموس الثالث Ptolemy III. وذكر بليني⁽⁸⁵⁾ Pliny بشكل محدد أن السلفيوم قد انقرض في زمنه. وعلى كل حال، هناك مؤلفون آخرون يرجعون انقراض سلفيوم قوريني إلى زمن متأخر. ولقد أشار (اسكريبونيوس لارقوس⁽⁸⁶⁾ Scribonius Largus) إلى أن سلفيوم قوريني يفضل استعماله، إذا أمكن الحصول عليه، وإلا استعمل السلفيوم السوري. أما (جالين⁽⁸⁷⁾ Galen) فيوصي بعصير سلفيوم قوريني (Succus Cyrenaicus). وأما (كلوميللا⁽⁸⁸⁾ Columella) فيرجع عصير لآزر Laser إلى قوريني. وقد أعطى أيبكوس⁽⁸⁹⁾ Apicius توجيهات إلى استعمال سلفيوم قوريني أو بارثيا Parthia. (وآليان⁽⁹⁰⁾ Aelian 170-230 م)، فهو أيضاً قد أشار إلى عصير سلفيوم قوريني. وإنه لمن الواضح أن أقصى استغلال لنبات السلفيوم في قوريني كان بين الوقت الذي تم فيه تأسيس المستعمرة وبين عام 200 ق.م، حين لم يعد السلفيوم يستخدم شعاراً على دروع الرماة على عملة قوريني. لقد اختفى نبات السلفيوم تدريجياً من سوق البلدان الإغريقية وروما، ولكنه لم يختف كلياً كما يؤكد بليني Pliny.

هناك جملة أسباب ذكرت لتبرير اختفائه منها⁽⁹¹⁻⁹³⁾: طرق جمعه، ونقص الرقابة الحكومية، والإفراط في استخدام الأرض من أجل الزراعة والرعي، والتغيرات المناخية، والصراعات الداخلية والخارجية. وعلى سبيل المثال، فإن

استرابو⁽⁹⁴⁾ Strabo يجربنا بأن الأهالي المحليين قد قضاوا على نبات السلفيوم القوريني بسبب الضغائن والحقد.

ومن الواضح أن الكتاب خلال الفترة التي بين عام 600 وعام 200 ق.م هم أول مصدر أكيد للمعلومات عن السلفيوم القوريني. ذلك أن السلفيوم كان معروفاً جيداً لدى سكان قوريني، أما اثينايس⁽⁹⁵⁾ Athenaeus فقد استشهد بأنثيفانيس Antiphanes الذي كتب عن قوريني بهذه الكلمات، «أنا أريد أن أقول وداعاً لكل الخيول، للسلفيوم، وللعربات الحربية، لسيقان السلفيوم، لسباق الحواجز، لأوراق السلفيوم، والحمى وعصير السلفيوم». وفي موضع آخر يستشهد بهيراكليز Heracles الذي يقول «إنني لم أحضر هنا لأقتات على سيقان السلفيوم». هذا الرجل يعبر عن اشتهاه أكل اللحوم. وكل من كتب بين عام 200 ق.م وعام 100 م فربما أشار إلى سلفيوم قوريني وربما لم يشر. والعبارات الاستدراكية المذكورة آنفاً تؤيد هذه الفكرة. وقد ساءت الأحوال في قوريني بعد عام 200 م إلى درجة زادت من احتمال استحالة التصدير. فتورة اليهود في عام 115 م وزلزال عام 365 م الذي دمر المدينة بشكل خاص كل ذلك يجعلنا نميل إلى القول بالاستعاضة التامة عن سلفيوم قوريني بنبات الحلتيت Asafoetida من ميديا Media أو سوريا وذلك بعد عام 200 م.

وبالرغم من أن هذا التقسيم الزمني يعتبر عشوائياً، إلا أن كتاب الفترة الأولى (600-200 ق.م) يعتبر أهم المصادر، إلا أن أهمية مصادر كتاب الفترة الثانية (200 ق.م - 200 م) يعتبرون مصادر ذات أهمية ثانوية، أما الكتاب المتأخرون بعد عام 200 م فكانوا إما ينسخون كتابات الأوائل أو يصفون تأثير نبات الحلتيت Asafoetida. ولهذا يعتبر هيبوكراتيس Hippocrates، هو أفضل مراجعنا الطبية عن سلفيوم قوريني. على كل حال فربما استغرقت الكتابات الموجودة في مجموعة هيبوكراتيس Hippocrates Corpus فترة أطول من حياته، وقد حوت إشارات كثيرة إلى السلفيوم. ولقد أوصى⁽⁹⁶⁾ به كمسهل ولعلاج الحمى واستخدم في تصحيح وضع الرحم عند علاج العديد من حالات أمراض النساء ولطرد المشيمة وعلاج آلام المعدة⁽⁹⁷⁾ وعلاج تدلي الشرج. هذا وقد أشار هيبوكراتيس⁽⁹⁸⁾ Hippocrates مرتين إلى وجود السلفيوم في ليبيا. وعلى الرغم من أن (هيرودوتس⁽⁹⁹⁾ Herodotus)

أعطى وصفاً جغرافياً جيداً لقوريني، إلا أنه لا يأتي على ذكر السلفيوم إلا في موضعين. ففي حديثه عن قورينائية، قال إن المساحة الموجود بها السلفيوم تمتد من جزيرة بلاتيا Platea حتى مدخل خليج سرت. وأشار أيضاً إلى وجود حيوانات أبناء عرس في إقليم السلفيوم، كما لاحظ (أرسطوطاليس⁽¹⁰⁰⁾ Aristotle) وجود نوع من الثعابين في منطقة السلفيوم (*). أما ثيوفراستوس⁽¹⁰¹⁾ Theophrastus فهو يعتبر أفضل مرجع في الوصف النباتي للسلفيوم لأنه كتب في الفترة التي كان يمكن فيها الحصول على السلفيوم من منطقة قورينائية. وقد سبقت الإشارة إلى وصفه ذلك عند الكلام عن التعريف النباتي للسلفيوم. وقد ذكر أرسطوفانيس⁽¹⁰²⁾ Aristophanes السلفيوم في عدد من مسرحياته. ففي مسرحية (الطيور)، تشكو إحدى الشخصيات قائلة «إنهم لا يشوونك ويعذبونك فحسب... ولكن يبشرون جبينهم وسلفيومهم أيضاً». وفي مكان آخر من نفس المسرحية، تقول شخصية أخرى «ناولني المبشرة، أحضر السلفيوم ثم الجبن بعدئذ». وفي مسرحية (بلوتوس Plutus) هناك ملاحظة عن قيمة السلفيوم: «إنك لن تتغير سيما أن أعطيتني سلفيوم باتوس كله». كذلك في مسرحية (الفرسان Knights)، توجد إشارة جديدة بالملاحظة «ألا تتذكر عندما كانت ساق السلفيوم تباع بثمن رخيص جداً؟» ويبدو أنه حتى ذلك الوقت (حوالي 385-450) كان السلفيوم نادر الوجود وغالي الثمن. ويلاحظ (كاتو⁽¹⁰³⁾ h13f1 Cato) أنه لو يُبشّر السلفيوم على الكرنب فإنه سوف يكون جيداً، وأيضاً فإن (السير بيكيوم Sirpicium) يعتبر دواءً جيداً لمرض المفاصل وأشار بلاتوس⁽¹⁰⁴⁾ Plautus في مسرحية (روديبوس Rudeus)، إلى تصدير السلفيوم إلى مدينة (كابوا Capua).

لقد وردت هذه الإشارات التي سبق ذكرها من الفترة التي كان فيها السلفيوم ينتج ويصدر بوفرة. وهي فترة الاستيطان الإغريقي وتوسع المدينة. وعندما آلت قوريني عام 96 ق.م إلى الرومان. لم يعد السلفيوم يستعمل شعاراً على دروع الرماة على عملة قوريني. وأغلبية الكتاب في هذه الفترة يستدركون في إشاراتهم للسلفيوم بالقول بأن سلفيوم قورينائية هو أجود الأنواع إن أمكن الحصول عليه.

(* راجع عبد الرحمن بدوي «ليبيا في مؤلفات أرسطو» مجلة كلية الآداب، العدد الثالث، (سنة 1969)، ص 121-143، (المترجم).



بالإضافة إلى أن استرابو⁽¹⁰⁵⁾ Strabo وصف عملية تبادل السلفيوم بالخمير مع (قرطاجة)، مشيراً إلى أن سلفيوم ميديا Media ليس أدنى بكثير من جودته من عصير سلفيوم قورينائية، بل ويعتبر أحياناً أفضل منه. وهذا التنوع ربما يرجع إلى النبات نفسه أو طريقة إعداده. أما (كاتولوس⁽¹⁰⁶⁾ Catullus) فقد أشار إلى السلفيوم كما لو أنه كان يوجد في قوريني، بعبارة «قوريني ذات السلفيوم». (ولسيلسوس⁽¹⁰⁷⁾ Celsus) إشارات عديدة إلى السلفيوم (لازر Laser). وأوصى به لعلاج حمى الربيع Quartan Feve، وعلاجاً للسعال الذي يسببه تقرح الخنجرة، وشلل اللسان وآلام البطن وكذلك وضع السلفيوم في قائمة الأطعمة. واقترح (سكريسونيوس لارقوس⁽¹⁰⁸⁾ Scribonius largus) استخدام السلفيوم في علاج (التهاب اللوزتين).

وكان بليني⁽¹⁰⁹⁾ Pliny متحمساً جداً لنبات السلفيوم - حتى أنه قال عنه إنه «أحد أئمن وأغلى هبات الطبيعة»، فهو نافع كنبات يزيد النشاط واليقظ، ويستخدم في حفظ الطعام، ويستفاد منه كوسيلة علاجية للأمراض. وقد زعم أنه علاج لحمى الربيع وتساقط الشعر والأمراض الجلدية، وإزالة محتويات الرحم، وتقرحات القصبة الهوائية، وفي نقل تجلط الدم ومنعه وفي علاج الثآليل، ويساعد على إنزال دم الحيض وإزالة ثفن القدم^(*) ويساعد على إدرار البول ويبطل سموم الأسلحة، والأفاعي والعقارب. وكان أيضاً مفيداً في علاج الجرب والسعال ومرض الكزاز، والتهاب اللوزتين والصرع وعرق النسا وروماتيزم القطن - لقد أخبرنا فحسب عن الأمراض التي كان السلفيوم قادراً على علاجها وحده فحسب، ولا يثق في فعالية أي عقار عندما يخلط بالسلفيوم.

وقد أشار (جالين⁽¹¹⁰⁾)، (جالين⁽¹¹¹⁾ Galen) عدة مرات إلى السلفيوم وإلى سوكوس قورينايكوس Succus Cyrenaicus. كما أوصى بعصير قوريني في علاج حمى الربيع وفي علاج جفاف الرأس «Arida Cephalica» كما لاحظ أن السلفيوم يعد مصدراً للحرارة.

والوصف الذي قدمه ديوسكوريديس⁽¹¹²⁾ Dioscorides يمكن أن يقارن مع وصف بليني Pliny، فهو يرى أن جرعة صغيرة من السلفيوم القورينائي تزيد رطوبة

(*) أو مسار القدم (المترجم).



في الجسم دون أن تنبعث منه رائحة كريهة، بينما سلفيوم ميديا Media وسوريا أضعف في قوته وله رائحة سامة. وأوصى بالسلفيوم في حالات الصلع الكامل وأمراض العين ووجع الأسنان وعضة الكلب والجروح ولدغات العقارب وإزالة ثفن القدم والنزلة الشعبية والسعال والكزاز والصرع. ويمكن مقارنة هذه القائمة من الأمراض بقائمة بليني Pliny. وذكر (كولوميللا⁽¹¹³⁾ Columella) أن السلفيوم ناجح لأمراض العيون ويستعمل في حفظ الأطعمة. أما أبيكيوس⁽¹¹⁴⁾ Apicius فأعطى إرشادات عن كيفية عمل الصلصة من السلفيوم القوريني أو البارثي Parthia ويشير أثيناوس⁽¹¹⁵⁾ Athenaeus مراراً إلى السلفيوم كنوع فاخر من التوابل في الطعام. في حين أن بوزنياس⁽¹¹⁶⁾ Pausanias لم يشر إلا مرة واحدة إلى السلفيوم: حيث يصف زيارة قام بها بعض الناس من قوريني، وأثناء رحيلهم، تركوا السلفيوم على المائدة.

وقد أعطى آرتيوس⁽¹¹⁷⁾ Aretaeus توجيهات باستخدام عصير السلفيوم القوريني نظراً لقوته العظيمة بالنسبة لأنواع أخرى من الأدوية التي يتم تعاطيها عن طريق الفم والتي تبعث الدفء عند استعمالها. ويناقد أوريباسوس⁽¹¹⁸⁾ Oribasius استخدام السلفيوم في الأطعمة وكمية عصير السلفيوم الموجودة في مختلف أجزاء النبات. واقترح أليان⁽¹¹⁹⁾ Aelian أنه لو حصل إنسان على كمية في يديه من عصير السلفيوم القوريني وأمسك بطوربيد Torpedo فإن بوسعه أن يتحاشى الألم الذي ينشأ من جراء ذلك. وقد أورد وصفاً شائقاً عن سحب جذور النبات بربط ساق طائر بنبات السلفيوم، فعندما يرفرف ويرتعث الطائر فإن جذر النبات يُجثث دون أن ينكسر. وقد كتب سونيسيوس⁽¹²⁰⁾ Synesius عن النمو الممتاز لنبات السلفيوم في قوريني، مشيراً إلى أن كمية كبيرة من عصير السلفيوم تم إعدادها من هذا النبات⁽¹²¹⁾.

ويصف باولوس أجينيتا⁽¹²²⁾ Paulus Aegineta السلفيوم على أنه علاج مدفيء ممتاز وفعال جداً إذا ما استعمل على الجلد. وله أيضاً بعض الخواص المطهرة. أما أدامس Adams وهو المترجم لمؤلفات باولوس أجينيتا Paulus Aegineta فنجد له تعليلاً مثيراً على السلفيوم - فهو يشير إلى نبات الحلتيت Asafoetida وأنه ما يزال يحتفظ باسم «سيلفيون Silphion» في الدستور الصيدلي الإغريقي لعام 1831 م.



وإنه لشيء يدعو إلى الاهتمام أن بعض المصادر السالفة الذكر تذكر على وجه الخصوص سلفيوم قوريني . فمنذ عام 36 ق.م إلى عام 115 م كان السلام يعم قوريني . ولقد قام الرومان بالكثير من العمران والتشييد والتطوير في ذلك الوقت . ولكن السنوات التي جاءت بعد ذلك كانت مليئة بالنزاع والصراع ، ابتداء بثورة اليهود في عام 115 م والزلازل المروع الذي حدث عام 365 م الذي تبعته هجمات القبائل الصحراوية . وإنه لمن الواضح أنه خلال تلك الفترة العصيبة قد تمت الاستعاضة عن السلفيوم القوريني بحلتيت الشرق الأوسط . وقد استمر ذكر اسم السلفيوم حتى العصور الوسطى ، ولكن هذه التسمية ربما جاءت نتيجة النسخ عن الكتابات القديمة .

ولقد عرّف (الأقباط)⁽¹²³⁾ لفظة السلفيوم بالحلتيت (Asafoetida) وأوصوه كعلاج لأمراض العيون . هذا وقد وضع (الإسكندر ترايلس)⁽¹²⁴⁾ Alexander of Tralles نبات السلفيوم ضمن الوصفات الطبية . ونجد في كتاب الطب السوري The Syrian Book of Medicine الذي ترجمه (بودج)⁽¹²⁵⁾ (Budge) ، أن نبات لازرپيتيوم Laserpitium (السلفيوم Silphium) يعتبر جيداً لعلاج البرد في المعدة والرعدة والسعال والديدان المعوية .

أما (الرازي)⁽¹²⁶⁾ (Rhazes) فقد خصص جزءاً كبيراً للكلام عن الحلتيت Hiltit (السلفيوم Silphium) وزعم أنه ينتج الحرارة ويوجد منه نوعان ، واحد ذو رائحة طيبة أما الآخر فكريه الرائحة . وهو يوحى باستخدام الحلتيت لطرد الغازات من البطن وللقضاء على الجلطة الدموية وتساقط الشعر والثآليل التي تصيب الجلد والخراريج الداخلية والخارجية والأورام والكزاز والصرع ، وطرد البلغم الثقيل ، وطرد الطفيليات من الحلق ، ووجع الأسنان ، والسعال المزمن ، وأمراض المفاصل والأعصاب ، والبواسير وكوسيلة مساعدة لإدرار البول وإنزال دم الحيض . وهو يفيد أيضاً في علاج حمى الربيع ، ومضاد للسهم السامة ، وعضة الكلب ، والجروح ، كما يتخذ ترياقاً ضد العقاقير السامة أو المشوهة . ولقد استخدم الرازي الحلتيت في علاج إحدى حالات الصرع . وأشار إلى أن نوبات الصرع توقفت كنتيجة لاستعمال السلفيوم . ومن الواضح أن الرازي أخذ هذه المعلومات من كل من ديوسكوريدس

Dioscorides وبليني Pliny . والإشارة إلى السلفيوم الطيب الرائحة والكريه الرائحة تؤخذ في الاعتبار، ذلك لأن السلفيوم الكريه الرائحة يقصد به الحلتيت Asafoetida، أما السلفيوم الطيب الرائحة فإنه مشابه لسلفيوم قوريني . وهذا يشير قضية أصل السلفيوم الطيب الرائحة في الوقت الذي عاش فيه الرازي . فهل كان هذا السلفيوم الطيب الرائحة مستعملاً بالفعل آنذاك، أو تم نسخ هذا المصطلح من المصادر المبكرة لسلفيوم قوريني ذي الطعم الحلو والرائحة الطيبة؟

أما (ابن سينا⁽¹²⁷⁾ Avicenna) فقد عُني كثيراً بنبات الحلتيت (Silphium) Hiltit فقد أشار إلى الحلتيت Al-Hiltit المأخوذ من مدينة قوريني والذي كانت رائحته غير كريهة . ومرة أخرى يحق لنا أن نتساءل ما إذا كان ابن سينا يكرر ما قاله الكتاب الأوائل أم أن سلفيوم قوريني ما يزال يسهل الحصول عليه؟ فقد عقد مقارنة، وأشار إلى نوع آخر يتم الحصول عليه من سوريا، وهو أضعف من الذي يمكن الحصول عليه من قوريني . وقد تحدث عن السلفيوم بوصفه ساخناً في بداية الدرجة الرابعة وجافاً في الثانية . وأوصى به لعلاج ریح البطن، وإيقاف نزيف الدم، وسقوط الشعر، والأورام الضارة، والأمراض الداخلية والخارجية، وفي علاج الأكتيميا، والتشنج العصبي، والكزاز، وآلام الأسنان، والصرع، وإزالة العلق من الحنجرة، وماء العين، والسعال، وورم اللهاة، واليرقان، وزيادة القدرة الجنسية، ويساعد على إنزال دم الحيض، والمغص، والبرد المزمن، والحمى، وعضة الكلب، ولدغات العقرب والعناكب، ومضاد للسهام والرماح السامة .

أما (المجوسي⁽¹²⁸⁾ Al-Majusi علي بن العباس Haly Abbas) فقد سجل أن مرض التهاب القولون المخاطي من الحالات المرضية الممكن علاجها باستخدام السلفيوم (الحلتيت Asafoetida)، ويساعد أيضاً في علاج الإسهال ويستخدم في إسقاط الجنين الميت وإنزال المشيمة من الرحم، والسعال المزمن، ويسهل إدرار البول والدورة الشهرية .

وأشار (الغافقي⁽¹²⁹⁾ Al-Ghâfiqi) إلى الكثير من المؤلفين السابقين الذين ذكروا تأثير السلفيوم، مستخدماً اسم (انجدان Angudân، السلفيوم Silphium أو الحلتيت Asafoetida) . والموضوع الوحيد والجديد هو الاستشهاد برأي حبش

Habaish (الذي فُقد عمله) حيث يقول إن بعض الناس يقومون بإلقاء الانجدان في الأنهار ذلك لأن رائحته من الممكن أن تقتل القنادس والحشرات، وهكذا يستطيعون أن ينقذوا محاصيلهم الزراعية. أما (ابن البيطار⁽¹³⁰⁾ Ibn El-Beithar) فإنه يستشهد بالكثير من المؤلفين الذين تتعلق أعمالهم باستخدام الانجدان. أما سيرابيون⁽¹³¹⁾ Serapion فقد اعتمد على ديوسكوريدس Dioscorides وبليني Pliny في استخدام السلفيوم.

فضلاً عن ذلك فإن هناك إشارات للسلفيوم ونبات اللازربيتيوم Laserpitium في نباتات العصور الوسطى. وقد ذكر السلفيوم في عام 1491 م عند اورتوس سانيتاتيس⁽¹³²⁾ Ortus Sanitatis. وعند جيراردي⁽¹³³⁾ Gerarde إشارات كثيرة للنباتات التي تنتج اللازر Laser، وأفضلها ذو الرائحة الطيبة وهو ما جاء من أعالي جبال قوريني وإفريقيا، أما ذلك الذي يأتي من سوريا وميديا Media وآرمينيا Armenia فهو ذو نكهة قوية كريهة. والقائمة التي أوردها بخصوص استخداماته تشبه كثيراً تلك التي جاء بها بليني Pliny. وعنده نرى أن السلفيوم يعالج تجلط الدم، كما يزيل العلامات السوداء والزرقاء، كما يعتبر علاجاً للأورام وألم النساء، والنقرس، كما يفيد في علاج وجع الأسنان، والسعال (خاصة لآزر قوريني Laser of Cyrene)، واليرقان، وداء الاستسقاء. ويستعمل في حالات ضعف المعدة، والحمى، وعضة الحيوان، ومضاد للسهام السامة والجروح. ويزيل ثفن القدم ويمنع تساقط الشعر. ويتبادر سؤال: هل جيراردي Gerarde أحضر السلفيوم من قوريني عام 1597 م، أم أنه كان يقيم علاقة مع ما قرأه في ديوسكوريدس Dioscorides؟ وأيضاً فإن (راي⁽¹³⁴⁾ Ray) قد ناقش السلفيوم عام 1686 م. كما نجد أن (ليونارد فيشس⁽¹³⁵⁾ Leonard Fuchs) يطلق على السلفيوم اسم (سوكوس سيرينايكوس Succus Cyrenaicus) الذي انتقل إلى أوروبا عبر (فينيسيا Venice) لقد كتب (ليميري⁽¹³⁶⁾ Lemery) مؤكداً أن نبات لازربيتيوم Laserpitium أو السلفيوم يشبه نبات القنة Ferulas الذي ينمو في مقاطعة (بروفانس Provence) وبالقرب من (مرسيليا Marseilles). ونجد في طبعة 1644 لثوفراستوس⁽¹³⁷⁾ Theophrastus تعقيباً مطولاً عن السلفيوم كتبه (أيونيس بودايوس Ioannes Bodaeus). ويشير



ميلير⁽¹³⁸⁾ Miller إلى نبات لازربيتيوم Laserpitium بيد أنه يقول إن تلك النباتات على قدر من الجمال والاستعمال في بريطانيا.

(ولجارسيا دا أورتا⁽¹³⁹⁾ Garcia da Orta) نقاش ممتع حول نبات اللازربيكيوم Laserpicium قدمه على هيئة حوار يبدأ بملاحظات حول التيهت Altihit والحلتيت Asafoetida واللازاريكيوم Laserpicium. والنتيجة التي انتهى إليها تقرر أن نبات اللازربيكيوم Laserpicium ليس هو نبات الحلتيت Asafoetida، ذلك لأنه لم يكن ذا رائحة. ولهذا فإن اللازربيكيوم Laserpicium الذي كتب عنه ديوسكوريدس Dioscorides وبليني Pliny، ليس هو الدواء الذي وصفه ابن سينا والكتاب العرب الآخرون. وهذا يوضح أن ديوسكوريدس Dioscorides وبليني Pliny كانا يصفان سلفيوم قوريني، في حين أن ابن سينا كان يتحدث عن الحلتيت Asafoetida كما عرفنا. وبراسافوليوس⁽¹⁴⁰⁾ Brasavolus له وصف لنبات اللازربيكيوم Laserpicium في شكل حوار أيضاً.

وخلال القرن الماضي، كان هناك الكثير من الاهتمام بنبات الحلتيت Asafoetida. فنجد وصفاً نباتياً جيداً للنباتات التي تنتج الحلتيت Asafoetida قدمها هوليس⁽¹⁴¹⁾ Holmes. وقد كان يستخدم هذا العقار بصفة رئيسية في علاج المستيريا، والصرع، والسعال الديكي، ومغص البطن المصحوب بالغازات، والتهاب الجهاز التنفسي المزمن المصحوب بإفرازات مفرطة، والإمساك، وأمراض الرحم⁽¹⁴²⁾. وقد عُد هذا النبات ضمن قائمة دستور الصيدلة والأدوية في (الولايات المتحدة)⁽¹⁴³⁾ عام 1916 م وفي عناصر الأدوية وطريقة تركيبها Dispensatory⁽¹⁴⁴⁾ الذي نشر عام 1918 م في الولايات المتحدة. أما (مفتاح⁽¹⁴⁵⁾ Muftah) فإنه ينصح في كتابه الذي نشر في القاهرة عام 1953 م، باستخدام نبات الحلتيت في علاج التشنج، وغازات البطن، وطرود ديدان البطن، وتسهيل العادة الشهرية، وزيادة وزن الجسم، ويستعمل مسهلاً. وفي الهند⁽¹⁴⁶⁾، نجد أنه يوصي بنباتات القنة Ferulas في علاج لدغات العقارب، والمستيريا، والصرع، كمطهر، والتهاب الشعبي المزمن، والربو، ومنشط للرحم، والجروح والكدمات، ومغص البطن المصحوب بالغازات، والالتهاب الشعبي عند الأطفال. وفي الصين⁽¹⁴⁷⁾، يستخدم

نبات الخلتيت *Asafoetida* في علاج الطفيليات المعوية، وتقلص العضلات، وضد تسمم الطعام والإسهال (ولمايرهوف⁽¹⁴⁸⁾ Meyerhof) تعليق على مصادر الأدوية وطبيعتها وخصائصها وتحضيرها، يذكر فيه أن العرب يستعملون في الوقت الحاضر نبات الخلتيت *Asafoetida* لعلاج الهستيريا والأمراض العصبية. وكذلك فإن الصيادلة المصريين يبيعون نوعاً من الصمغ منتجاً إما من نبات فيرولا تنجتانا *Ferula Tingitana*، أو من نبات فيرولا كوميونيس *Ferula Communis*، أو من نباتات القنة الشرقية *Ferula Orientalis*، حيث يستخدم كمسهل ويساعد على الإجهاض. والاستخدامات الحديثة لنبات الخلتيت *Asafoetida* في هذه البلدان قريبة الشبه بالاستخدامات التي وصفها بليني Pliny والرازي.

إن قصة السلفيوم قصة طويلة، فهي قصة علاجية طبية، ونباتية، وتقليدية، وأثرية وتاريخية. فقد بدأ الاهتمام بهذا النبات في زمن الآشوريين، عندما تم التعرف عليه وأطلق عليه اسمه؛ ولقد وصل إلى أوج إنتاجه وتصديره في قوريني وكان سبباً في ثراء ذلك الإقليم. وباضمحلال الزراعة الليبية، فقد تمت استعاضة تدريجية عن نبات السلفيوم بنبات الخلتيت *Asafoetida*. إن استخدام الخلتيت *Asafoetida* في العصور الوسطى واستخداماته الحديثة في مصر والهند والصين تشير إلى انتشار استعمال السلفيوم في فترة الاستعمار الإغريقي والروماني. ولما كان الاهتمام بهذا النبات الطبي قد استمر سنوات عديدة، فقد يكون من المجدي أن نعيد دراسة نباتات القنة *Ferulas* بمناهج حديثة في علم العقاقير.

الهوامش

- P. Douté, **De Succo Cyrenaico, diatriba**. Paris: Muguet, 1659, pp.1-32; 1-1-118. (1)
- P.C.F. Déniat, **Le Silphium**. Paris: Chez L'auteur, 1868, pp.1-60. (2)
- A. Rainaud, «Silphium», in Ch. Daremberg and E.Saglio, **Dictionnaire des antiquités grecques et romaines**. Paris: Hachette, 1877-1919, Vol.4, pp.1337, 1340. (3)
- E. Fournier, «Silphium des anciens», in A. Dechambre, **Dictionnaire encyclopédique des sciences médicales**, 3rd s.Paris: Masson, 1881, Vol.9, pp.636-647. (4)
- E. Strantz, **Zur Silphionfrage**. Berlin Brügel, 1909, pp.1-183. (5)
- B. Bonacelli, «Il Silfio dell'antica Cirenaica». **Boll.di inform. econ.**, Roma, 1924, 4-5-6:5-170. (6)
- Steier, «Silphion», in Pauly-Wissowa, **Realencyclopädie der classischen Altertumswissenschaft**. Neue Bearbeitung, Stuttgart: Metzler, Zweite Reihe, 1929, Vol.III, Cols. 103-114; Supplement V,1931, Cols. 972-974. (7)
- E.S.G. Robinson, «Silphium», in **Catalog of the Greek coins of Cyrenaica**. London: British Museum, 1927, pp.ccli-cclviii. (8)
- F. Chamoux, **Cyrène sous la monarchie des Battiades**. Paris: de Boccard 1953; Pt.2, (9) chap.2, pp.246-263: «Du Silphion».
- A.A.I. Waisglass, **An Historical Study of Cyrene from the Fall of the Battiad Monarchy to the Close of the Fourth Century B.C.** Doctoral diss., Columbia University, Doctoral Diss. Series, Publication No.10806. Ann Arbor, Univ. Microfilms, 1954, pp.8-12. (10)
- J.P. Thrice, **Res Cyrenensium**, ed. S.N.J Bloch. Hafnia: Universitatis Typographus, (11) 1828, pp.1-371.
- H.C. Broholm, «Kyrene», in Pauly-Wissowa, **Realencyclopädie der classischen Altertumswissenschaft**. Neue Bearbeitung, Stuttgart: Metzler, Vol.XIII, 1924, cols. 150-169. (12)
- R. Horn, «Kyrene». **Die Antike**, 1943, 19:167-213. (13)
- R. Goodchild, **Cyrene and Apollonia, An Historical Guide**. Department of Antiquities (Eastern Region) United Kingdom of Libya. 2nd., London: McCorquodale, 1963, pp.1-88. (14)
- Strabo, **The Geography**, trans. by H.L. Jones. New York: Putnam, 1932, Vol.8, p.203. (15)
- R. Goodchild, **Loc. Cit.** (16)
- Herodotus, **The Histories**, trans. by A.D. Godley. New York: Putnam, 1928, Vol.2, (17) p.401.



- Theophrastus, **Enquiry into Plants**, Trans. by A. Hort. New York: Putnam, 1916, Vol.1, (18) p.165.
- Émile Boisacq, **Dictionnaire étymologique de la langue grecque**. 4th ed., Heidelberg: (19) Winter, 1950, p.865.
- H.G. Liddell and R. Scott, **A Greek-English Lexicon**, revised by H.S. Jones and (20) R.McKenzie. New ed., Oxford: Clarendon Press, 1940, pp.1031, 1599.
- C.T. Lewis and C. Short, **A Latin Dictionary**. Oxford: Clarendon Press, 1951, pp.1038, (21) 1699.
- A. Souter, **A Glossary of Later Latin to 600 A.D.** Oxford: Clarendon Press, 1957, (22) p.378.
- Webster's **New International Dictionary**. 2nd ed., London: Bell, 1950, pp.1395, 2338. (23)
- R. James, **A Medicinal Dictionary**. London: Osborne, 1745, Vol.3. (24)
- S. Blancard, **Lexion medicum**, ed. C.G. Kühn. Lipsiae: Schwickert, 1832, p.1361. (25)
- Henricus Stephanus, **Thesaurus graecae linguae**. Paris: Didot, 1848-1854, Vol.7, p.252. (26)
- H. Schuchardt, «Die romanischen Lehnwörter im Berberischen». **Sitzungsb. d. Akad. d. (27) Wissensch. phil. -hist. kl.(wien)**, 1918, 188 (4):16.
- G. Nencioni, «Innovazioni africane nel lessico latino». **Stud. ital. di filol. class.**, 1939, (28) n.s. 16:30.
- H. Lewy, **Die semitischen Fremdwörter im Griechischen**. Berlin: Heyfelder, 1895, p.39. (29)
- T. Sarnelli, «Sull'origine del nome (silfo)». **Attie mem. d. Accad. di storia dell'arte Sani- (30) taria**, 1984, S.2, 14:46.
- O. Keller, **Lateinische Volksetymologie**. Leipzig: Teubner, 1891, p.61. (31)
- H. Power and L.W. Sedgwich, **The New Sydenham Society's Lexicon of Medicine and (32) the Allied Sciences**. Vol.5, London: New Sydenham Soc., 1899.
- A. Carnoy, **Dictionnaire étymologique des noms grecs de plantes** Louvain: Publications (33) Universitaires, 1959, pp.244-245.
- Déniau, **op.cit.**, ftn.2 Above, p.70. (34)
- D. Hanbury, «African Ammoniacum», in **Science Papers**. London: MacMillan, 1876, (35) pp.376-378.
- R.C. Thompson, **The Assyrian Herbal**. London: Luzac, 1924, pp.XVII, 267. (36)
- R.C. Thompson, «The migration of Assyrian plant-names into the West». **Class. Rev.**, (37) 1924, 38:148-149.
- V. Vikentiev, «Le Silphium et le rite du renouvellement de la vigueur». **Bull. Inst. d'E- (38) gypte**, 1954-55. 37:123-150.
- A. Evans, **The Palace of Minos at Knossos**. London: Hafner, 1964, Vol.1m pp. 284-285. (39)
- Solon, quoted by Pollux. **Onomasticon**, ed. I. Bekker. Berolini: Libreria Friederici (40) Nicolai, 1846, p.427.
- Déniau, **op.cit.**, ftn.2 above, p.70. (41)
- J.A.H. Murray, H. Bradley, W.A. Craigie, C.T. Onions, **A New English Dictionary**, (42) Theophrastus, **op.cit.**, ftn. 18 above, Vol.2, pp.13-21. Vol.9, 1919, p.52.
- Robinson, **op.cit.**, ftn.8 above. (44)
- B. V. Head, **Historia numorum**. Oxford: Clarendon Press, 1911, p.865. (45)
- F.H. Marschall, **Catalogue of the Finger Rings in the British Museum**. London: Trustees (46) British Museum, 1907, No.1045, p.168.
- Abbe Belley, «Sur une améthyste du cabinet du duc d'Orléans». **Mém. Acad. inscript. (47) hist.**, ancienne série, 1774, 36:18, Quoted from Fournier, **op.cit.**, ftn. 4 above, p.637.



- M. A. Murray, **The Splendour That Was Egypt**. London: Sidgwick and Jackson, 1949, (48)
p.195, plate LXVII, 2.
- Dioscordies, **The Greek Herbal**, ed. R.T. Gunther. Oxford: Univ. Press, 1934, pp.328- (49)
329; 331-332.
- Dioscorides, **Codex Aniciae Iulianae, nunc uindobonensis med. gr.I Lugduni Batavorum**: (50)
Sijthoff, 1906, 45V.
- P. E. Arias, **A History of Greek Vase Painting**. London: Thames and Hudson, 1962, (51)
p.309, Plate XXIV.
- E. A. Lane, «Lakonian Vase-painting». **Ann. Brit. School Athens**, 1933-34, 34:161-162. (52)
- S. Benton, «Birds on the Cup of Arkesilas». **Archaeology**, 1959, 12:178-182. (53)
- J. Needham, **Science and Civilization in China**. Cambridge: Univ. Press, 1962, Vol.4, (54)
p.24.
- Pedanium Dioscoridem Anazarbeum, ed. C. Sprengel. Lipsiae: Libraria Car. Cnob- (55)
lochii, 1830, Vol.2, p.529.
- Liddell and Scott, **op.cit.**, fn.20 above, p.1599. (56)
- Lucius Junis Moderatus Columella, **On Agriculture**. 3 Vols. (Vol. I tras. by H.B.Ash; (57)
Vols. II,III trans. by E.S. Forster and E.H. Heffner). Cambridge: Harvard Univ. Press,
1941-1955, Vol.II, p.173.
- Dioscorides, **op.cit.**, fn. 49 above, p.328. (85)
- W.T. Thiselton-Dyer and A.F. Hort, in L. Whibley, **A Companion to Greek Studies**. 4th (59)
ed., Cambridge: Univ. Press, 1931, p.65.
- Theophrastus, **op.cit.**, fn. 18 above, Vol.2, p.489. (60)
- Marcus Porcius Cato, **On Agriculture**, trans. by W.D. Hooper and H.B. Ash. Cam- (61)
bridge: Harvard Univ. Press, 1934, p.146.
- Pliny, **Natural History**, trans. by H.Rackham and W.H.S. Jones Cambridge: Harvard (62)
Univ. Press, 1950, Vol.5, p.444.
- Carnoy, **op.cit.**, fn. 33 above. (63)
- G. E. Post, **Flora of Syria, Palestine and Sinai**. 2nd ed., rev. and enlarged by J. E. (64)
Dinsmore. Beirut: American Press, 1952, Vol.1, p.548.
- H. Baillon, **Le Jardin botanique de la Faculté de Médecine de Paris**. Paris: Doun, 1884, (65)
pp.92-93.
- Dominicus Vivani, **Flora Libycae specimen**. Genuae: Pagano, 1824, p.17. (66)
- M. Herincq, «Silphion of the ancients and its alleged modern representative». **pharm. J.** (67)
and Tr., 1876-77, 3rd s., 7:750-753.
- Theophrastus, **op.cit.**, fn. 18 above, Vol.2, p.265. (68)
- L. Mackinney, **Medical Illustrations in Medieval Manuscripts**. London: Wellcome His- (69)
torical Medical Library, 1965, Fig. 35, p.198.
- R. Dvnglison, **a Dictionary of Medical Science**. New ed., London: Churchill, 1876, (70)
p.1030.
- Paulus Aegineta, **The Seven Books**, trans. by F. Adams. London: Sydenjam Soc., 1847, (71)
Vol.3, p.135.
- Webster's **Dictionary**, **op.cit.**, p.786. (72)
- G. Schweinfurth and P. Ascherson, «Primitiae Florae marmaricae». **Bull de L'herbier** (73)
boissier, 1893, 1:649-650.
- E. Durand and G. Barratte, **Florae Libycae prodromus**. Genève: Romet, 1910, pp.109, (74)
110, 317, 318.
- N. Y. Sandwith and N. D. Simpson, «Additions to the Flora of Cyrenaica». **J. Botany**, (75)
1941, 79:36.

- O. Stapf, «The gums ammoniac of Morocco and the Cyrenaica». **Bull. Misc. Inform.** (76)
Roy. Bot. Gardens, Kew, 1907, 10:375-388. (77)
 Theophrastus, **op.cit.**, ftn. 18 above, Vol.2, p.21. (78)
 A. C. Andrews, «The Silphium of the ancients: A lesson in Crop Control». **Isis**, 1941, 33:232-236. (79)
Le dictionnaire raisonné-universel de matière médicale. Paris: Didot, 1774, Vol.1, p.398. (80)
 Hippocrate. **Oeuvres**, trans. by E. Littré: Baillière, 1839-1861, Vol.7, p.547. (81)
 Pliny, **op.cit.**, ftn. 62 above, Vol.5, p.447. (82)
 Synesius, **Letters**, trans. by A. Fitzgerald. London: Oxford univ. Press, 1926, pp.202, 228. (83)
 Waisglass, **op.cit.**, ftn.10 above, pp.10-11. (84)
 Robinson, **op.cit.**, ftn.8 above, Plate I. (85)
 Pliny, **op.cit.**, ftn.62 above, Vol.5, p.445. (86)
 Scribonius Largus. **Die Recepte**, trans. by W. Schonack. Jena: Fischer, 1913, p.35. (87)
 Galen, **Opera**, ed. C. G. Kühn. Lipsiae: Officina Libraria Car. Cnoblochii, 1821-1833, Vol.12, p.90. (88)
 Columella, **op.cit.**, ftn. 57 above, Vol.I, p.167; Vol.II, p.173; Vol.III, p.337. (89)
 Apicius, **The Roman Cookery Book**, trans. by B. Flower and E. Rosenbaum. Reprinted, London: Harrap, 1961, p.57. (90)
 Aelian, **On the Characteristics of Animals**, trans. by A. F. Scholfield. Cambridge Harvard univ. Press, Vol.I, 1958, p.329; Vol.II, 1959, p.251. (91)
 R. Goodchild. «Farming in Roman Libya». **Geograph. Mag.**, 1952, 25:70-80. (92)
 Idem, «The decline of Libyan agriculture». **Geograph. Mag.**, 1952, 25:147-156. (93)
 W. B. Fisher, «Agriculture in modern Libya». **Geograph. Mag.**, 1952, 25:184-194. (94)
 Strabo, **op.cit.**, ftn. 15 above, Vol.8, pp.203, 205. (95)
 Athenaeus, **The Deipnosophists**, trans. by C. B. Gulick, New York: Putnam, 1927, Vol.1, pp.433-435; 277. (96)
 Hippocrate, **op.cit.**, ftn. 80 above, Vol.2 pp.275, 453; Vol.7, pp.61, 363; Vol.8, p.107; Vol.6, p.459. (97)
Hippocrates, trans. by W.H.S. Jones. New York: Putnam, Vol.II, 1923, p.8. (98)
 Hippocrate, **op.cit.**, ftn. 80 above, Vol.7, p.547; Vol.8, p.185. (99)
 Herodotus, **op.cit.**, ftn. 17 above, Vol.2, pp.375, 397. (100)
 Aristotle, Works, Vol.IV, **Historia animalium**, trans. by D. W. Thompson. Oxford: Clarendon Press, 1910, 607a, 23. (101)
 Theophrastus, **op.cit.**, ftn. 18 above. (102)
 Aristophanes, **Comedies**, trans. by B. B. Rogers. New York: Putnam, 1924, (Knights) Vol.1, p.213; (Birds) Vol.2, pp.181,275; (Plutus) Vol.3, p.445. (103)
 Cato, **op.cit.**, ftn. 61 above, p.147. (104)
Plautus, Comedies, trans. by p. Nixon. Cambridge: Harvard univ. Press, 1932, Vol.4, p.347. (105)
 Strabo, **op.cit.**, ftn. 15 above, Vol.8, p.199; Vol.5, p.311. (106)
 G. Valerius Catullus, **The Poems**, trans. by F. W. Cornish, New York: Macmillan, 1912, p.11. (107)
 Celsus, **De medicina**, trans. by W. G. Spencer. Cambridge: Harvard univ. Press, 1935, Vol.1, pp.287, 391, 371, 427, 377, 492. (108)
 Scribonius Largus, **op.cit.**, ftn. 86, above. (109)
 Pliny, **op.cit.**, ftn. 62 above, Vol.5, pp.179, 383, 445-449; Vol.6, p.35, 365-371. (110)
 Galen, **op.cit.**, ftn. 87 above, Vol.12, p.123; Vol.13, p.846.



- Galen, **Oeuvres**, trans. by C. H. Daremberg. Paris: Baillière, 1856, Vol.2, p.272. (111)
- Dioscorides, **op.cit.**, ftn. 49 above, pp. 328-329. (112)
- Columella, **op.cit.**, ftn. 57 above, Vol.1, p.167; Vol.2, p.173. (113)
- Apicius, **op.cit.**, ftn. 89 above, pp.28, 57. (114)
- Athenaeus, **op.cit.**, ftn. 95 above, Vol.1, pp.121, 123, 277, 281, 309, 409, 433-437; (115)
Vol.2, pp.49, 105, 173, 271; Vol.6, p.359; Vol.7, p.51.
- Pausanias, **Description of Greece**, trans. by W. H. S. Jones and H. A. Ormerod. New (116)
York: Putnam, 1926, Vol.2, p.99.
- Aretaeus, **The Extant Works**, trans. by F. Adams. London: Sydenham Soc., 1856, (117)
p.403.
- Oribasius, **Oeuvres d'Oribase**, trans. by U. C. Bussemaker and Ch. Daremberg. Paris: (118)
Imprimerie Nationale, 1851-1876, Vol.1, p.276; Vol.2, p.686.
- Feljan, **op.cit.**, ftn. 90 above, Vol.I, p.329; Vol.II, p.251. (119)
- Synesius, **op.cit.**, ftn. 82 above, pp.202, 228. (120)
- Gazza («Prescrizioni mediche nei papiri dell'Egitto greco-romano», **Aegyptus**, 1956, (121)
36:96) lists Silphium as one of the drugs mentioned in the Oxyrhynchus Papyri, VIII,
1088, II, 38.
- Paulus Aegineta, **op.cit.**, ftn. 71 above, pp.337-339. (122)
- W. C. Till, **Die Arzneikunde der kopten**. Berlin: Akademie-Verlag, 1951, p.97. (123)
- Alexander von Tralles, **Opera**, ed. T. Puschmann. Wien: Braumüller, 1879, Vol.2, (124)
pp.314, 576.
- The Book of Medicines, Syriac text trans. by E. A. W. Budge. London: Oxford univ. (125)
Press, 1913, Vol.2, pp.153, 336, 363, 715.
- al-Razi (Rhazes), **al-Hawi (continens)**. Wellcome Historical Medical Library ms. 669 A. (126)
H. (1270 A.D.); 55B, 26-30; 66B, 9-17; 69B, 16-19; 74B, 25-26.
- Ibn Sina (Avicenna), **A System of medicine** (Arabic text). Cairo: Bulaq, A.H. 1294 (127)
(1877), Vol.2, p.316
- 'Ali ibn 'Abbas al-Majusi (Haly Abbas), **al-Makki**. Cairo: Bulaq, 1294 A. H. (1877), (128)
Vol.2, pp.125-126.
- Ahmad ibn Muhammad al-Ghâfiqi, **The Abridged Version of «The Book of Simple (129)
Drugs»**, trans. by M. Meyerhof and G. P. Sobhy. Cairo: al-Ettemad, 1932, pp.111-116.
- Ibn El-Beithar, **Traité des simples**. Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque (130)
Nationale, Vol.23 (1877), pp.141-145; Vol.25 (1881), pp.219, 486; Vol.26 (1883), p.294.
- Ioannes Serapion, **De Simplicium medicamentorum historia**, Interprete Nicolao Muta- (131)
no. Venice: A. Arrivabene, 1552, p.87.
- Hortus Sanitatis, de herbis et plantis. Moguntia: Meydenbach, 1491, section 443. (132)
- John Gerarde, **The Herball or Generall Historie of Plantes**. London: Norton, 1597, (133)
pp.853-855; 2nd ed., 1633, pp.1006-1007.
- John Ray, **Historia plantarum**. London: Clark, 1686, Vol.1, p.425. (134)
- Leonhard Fuchs, **De historia Stirpium**. Basileae: in off Isingriniana, 1542, pp.762-765. (135)
- N. Lemery, **Traité universel des drogues simples**. Paris: d'Houry, 1698, p.414. (136)
- Theophrastus, **De historia plantarum**, Commentary by I. Bodaeus. Amstelodami apud (137)
H. Laurentium, 1644, pp.589-600.
- Philip Miller, **Gardeners Dictionary**. 3rd ed., London: Rivington, 1737. (138)
- Garcia de Orta, **Colloquies on the Simples and Drugs of India**, trabs. by C. Markham. (139)
London: Sotheran, 1913, pp.40-52.
- Brasavolus, **Examen omnuem simplicium medicamentorum**. Rome, 1536, pp.91-92. (140)



- E. M. Holmes, «The asafoetida plants». *Pharm. J. and Tr.*, 1888-89, 3rd S. 19:21-24, (141) 41-44, 365-368.
- J. Pereira, *The Elements of Materia Medica and Therapeutics*. 4th ed., London: Long- (142) man, et al., 1857, Vol.2, pt. 2m pp.174-183.
- Pharmacopocia of the United States of America, Ninth Decennial Revision*. Phi- (143) ladelphia: Blakiston, 1916, pp.65-66.
- J.P. Remington and H. C. Wood, *The Dispensatory of the United States of America*. (144) 20th ed., Philadelphia: Lippincott, 1918, pp.197-201.
- R. Muftah, al-Tadhkira. Cairo: al-Halabi, 1372 A. H./1953, pp.106-107. (145)
- R. N. Chopra, S. L. Nayar, and I. C. Chopra, *Glossary of Indian Medicinal Plants*. (146) New Delhi: Council of Scientific and Industrial Research, 1956, pp.117-118.
- A Chamfrault and M. Ung. Kang Sam, *Traité de médecine chinoise*. Angoulême: Co- (147) quemard, Vol.3, Pharmacopée, 1959, p.148.
- M. Meyerhof, «Un glossaire de matière médicale composé par Maimonide». *Mém.* (148) *Inst. d'Egypte*, 1940, 41:12, 61.



مخطوطات ليبية في المغرب

د. ابراهيم أحمد المهدي

ظل الاتصال الثقافي مستمراً بين علماء الدويلات الإسلامية في الشمال الأفريقي منذ الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر، على الرغم مما تعرضت إليه المنطقة الممتدة من ليبيا إلى المغرب من قلاقل وأحداث جسيمة جعلت الاتصال بين أولئك العلماء متعذراً. وقد كان ذلك الاتصال مثمراً بالرغم من أنه كان غالباً ما يتم بطريقة مباشرة ونقصد بها اتصال العلماء وجهاً لوجه بقصد مناقشة لبعض القضايا العلمية التي كانت سائدة في ذلك العصر أو من أجل تلقي العلم على يد أحد العلماء المشاهير. أما الطريقة الأخرى فهي غير المباشرة وبموجبها كانت تنتقل آراء وأفكار العلماء بينهم بواسطة الرسائل ومؤلفاتهم. . . وقد ترتب عن ذلك وجود فيض هائل من المخطوطات التي كانت تعكس وجهات النظر المختلفة أحياناً حول إحدى القضايا المطروحة في دويلات الشمال الأفريقي وغيرها من دول المشرق الإسلامية العربية. وقد شارك كثير من العلماء الليبيين مع غيرهم من العلماء المغاربة والجزائريين والتونسيين، بالإضافة إلى علماء المشرق العربي الإسلامي في تناول بعض القضايا الهامة التي كانت تثير الجدل والنقاش بين علماء العصر، مما أدى



إلى انتقال كثير من المخطوطات الليبية⁽¹⁾ إلى المغرب وبقيت في حوزة مشاهير علماء المغرب والمثقفين حتى استقر بها الحال في الخزنة العامة التي كانت قد تأسست عام 1924 م بواسطة الحماية الفرنسية بمدينة الرباط، حيث استطاعت الحماية الفرنسية تجميع كثير من المخطوطات من معهد الدروس والمكتبات الخاصة مثل خزنة زاوية الشيخ ماء العينين في فاس وبعض خزانات السلطان مولاي عبد الحفيظ.

وقد استمر تجميع المخطوطات بعد استقلال المغرب حيث تم الحصول على بعض مخطوطات الأوقاف المشار إليها بحرف «ق» ومكتبة الكلاوي والشيخ الكتاني والشيخ المقرئ وغيرهم⁽²⁾. وقد تم إعداد فهرس لمخطوطات الخزنة العامة لأول مرة عام 1921 م بواسطة ليفي بروفنسال حيث اشتمل على حوالي 3500 مخطوط ثم توالى إصدار الفهارس باللغة العربية بواسطة بعض الأساتذة المغاربة الأجلاء.

وقد لفت نظري عدم احتواء هذه الفهارس على بعض المخطوطات الليبية التي عثرت عليها مصادفة بالخزنة العامة وقد حاولت بذل المساعي مع أحد العاملين والمسؤول عن المخطوطات تصوير إحداها ولكن مساعي باءت بالفشل نظراً لبعض الإجراءات المعرقة المعمول بها في الخزنة العامة بالرباط. ولكن بالرغم من ذلك فإني أتمنى أن تشكل لجنة علمية تتكون من بعض أعضاء هيئة تدريس جامعة قاريونس هدفها تجميع المخطوطات الليبية المحفوظة خارج ليبيا خاصة في دويلات المغرب العربي.

ومن بين المخطوطات الليبية التي عثرت عليها ضمن فهارس الخزنة العامة بالرباط يمكن ذكر ما يلي:

(1) لقد عثرت على هذه المخطوطات بفهارس الخزنة العامة بالرباط أثناء زيارتي للخزنة خلال شهر مايو 1991 م.

(2) الكتاني، محمد إبراهيم: وضعية المخطوطات العربية في الخزنة العامة بالرباط. في المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي، وضعية المجموعات وآفاق البحث. الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1990 م ص 17-19.



1 - ابن خبزون، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم

- 1 - التذكرة في القراءات عن الأئمة القراء. مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 282 ق [مصور بالميكروفيلم تحت رقم 387] بالخزانة العامة - الرباط.
- 2 - قصيدة في الرد على الصنعائي والنجدي. مخطوط تحت رقم D 1227 [د]⁽³⁾ (في مجموع من صفحة 563 إلى 565).
- 3 - التذكرة في القراءات (الجزء غير تام) مخطوط بخزانة الأوقاف تحت رقم 1134 ق.

2 - التاجوري⁽⁴⁾، عبد الرحمن بن محمد

- 1 - الباب الواحد والعشرون من المقدمة في الاعتدال. (في مجموع) مخطوط بخزانة الأوقاف تحت رقم ق. 262.
 - 2 - رسالة في استعمال الإبرة - محفوظ بالخزانة العامة تحت رقم 3457 د.
 - 3 - ورقات في معرفة القبلة والأوقات. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 740 د.
- هذا كما توجد له مخطوطات أخرى موزعة في بعض المكتبات بالمغرب⁽⁵⁾.

3 - الخروبي، محمد بن علي⁽⁶⁾

- 1 - الجمل الوهيبية على الحكم العطائية - مخطوط عدد صفحاتها 241 توجد تحت رقم L 2390 «تصوف».

(3) حرف D أو د باللغة العربية رمز يدل على المخطوطات القديمة الهامة الموجودة بالخزانة العامة في الرباط.

(4) عبد الرحمن بن محمد التاجوري عالم فلكي ليبي توفي حوالي 1553 م تقريباً، له عدة مؤلفات حول علم الفلك في المكتبات بالمغرب.

(5) الزريقي، جمعه. لمحة عن بعض المخطوطات الليبية في الخزانات المغربية. (ورقة غير منشورة مقدمة إلى مؤتمر المخطوطات والوثائق المنعقد بمدينة زيتن 1987 م) ص 4.

(6) محمد بن علي الخروبي من مواليد قرقارش أوفدته حكومة الجزائر لتسوية بعض الأمور السياسية والإدارية مع المغرب توفي عام 963 هـ الموافق 1556 م بمدينة الجزائر.



- 2- العروة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة لزروق. (في مجموع من صفحة 33 إلى صفحة 59) مخطوط تحت رقم L 2201 «تصوف».
- 3- شرح الحكم العطائية لابن عطاء الله (به ورقات 218) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1796 د. «تصوف».
- 4- شرح الصلاة المشيشية⁽⁷⁾. مخطوط في مجموع من صفحة 298 إلى 328. تحت رقم L 2404. «الاوراد والأذكار».
- 5- القواعد الخمس في أصول الدين. مخطوط في مجموعة من ورقة 1 ب إلى 9. مجموع سطوره 23، مقياسه 160/230. محفوظ تحت رقم D 1860 بالخزانة العامة - الرباط. «فقه».
- 6- كتاب الانس في شرح عيوب النفس، شرح به منظومة زروق. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2691 د.
- 7- وظيفة مأخوذة من كتاب كفاية المرید وحية العبيد، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2781 د.
- 8- مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس. مخطوط محفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1860 د.
- 4- الخطاب، محمد بن علي بن عبد الرحمن (861 هـ - 954 هـ)
- 1- قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين عبد الملك الجويني. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2272 د «أصول الفقه».
- 2- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل. الثلث الأخير في جزئين، صفحاتهما 421. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط - تحت رقم 1065 د أما الجزء الثاني والثالث من كتاب مواهب الجليل في شرح مختصر خليل فإن عدد صفحاتهما

(7) الزاوي، الطاهر أحمد، أعلام ليبيا، ط 2، طرابلس، مؤسسة الفرجاني، 1971 م، ص 385.



- يساوي 542. مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم 2063 د.
- 3- تحرير الكلام في مسائل الالتزام (توجد من هذا الكتاب عدة نسخ بالمغرب) منها على سبيل المثال:
- نسخة محفوظة بالخزانة الصيحية العلمية بسلا تحت رقم 1/40.
- نسخة أخرى محفوظة بخزانة القرويين بفاس تحت رقم 476/2.
- 5- الزواوي، محمد بن محمد بن عمر
- 1- تحفة الناظرين ونزهة المناظر. مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم 955 د.
- 6- السنوسي، محمد بن أحمد بن عبد الله
- 1- أم البراهين. مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 959 ق.
- 2- رسالة في الفقه (في مجموع) مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 1010 ق.
- 3- عقيدة التوحيد (في مجموع) مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 969 ق.
- 4- أجوبة في الدين والدنيا (في مجموع) مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 731 ق.
- 5- عقيدة التوحيد (في مجموع) مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 969 ق.
- 7- الساحلي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري
- 1- بغية السالك في أشرف الممالك. عدد الورقات 241. مخطوط تحت رقم L 1691 «تصوف».
- 2- جنة العباد (في مجموع) من صفحة 1 إلى صفحة 58. مخطوط تحت رقم L 2106 «مواعظ».
- 3- قصيدة رائية في الأذكار. مخطوط في مجموع من صفحة 580 إلى 582.



مكتوب بخط شرقي جميل) محفوظ بالخزانة العامة تحت رقم 1921/10 د «الأذكار والأوراد».

4- قصيدة في مدح النبي صلوات الله عليه، من ورقة 141 إلى ورقة 143. مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم D 1419 «الأمداح النبوية».

8- الزرويني، علي بن مصباح الخمسي

1- سنا المهندي في مآثر الوزير اليعمدي 222 ورقة، مخطوط بالخزانة الملكية تحت رقم 11095.

2- ديوان انس السمير في نوادر الفرزدق وجرير. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 3546 د.

3- ديوان علي مصباح الخمسي. ورقاته 317، محفوظ بالمكتبة الملكية تحت رقم 6938 (مصور بالميكروفيلم).

8- الغرياني، محمد بن أحمد بن عبد الحميد بن عمر

1- شرح العطاءية - (مخطوط مصورة في مجموع من صفحة 1 إلى 405) محفوظة تحت رقم 850 و740 ف.

2- شرح على الحكم العطاءية. مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 740 ق.

9- الغرياني، اليربوعي أبو الحسن علي أبو سلامة

1- رسالة في آداب المرید وشرح بعض الكلمات من علم التصوف. من صفحة 406 إلى 410. محفوظة تحت رقم 850/2 و740/2 ف. (مصورة على الميكروفيلم).

2- حاشية المدونة. (مصورة على الميكروفيلم) محفوظة تحت رقم 857 و753 ف.

1 - كامل الصناعة في الفروسية لناصر الدين محمد، مخطوط بخزانة مكناس تحت رقم 666.

2 - تذكرة أولى البصائر (في مجموع) الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1194 د.

1 - الهداية النافعة لشرح منظومة الواضحة. مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم 2214 د.

1 - كتاب الفرائض. محفوظ بخزانة القرويين تحت رقم 40/505.

13 - الطرابلسي، أبي الحسن علي بن سعيد

1 - عقيدة الطرابلسي، مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم 2214 د.

14 - الأجدابي، إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله

1 - عمدة الحفاظ في علم اللغة. فرغ منه في شهر رجب 1193 هـ. (خط شرقي) مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم D 1195.

2 - كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ. مخطوط في مجموع من صفحة 251 إلى 281. مخطوط تحت رقم L 2206/2.

3 - كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ. من ورقة 1 ب إلى 42 ب. مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم D 1269.



15 - المسراتي، عبد السلام⁽⁸⁾

1- زهرة الأنس في شرح أسماء الله الحسنى . مخطوط بالخزانة الكتانية تحت رقم 515 ك .

16 - المعداني، أبو علي بن رحال

1- فتح الفتح علي المختصر . الأجزاء الموجودة هي من الجزء الأول إلى الثامن . ومن الجزء العاشر إلى الثاني عشر . أما الأجزاء المفقودة فهي الأجزاء التاسع والثالث عشر ثم الرابع عشر . مخطوط محفوظ بخزانة الأوقاف تحت رقم 523 ق .

2- الروض الفائح في مناقب أبي عبد الله محمد الصالح . مخطوط بالخزانة الكتانية تحت رقم 2369 ك .

17 - المهدي، أبو العباس (م 440 هـ)

1- الموضح في تعليل وجوه القراءات . . . شرح الهداية في القراءة . مخطوط بمكتبة الأوقاف تحت رقم 139 ق .

18 - المييار، أحمد بن محمد

1- كشف الرواق . . . ؟ (في مجموع) مخطوط بخزانة الأوقاف تحت رقم

969 ق .

(8) الزاوي، الطاهر أحمد، نفس المصدر السابق، ص 218.



الخلاصة

تعتبر بعض من هذه المخطوطات التي أشرت إليها بإيجاز في هذه المقالة غير موجودة في ليبيا، كما أن مؤلفيها غير معروفين لدى الكثير من المهتمين بتجميع المخطوطات في بلادنا، لهذا يجب الاهتمام بها من قبل جامعة قارونس مع مراعاة التأكد من نسبة مؤلفيها إلى ليبيا وذلك من أجل معرفة الحياة الثقافية التي كانت تسود البلاد خلال تلك الفترة التي عاش فيها مؤلفو المخطوطات المشار إليها سابقاً. . هذا كما أنني أرجو المعذرة إن وقعت في الزلل بسبب نسبة العلماء المذكورين الذين قاموا بتأليف المخطوطات الواردة الذكر. . بل إن حسي الإشارة إليها مع التنويه إلى ضرورة تصويرها أما غير ذلك فإني أترك ذلك للمهتمين بهذا المجال راجياً أن يحالفهم الصواب في التحقق مما قصدت إليه.

د. إبراهيم أحمد المهدي
كلية الآداب والتربية
جامعة قارونس





دَوْرُ العِلَاقَاتِ اللّائِبِيَّةِ
فِي رَفْعِ الكِفَايَةِ الأَنْبَاجِيَّةِ التَّعْلِيمِيَّةِ

إعداد:

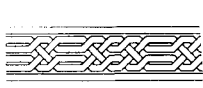
الدكتور/ عبدالله المتاسم الصبرفي
أستاذ مشارك بقسم التخطيط
التربوي وإدارة التعلّيمية

كلية الآداب والتربية
جامعة قاريونس



مجلة قارئون للعلمية





المقدّمة

إن الإنسان اجتماعي بطبيعته لذا فإنه لا يستطيع أن يعيش في عزلة عن باقي البشر وفي الواقع فإنه تربطه مع غيره علاقات إنسانية متنوعة فبين الأبناء والآباء توجد علاقات وبين التلاميذ والمدرسين توجد علاقات. وبين الأزواج علاقات وبين المدرسين داخل المؤسسة التعليمية وخارجها توجد أيضاً علاقات وعلى هذا الأساس فإن للعلاقات الإنسانية معاني عديدة إلا أنها بمعناها السلوكي المستخدم في الإدارات تعني بتحقيق التوازن بين تحقيق الأهداف للمنظمة والرضا النفسي للعاملين (منتجين وموظفين ومدرسين. . الخ) وإشباع مطالبهم أو هي عملية تنشيط واقع الأفراد من موقف معين مع تحقيق التوازن بين رضاهم النفسي وتحقيق الأهداف المرغوبة وذلك بزيادة الكفاية الانتاجية.

فمن هنا نستطيع الفهم بسهولة أن الهدف الأساسي للعلاقات الإنسانية يتوقف على التوفيق بين:

- 1 - إرضاء المطالب البشرية الإنسانية عند العاملين.
- 2 - تحقيق أهداف المنظمة أو المؤسسة التعليمية باعتبارها منظمة رسمية وذلك بزيادة الكفاية الانتاجية فيها.

إن العنصر الأساسي في العلاقات الإنسانية هو إرضاء العاملين وذلك بإشباع الحاجات المختلفة عندهم حيث أنهم يختلفون في المزاج والأتزان والثبات والمدير أو المدرس الناجح في مؤسسته التعليمية الذي يتسم بصفة القيادة يجب أن يعرف هذه الحاجات وسوف استعرض في هذه الدراسة بعض العناصر المتعلقة بدور العلاقات الإنسانية في رفع الكفاية الانتاجية التعليمية .

أولاً : مفهوم العلاقات الإنسانية :

يمكن تعريف العلاقات الإنسانية في مجال العمل بأنها من مجالات الادارة وهي تعنى باندماج الافراد في موقف العمل بطريقة تحفزهم إلى العمل معاً بأكبر انتاجية مع تحقيق التعاون بينهم وإشباع حاجاتهم الاقتصادية والنفسية والاجتماعية ويتضح من التعريف السابق أن للعلاقات الإنسانية أهدافاً ثلاثة :

1 - تحقيق التعاون بين العاملين .

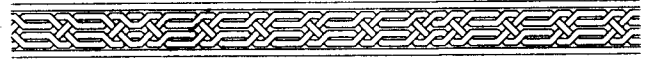
2 - الاندماج .

3 - إشباع حاجات الأفراد الاقتصادية والنفسية والاجتماعية .

وعندما تتحقق الأهداف الثلاثة السابقة تكون النتيجة نجاح الجهد الجماعي فالأفراد يعملون معاً لهدف مشترك ودافع مشترك⁽¹⁾ .

كذلك نورد مفهوماً آخر للعلاقات الإنسانية يؤكد ما سبق ذكره بأنها إشباع الحاجات الإنسانية على أساس أنها إشباع للحاجات النفسية للفرد في نطاق الجماعة أو بعبارة أخرى توفير الفرص أمام الفرد من الجماعة لإشباع حاجاته إلى الأمن والطمأنينة والاستقرار وحاجته إلى العمل والانتاج والنجاح والتقدير والحاجة إلى الحرية والنمو والاطلاع والحاجة إلى تأكيد أهميته وتقبل الغير له ومعاملته معاملة عادية تليق بإنسانيته . وفي هذا الإطار من إشباع الفرد حاجاته النفسية والبيولوجية

(1) د/ عبد الرحمن الباقي العلاقات الإنسانية مكتبة التجارة والتعاون، القاهرة ١٩٧٩ م ص ٧ .



يمكن أن يحدث التغيير والتطوير للجماعة بشكل أفضل⁽²⁾

والعلاقات الإنسانية ما هي إلا مجموعة من التعاملات السلوكية والعلاقات الاجتماعية بين العاملين في المنظمة من جهة وبينهم وبين القيادة الادراية من جهة أخرى، فالسلوك يتأثر باتجاهات الفرد ودوافعه وشخصيته الإنسانية وانفعالاته.

وقد أدت الدراسات التي قام بها (التوف مايب) في الثلاثينات من هذا القرن إلى ضرورة اعتبار الموقف الاجتماعي الذي يحيط بالعامل في عمله أنه أحد العوامل الرئيسية التي تؤثر في الانتاج والموقف الاجتماعي يتكون من مجموع العلاقات التي توجد بين مجموعة من الأفراد في موقف ما وفي العمل الذي يتعبّر نشاطاً جماعياً وليس البتة نشاطاً فردياً. وهكذا نستطيع أن نقول إن مفهوم العلاقات الإنسانية هو النتاج العام الذي يوجد فيه الفرد مع جماعة من الناس ذات الهدف المشترك⁽³⁾.

ثانياً: لماذا علاقات إنسانية:

سؤال يطرح نفسه بإلحاح أمام المديرين وكل الهيئات والمؤسسات والمنظمات التربوية منها والاجتماعية والصناعية غير أنه لم يجد الإجابة الشافية إلا بعدما أعلنت نتائج بحوث «التون مليون» وزملائه التي أكدت القيمة السلوكية في العملية الإدارية وبموجبها صنفت الادارة على أنها من العلوم السلوكية.

ولم تكن العلاقات الإنسانية وليدة المصادفة بل كانت نتيجة لعدة عوامل أهمها إهمال حركة الادارة العلمية الجوانب الإنسانية وتركيزها على العناصر الفنية في الانتاج مما أدى إلى كثير من المشكلات الإنسانية في علاقات الإدارة بالعاملين التي كان لها آثارها السلبية على الانتاج.

(2) محمد سليمان شعلان وآخرون، الإدارة المدرسية والاشراف الفني مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩ م. ص ٧١.

(3) د/ زكي محمد هاشم، السلوك البشري وأثره في التطبيق الإداري مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٢ م. ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

لهذه العوامل وغيرها نشطت فكرة العلاقات الإنسانية وأهميتها في الإدارة وبدأ الاتجاه السلوكي المتكامل ينمو ويقدم للإدارة منطقاً متميزاً يرى أن العامل الأساسي المحدد لكفاية الإدارة وقدرتها على تحقيق أهدافها هو «الإنسان».

وبمعنى أدق السلوك الإنساني «Human Behavior» ويجمع هذا الاتجاه مبادئ ومفاهيم من علوم إنسانية مختلفة تدور كلها حول محاولة فهم السلوك الإنساني وتفسيره والإفادة من هذه التفسيرات في التنبؤ بأشكال السلوك المتوقعة للأفراد في مواقع العمل المختلفة ومن ثم تستطيع الإدارة اتخاذ القرارات الرشيدة لحل مشكلات العمل وتحقيق أهدافه.

فالعلاقات الإنسانية مهمة في العملية الإدارية لاعتبارات علمية وأخرى ديمقراطية غير أنه من سوء حظ العلاقات الإنسانية على أهميتها كثرة استخدامها خلال السنوات الأخيرة ولم تحدد تحديداً دقيقاً ومما ساعد الكتاب المحدثين أن تعبير العلاقات الإنسانية من الناحية اللغوية بسيط وسهل فالكل يعرف كلتا الكلمتين ومعناها اللغوي ولكن المعنى الاصطلاحي غاب عن أذهان الكثير منهم ولذلك كثر الخلط بين الصفة الإنسانية والصفة الشخصية ففهمها بعضهم على أنها علاقات شخصية تقوم على الصداقة والأخوة وسابق المعرفة والقرابة ولو أنهم تتبعوا اشتقاق الكلمة وأصلها لوجدوا الفرق الشاسع الذي يفصل بين الإنسانية والشخصية في العلاقة لأن الأولى الإنسانية تقترن بالموضوعية بينما تقترن الثانية بالميل والهوى والتحيز. والادهي من هذا وذلك أن البعض اعتقد أن العلاقات الإنسانية معناها عدم الأخذ بأخطاء الغير بغض النظر عنها وتغليب عنصر الشفقة والرحمة والعلاقات الشخصية حفاظاً على لقمة العيش حتى ولو كانت الأخطاء على حساب المصلحة العامة.

وهناك خلط آخر في موضوع العلاقات الإنسانية وهو أن بعض الناس يرى أن العلاقات الإنسانية عبارة عن إضافات جديدة في العمل ووظيفة جديدة على وظائف الإدارة أو أنها عملية تنشيط يقوم به الإداري ويسهم في توفيره وذلك من قبيل



التسلية أثناء العلم. فمدير المؤسسة التعليمية وفق هذه النظرة، عليه أن يوزع الابتسامات والتحيات على الدوام وأن يجلس مع العاملين ويداعبهم بمناسبة وغير مناسبة. إن مثل هذه العلاقات قد تسيء إلى العلاقات الإنسانية أكثر من أن تعطي نموذجاً صحيحاً عنها.

إن العلاقات الإنسانية ليست نمطاً مقروناً بنشاط سطحي محدود بل هي موضوع أو فكرة يقصد بها إعادة النظر والفحص في العمل وأداته لتحويلها إلى نوع جديد أكثر فاعلية وكفاية إنتاجية وأكثر إنسانية.

ثالثاً: ما العلاقات الإنسانية السليمة؟

للإجابة على هذا السؤال لا بد أن نذكر بعض الأمور التي إذا ما وضعها المسؤول في اعتباره كان يمارس علاقات إنسانية سليمة، من هذه الأمور حاجات الفرد التي يسعى إلى إشباعها وهي:

1 - الشعور بالأهمية / إن كل فرد منا سواء كان مديراً أو مدرساً، يحس بحاجته إلى المكانة والأهمية ويرى إشباعها عن طريق أشخاص آخرين لذلك ينبغي أن نلجأ إلى بعض البواعث المناسبة كالمديح والإطراء فاستعمالها بحذق وفطنة يجعلها من أقوى الدوافع لإجادة العمل. وعلى العكس فإن اظهار الامتعاظ أو التهكم والسخرية يكون لهما أسوأ الأثر على نفسية المدرس وبالتالي تجعله يحس بعدم أهميته في المنظمة التعليمية.

2 - الشعور بالأمن والطمأنينة في وظيفته وفي بيئته وفي دخله وفي كل شؤون الحياة. يساعد الفرد ويمكنه من التفرغ للانتاج بنفس راضية مطمئنة وروح معنوية عالية.

3 - تقدير المدير للظروف الطارئة التي تحدث للمدرس وأن أثر هذا ينعكس على نفسيته وتفانيه في حب العمل والاحلاص لمدرسته وبحفزه للعمل باخلاص.

4 - يحتاج المدرس من مديره منحه الثقة والحرية في التجديد والاطلاع والابتكار وفتح ميادين جديدة لم يطرقها غيره من قبل. وتشجيعه ليقبل عليها

وتشجيع غيره ليقبل على ميادين أخرى دون تعارض أو تصادم، فمن المهام الرئيسية للمدير أن ينسق بين مختلف الجهود وأن يستغل سلطته لضبط الأمور والعمل على أن يحتفظ كل صاحب حق بحقه.

5 - إدخال بعض البرامج الترفيهية كالمباريات والرحلات وما إلى ذلك من ألوان النشاط التي تجعل من الأفراد جماعة مترابطة كأنهم أسرة واحدة. ففي مثل هذا الجو تتجاوب الانفعالات مما يؤدي بالمدرسين لأن يعملوا أكثر وبمجهود أقل. وعلى المدير أن يضع نصب عينيه مبدأ هاماً، وهو أن يضع نفسه مكان الآخرين دون أن يتأثر تفكيره بميوله وأهوائه وأغراضه الشخصية⁽⁴⁾.

وهذه بعض الحاجات التي يسعى الفرد إلى تحقيقها عن طريق تفاعله مع الآخرين. وقد أكدت الدراسات والأبحاث التي قام بها (التون مابو وزملاؤه) بعض النتائج التي تفسر ذلك من هذه النتائج:

1 - إن الحالة المعنوية للعمال عامل من الجوانب المادية والانتاج وبالتالي يؤثر على الكفاية الانتاجية.

2 - إن التنظيم الاجتماعي والعلاقات الجماعية غير الرسمية التي تنشأ بين العمال أهم بكثير في تحديد انتاجهم ودرجة إقبالهم على العمل من الجوانب المادية للعمل مثل الإضاءة والتهوية وفترات الراحة.

3 - إن سياسة الإدارة تجاه العاملين واهتمامها بهم ومعاملتها إياهم تحدث أثراً سحرياً في نفوسهم وتدفعهم لزيادة الانتاج حتى لو لم يتغير أي شيء في ظروف العمل المادية.

4 - إن إعطاء العامل فرصة للمشاركة في تصميم إدارة العمل التي يقوم به يعتبر حافزاً أساسياً للإقبال على العمل ورفع كفاية الانتاج فيه.

من هذه النتائج يتضح لنا أن العلاقات الإنسانية السلمية ما هي إلا تعبير عن

(4) عبد السلام غانم، اثر العلاقات الإنسانية في الإدارة المدرسية رسالة التربية العدد ٢، (طرابلس ١٩٧٩) ص ٣٩.

فلسفة وديمقراطية يعبر عنها الإداري الديمقراطي الذي يؤمن بنظرية التكامل التي تركز على تقدير كل فرد واحترام مواهبه واستعداداته واعتباره قيمة عليا في حد ذاته وهي تتضمن الاحترام المتبادل بين المؤسسة أو المنظمة والعاملين فيها هذا الاحترام الذي يقوم على حسن النية والقصد والعمل على الدراسة الموضوعية العلمية الجماعية لمشكلات الإدارة أو المؤسسة أياً كان نوعها سعياً لتحقيق أكبر مصلحة لعامة أفراد المجتمع تحقيقاً لأهداف المؤسسة.

فإذا كانت العلاقات الإنسانية تهدف إلى مثل هذه الأغراض فهل استطاعت إدارة المؤسسة التعليمية أن تمارس هذه الفلسفة وتتخلص من الاتجاه المادي السائد في مؤسساتنا التعليمية، الذي ورثناه عن الماضي والذي كان يركز على الوسائل المادية ويهمل الإنسان الذي يتمثل في المدرس والتلميذ.

إن نظرة فاحصة لما يجري الآن في مؤسساتنا التعليمية وإدارتها تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن معظم القيادات فيها ما زالت تؤمن بالنظرية التشاركية للإنسان وأن القلة منهم تخلص من هذا التقليد وأعطى للإنسان قيمته ولكن في معظم سلوكه يخلط بين ما هو إنساني وما هو شخصي. مما أدى إلى نوع من الفوضى والتحكم في مقاليد الأمور بدقة. والقلة القليلة منهم «القيادات التعليمية» سواء في المدارس أو المنطقة التعليمية التي تقع المدارس داخل نطاق إشرافها استطاعوا تحقيق قدر كبير من التكيف مع مديريهم وأعطتهم كل ما يمكن أن يعطى للإنسان لكي يحقق أكبر قدر من الانتاج في العملية التعليمية.

إذا سلمنا بهذا أدركنا أن تنمية العلاقات الإنسانية في الإدارة التعليمية لا تتطلب إضافة ما. وإنما تتطلب تغييراً جذرياً لهذه الإدارة من حيث فلسفتها ومن حيث أساليبها وإجراءاتها وتنظيمها وأفرادها بحيث تكون ترجمة صادقة للديمقراطية. وهنا يمكن أن نجد لنفسها معنى حقيقياً وتحصل على مكانة في الواقع العملي.

فإذا كانت تنمية العلاقات الإنسانية أمراً ضرورياً في الإدارة الآن بحكم ما تمر به أمتنا العربية من تغيير جذري بأوضاعها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية

والسياسية وترد على الواقع الذي كنا نعيش فيه وما يمتاز به من تقليد وسلبية فإن تنميتها في مجال الإدارة التعليمية في المؤسسات التعليمية بصفة خاصة يصبح أمراً ضرورياً لأن الإدارة التعليمية باعتبارها المشرف المباشر على المؤسسة التعليمية وهي من دون الإدارات جميعاً تقع عليها مسؤولية ضخمة لأن المؤسسة التعليمية باعتبارها المنظمة الاجتماعية التي تمد المجتمع بكل ما يحتاج إليه من قوى بشرية متعلمة تسلم في جميع أنشطته السياسية والثقافية والاقتصادية. فالمؤسسة التعليمية «المدرسة» بكل مدخلاتها ومحور حاجاتها تعتبر معقداً أو مركباً تحتاج إلى مدير حكيم يقودها بأمانة وإخلاص لتحقيق رسالتها لأنها تشمل جميع أمانى المجتمع وطموحاته وعن طريقها تتحقق أغراضه⁽⁵⁾.

فالتلميذ الذي هو اللبنة الأساسية في العملية التعليمية يحتاج لكي تسير به في طريق النمو والاتجاه الصحيح وتنمية قدراته وتوظيفها توظيفاً سليماً إلى المدرس المتحمس لرسائله الراضية عن مهنته، المدرس ذو الروح المعنوية العالية الذي يحس بكرامته ومكانته والأمن على نفسه وعلى مستقبله. إن مثل هذا المدرس سوف يعطينا نتائج طيبة ويستخرج لنا رجالاً قادرين تمكنهم قدرتهم من المساهمة البناءة في بناء حضارة عربية خالدة ولكن كيف توفير مثل هذا المدرس.

إن الإجابة على هذا السؤال توضحها طبيعة العلاقات الإنسانية السلمية في أن إدارة المؤسسة التعليمية «المدرسة» مسؤولة إلى حد كبير عن توفير مثل هذا المدرس. فإذا كان هناك شرط خاص يجب توفره في مدير المدرسة فهو قدرته على ممارسة العلاقات الإنسانية. فهو مسؤول بصفة خاصة وكجزء أساسي من عمله نحو موظفيه وتلاميذه ونضجهم.

وعليه أن يدرك أنه لا يمكنه تحقيق نتائج طيبة لعمله إلا إذا تعاون مع الآخرين وفي مقدمتهم المدرسون لأن العلاقات الإنسانية السلمية هي التي تقوم على الإيمان العميق بقيمة كل فرد وبقدرته على مواجهة المشاكل والمساعدة على حلها والتغلب عليها والإيمان بأن جهد كل فرد سوف ينمو إذا أتاحت له الفرص

(5) د محمد منير موسى، الإدارة التعليمية عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٧ م ص ١٦١.



المناسبة . وهذا الإيمان هو الوسيلة لخلق الجو الملائم الذي ينمو فيه الجميع ويتطورون وهو الجو الأساسي في بناء العلاقات الإنسانية الطيبة .

فإذا كنا نريد تحديد العلاقات الإنسانية السلمية في الإدارة فإنه ينبغي مراعاة تحقيقها للأهداف التالية :

- 1 - إيجاد جو من الطمأنينة والأمن خال من التوتر والقلق .
- 2 - إتاحة الفرص لجميع المدرسين والعاملين بالمؤسسة التعليمية لتحقيق ذاتهم ونموهم .
- 3 - توفير الثقة والتعاون بين الجميع وإشاعة روح الود والألفة بينهم .
- 4 - الإيمان بالأهداف التي وضعت من أجلها المؤسسة والاخلاص لتحقيقها .
- 5 - مساعدة العاملين بالمؤسسة على اظهار مواهبهم واستغلالها إلى أقصى حد ممكن .
- 6 - توفير الحماية والرأي والتعبير .
- 7 - تشجيع روح المبادرة والابتكار والتجديد العلمي واحترام الفكرة وإن قلت قيمتها .
- 8 - مشاركة العاملين واتخاذ القرارات الخاصة بالمؤسسة .
- 9 - التضامن والتآزر على تحقيق أهداف المؤسسة بصورة أفضل وأسرع والسير بها قدماً لتحقيق مزيد من أهدافها .
- 10 - قدرة المدير أو أمين المؤسسة على فهم الكوامن النفسية للسلوك البشري والعوامل التي توجهها والعمل على ضبطها بما يحقق للفرد سلوكاً منسجماً .
- 11 - عدم تدخل المدير أو أمين المؤسسة في الشؤون الخاصة بالعاملين بالقدر الذي يطلب منه ومساعدتهم في حل مشاكلهم الخاصة إذا لزم الأمر .

12 - يجب على المدير أن يكون كالأب للعاملين أو كالأخ الأكبر لهم يرشدهم ويوجههم ويأخذ على أيديهم إذا لزم الأمر حتى لا تصبح المؤسسة فوضى .

هذه جملة من الأهداف التي تتضمنها عملية العلاقات الإنسانية إذا ما أحسن استخدامها .

رابعاً: العلاقات الإنسانية والكفاية التعليمية:

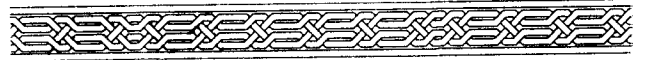
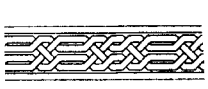
يقصد بالكفاية التعليمية مدى قدرة النظام التعليمي على تحقيق الأهداف المنشودة منه ولهذه الكفاية جوانب أربعة: الجانب الأول منها يتعلق بالكفاية الداخلية والجانب الثاني يتعلق بالكفاية الخارجية والجانب الثالث يتعلق بالكفاية الكمية والجانب الرابع يتعلق بالكفاية النوعية .

ويقصد بالكفاية الداخلية مدى قدرة النظام التعليمي الداخلي على القيام بالأدوار المتوقعة منه «Roles» وتشمل الكفاية الداخلية كل العناصر البشرية الداخلية في التعليم التي تتولى البرامج التعليمية والمناهج الدراسية والأنشطة المصاحبة والإدارية وغيرها وهنا تلعب العلاقات الإنسانية دوراً هاماً في إيجاد روح التعاون بين العناصر البشرية التي لها علاقة مباشرة بالناحية التعليمية .

وتتطلب الكفاية الداخلية للنظام التعليمي وجود تفاهم بين جميع العاملين واتفاق على الأدوار والأهداف التي تسعى لتحقيقها هذه الأدوار كما تتطلب تعاوناً وتكاتفاً من جانب العاملين جميعاً .

وعلى الرغم من أن ذلك قد يبدو سهلاً من الناحية النظرية فإن واقع الأمر مختلف ذلك أننا نجد الأمور قد تسوء على عكس ذلك في النظم التعليمية ويرجع ذلك أساساً إلى انعدام الاتفاق حول الأهداف والغايات المنشودة .

ويمكن أن نضرب مثلاً لتوضيح هذه النقطة: من المعروف أن الأصل في أي منظمة هو العمل الفني . فالغرض من المستشفى هو العلاج وهي ناحية فنية



والغرض من المصنع الانتاج وهي عملية فنية وكذلك الغرض من المؤسسة التعليمية هو التربية والتعليم وهي عملية فنية.

وهذا يعني أن العمل الفني هو الأساس وأن العمل الإداري يقوم في الشؤون المالية والإدارية في أية منظمة ومنها التعليم. يجب أن يكون دورها في خدمة المطالب العملية التربوية الفنية وأن توفر لها كل ما تحتاجه وهذا يتطلب تفهماً تاماً من جانب كل من العاملين في الشؤون المالية والإدارية بهذا الدور. ولكننا نجد أن الواقع هو العكس فبدلاً من أن تكون الإدارة في خدمة التعليم أصبحت قيماً عليه وتحديداً لقدراته. ويترتب على ذلك في النهاية تحديد قدرة النظام التعليمي ومدى كفايته الداخلية ويعتبر انعدام هذا التفاهم والتكامل في الأدوار الوظيفية الداخلية دالة أو مؤشراً موضوعياً على ضعف الكفاية الداخلية للنظام التعليمي.

أما الكفاية الخارجية فيقصد بها مدى قدرة النظام التعليمي على تحقيق أهداف المجتمع الخارجي الذي وجد النظام من أجل خدمته. ولكن كيف يعرف أن هذا النظام التعليمي نجح أو فشل في تحقيق أهداف مجتمعه؟ الواقع أن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة لتشابك عناصرها ولكن هناك بعض المؤشرات التي يمكن بها الحكم على مدى نجاح أي نظام تعليمي في خدمة المجتمع. ومن هذه المؤشرات ما يقدمه النظام التعليمي من خريجين لهذا المجتمع ومدى ما يسهم به هؤلاء الخريجون في مجالات النشاط المخلفة بالمجتمع ومدى رضا القائمين بالاشراف على المؤسسات المختلفة والمملوكة للمجتمع عن نوعية الخريج. وهناك أيضاً القدرة الاجتماعية للخريج في القيام بدور المواطنة الصالحة. وممارسة الحقوق والواجبات الاجتماعية المرتبطة بهذا الدور.

أما الكفاية الكمية فيقصد بها عدد التلاميذ الذين يخرجهم النظام التعليمي بنجاح ويرتبط بهذا الجانب من الكفاية دراسة حالات التسرب والإعادة والرسوب. أي التلاميذ الذين تسربوا أو أعادوا أو رسبوا في السنة مرة أو أكثر. ويعتبر بعض



المشتغلين بالتربية أن هذا الجانب من الكفاية التعليمية هو ما يعرف بالانتاجية لديهم .

أما الكفاية النوعية فيقصد بها نوعية التلميذ الذي يخرج النظام التعليمي ولكن كيف نحكم على هذه النوعية؟ القياس الوحيد الذي تستخدمه النظم التعليمية بلا استثناء هو الامتحانات وهي دليلنا على هذه النوعية. ولكن هناك أيضاً مؤشرات أخرى يمكن أن نستدل بها على هذه النوعية منها نوعية البرامج والمناهج والكتب والمعلمين وغيرها من المؤشرات الموضوعية ذات الصلة المباشرة بتحديد النوعية .

وهناك معايير للحكم على كل واحدة منها ومعرفة مدى جودتها وكفائتها فلا شك أن مدى تطور البرامج والمناهج والكتب ومؤهلات المعلمين ومستوياتهم تعتبر من المعايير التي يمكن على أساسها تقدير الكفاية النوعية للنظام التعليمي . وعلى الرغم من هذا يبقى أيضاً أن الوسيلة المتاحة لنا للحكم النهائي على هذه النوعية هو الامتحان كما سبق أن أشرنا وهي وسيلة لا تكشف لنا عن كل جوانب النوعية المطلوبة⁽⁶⁾ .

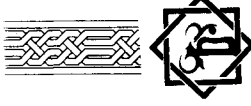
خامساً: مسؤولية المؤسسة التعليمية في خلق جو مناسب للعلاقات الإنسانية:

يمكن تلخيص مسؤولية المؤسسة التعليمية «المدرسة» في خلق جو مناسب للعلاقات الإنسانية في النقاط التالية:

1- تأمين بيئة ملائمة للعمل بالمؤسسة التعليمية ويشمل ذلك البناء المدرسي ودرجة التهوية فيه وكثافة الإنارة ووجود جميع وسائل الراحة من أثاث ومعدات حديثة وغيرها من ظروف العمل بالمؤسسة .

2- التوفيق بين الوظيفة والفرد أي وضع الرجل المناسب في المكان المناسب في المؤسسة فإذا وضع أحد المدرسين مثلاً من غير المؤهلين في مكان

(6) د/ محمد بن منير مرسي، نفس المرجع ص 271 - 272 .



حساس بالمؤسسة التعليمية فإنه يؤثر بشكل سلبي على الروح المعنوية للمدرسين وبالتالي على انتاجهم.

3 - اشترك أعضاء هيئة التدريس بالمؤسسة التعليمية في اتخاذ القرارات خاصة التي تمس طبيعة عملهم وتؤثر عليهم فالمشاركة ترفع الروح المعنوية للمدرس وتجعله يشعر بالانتماء لمؤسسته التعليمية فالناس بطبيعتهم يميلون إلى دعم ما يشاركون في وضعه عادة.

4 - ديمقراطية القيادة والإشراف حيث تتأثر الروح المعنوية للمدرسين بأسلوب القيادة الذي يمارس عليهم إلى حد كبير فقد أثبتت التجارب أن القيادة الديمقراطية المبنية على أساس التعاون والمشاركة بين مدير المؤسسة التعليمية والمدرسين تؤدي إلى خلق روح الفريق والتعاون والبناء أكثر من غيرها من أساليب القيادة، كالقيادة السلطوية والتعسفية أو القيادة غير الموجهة غير المبالية.

5 - تفويض السلطة يؤدي إلى رفع الروح المعنوية لأن المدرس عندما تفوض له بعض واجبات مدير المؤسسة مثلاً يزداد اعتداداً بنفسه وثقة بها مما يدفعه إلى الحماس والابتكار ومضاعفة النشاط لكي يبدو أهلاً لتحمل المزيد من الأعباء والواجبات.

6 - الاتصال الذي يساعد على خلق نتائج جيدة للعلاقات الإنسانية في المؤسسة التعليمية هو الذي يتم بواسطة نقل المعلومات بشكل دقيق وواضح وسهل وبحيث يتمكن المدرسون من استيعابها وكذلك يجب مراعاة الاختلافات الفردية وضرورة التأكد من أن الكلمات تحمل نفس المعنى للمرسل والمستقبل والابتعاد عن النبرة القوية في الكلام واللهجة الشديدة في الكتابة.

7 - الاستماع إلى شكاوى المدرسين ومعالجتها بشكل فعال لأن مجرد الاستماع إلى ما يجول في صدر المدرس من شكاوى قد يكون كافياً في بعض الأحيان لإزالة أسباب التذمر وفي كل الظروف فإنه يجدر بإدارة المؤسسة التعليمية أن تستمع إلى شكاوى المدرسين فيها وأن تعمل على علاجها بشكل فعال وهذا من شأنه أن يعمل كصمام أمان يجنب الإدارة الكثير من المشاكل في المستقبل



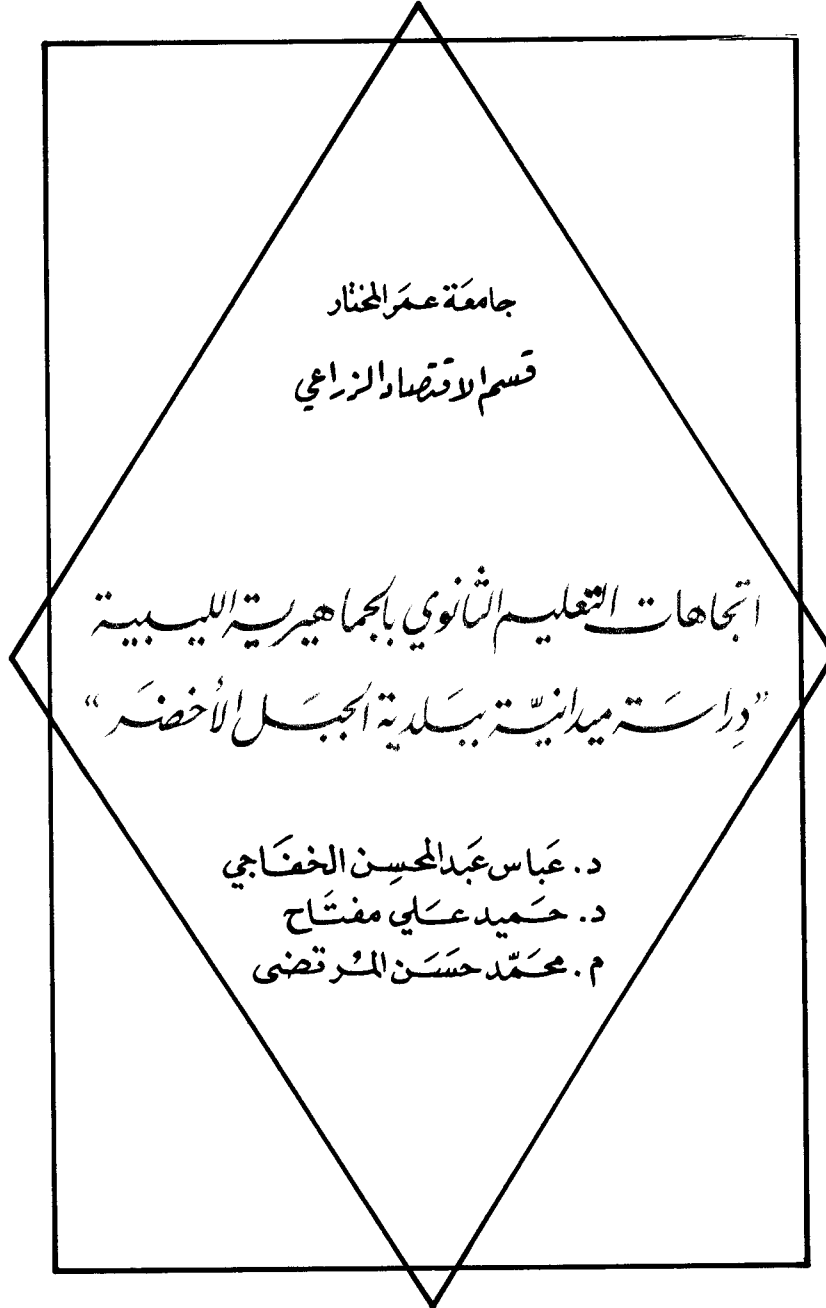
ويساعد على رفع الروح المعنوية في المؤسسة التعليمية ويخلق جوّاً مناسباً من العلاقات الإنسانية الوطيدة التي تدعم المؤسسة وتقويها وترفع مستوى انتاجية المدرسين فيها.

8 - الرقابة: تلعب دوراً هاماً في التأثير على الروح المعنوية للمدرس ويمكن أن يتحول دور الرقابة السلبي إلى دور إيجابي إذا تغير مفهومها من الرقابة الضيقة المحكمة التي تهدف إلى اكتشاف الخطأ أو انزال العقوبة بالمدرس إلى رقابة واسعة إيجابية يكون هدفها اكتشاف الخطأ لتصحيحه وتجنبه في المستقبل وكذلك تكون رقابة على تحقيق الأهداف التربوية بالمؤسسة وليس على اجراءات العمل وأساليبه.

9 - إن على إدارة المؤسسة التعليمية أن تخلق جوّاً مشجعاً على العمل فيها وأن تولي جميع المدرسين الثقة والاحترام وأن تعاملهم بالعدل والمساواة فهذه الأمور تعتبر من الدعائم في العلاقات الإنسانية.

في الختام نستنتج

أن العلاقات الإنسانية ليست دواء يأخذه الإنسان مرة واحدة. وهي ليست بلسماً يشفي جميع العلل الإنسانية فينا. ولكن كما سبق أن أوضحنا في بداية دراستي هذه أن العلاقات الإنسانية علم ودراسة وممارسة وخبرة وملاحظة لازمة في الحياة اليومية وفي مجتمعات الشارع والنادي ودور الاجتماعات وفي ممارستنا للعمل اليومي فإذا ما اتبعنا الطرق السلمية للعلاقات الإنسانية التي أشرت إليها في هذه الدراسة فإن ذلك مما لا شك فيه يعمل على رفع الروح المعنوية للمعلمين ويزيد من كفاءتهم الإنتاجية في مؤسساتهم التعليمية.



جامعة عمر المختار
قسم الاقتصاد الزراعي

اتجاهات التعليم الثانوي بإجمهورية الليبية
"دراسة ميدانية ببلدية الجبل الأخضر"

د. عباس عبد المحسن الخفاجي
د. حميد عاي مفتاح
م. محمد حسن المرتضى



مَجَلَّةُ قَائِمَاتِ الْعِلْمِ





اتجاهات التعليم الثانوي بالجماهيرية الليبية ”دراسة ميدانية ببلدية الجبل الأخضر“

أعدهما: د. عباس عبد المحسن الخفاجي
د. حميد علي مفتاح
م. محمد حسن المرتضى

مقدمة

اعتمدت التنمية بالجماهيرية الليبية بصورة كبيرة على تنمية الموارد البشرية وتطويرها، وأصبح لزاماً أن يلعب العنصر البشري دوراً رائداً وهاماً في جهود زيادة الإنتاج وتطوير نوعيته. وتشكل تنمية الموارد البشرية أحد الوسائل الكفيلة ببقاء رخاء المجتمع واستمراره وزيادة قابليته على العطاء. حيث إنه بالإمكان إحراز هذا الهدف عن طريق التعليم وتنمية الأفراد وتدريبهم، وأن من الأوليات المطلوبة لتحقيق تنمية بشرية ناجحة هو العمل والاعتراف بأهمية التعليم وتمييز دوره في هذا المجال.

إن التغيرات التي طرأت على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الليبي تتطلب تغيرات مرافقة في نظام التعليم وبنيته وجميع مراحلها وعلى الأخص نظام التعليم الثانوي باعتباره مفتاح العملية التربوية وعليه يتوقف إعداد الطلاب كي يواكب تطلعاته وإعداده لتحمل مسؤولياته واختياره المهنة المناسبة لقابلياته وتفكيره. إن الحاجة الملحة للعنصر الليبي المدرب لتطوير الصناعة الليبية وقطاع الزراعة وتطوير طرق الاتصال وتنمية الخدمات بالقطاعات الأخرى قد جعل الاهتمام كبيراً في التفكير بجدية التعليم الثانوي وتحسين فاعليته بصورة جذرية، وما يتم إعداده اليوم في أمانات التعليم من تغيرات بشأن التوسع في بنية التعليم الفني والمهني بشكل

جديد وفي إطار عملي ومدرّوس يبين أهمية الاقتناع بفاعلية التعليم باعتباره استثماراً ذا مردود إيجابي.

مشكلة البحث

إن التغيرات التي طرأت على مراحل التعليم خلال العقدين الماضيين تحتاج اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى وقفة تأمل ومراجعة جادة وفحص دوري لبعض نقاط الضعف والقوة التي رافقت التنمية التعليمية إن جاز لنا قول ذلك. لقد أكدت الإحصائيات والتجربة الليبية أن التعليم الثانوي قد مر بمراحل مختلفة في برامجه وفي إعداد الطالب فكرياً وتربوياً، فالأخذ بمبدأ ديمقراطية التعليم والتغيرات الحالية لبرامج التعليم وفي تحديد صيغة جديدة للتعليم الثانوي قد جعل ضرورة القيام بإجراء بعض الدراسات والبحوث لإلقاء الضوء على تلك المسيرة التعليمية وشرح أبعادها على قابليات الطالب ومداركه لأنه يمثل الحلقة الأساسية لهذه المسيرة باعتباره مواطن المستقبل وعماد التطور. ويحاول الباحثون في هذه الدراسة الكشف عن بعض اتجاهات نظام التعليم الثانوي والتغيرات التي رافقته وكذلك التحسينات المطلوبة من أجل أن يثمر التعليم في إكساب المعرفة وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص ودفع عجلة التنمية إلى الأمام.

الأهداف البحثية:

ينصب إطار هذا البحث في العمل على دراسة اتجاهات التعليم الثانوي بمنطقة الجبل الأخضر وتنحصر أهم الأهداف الفرعية لتحقيق هدف البحث في:

أولاً: إلقاء الضوء على بعض المؤلفات ومراحل التعليم بالجاهيرية الليبية، وكذلك البنية التعليمية الجديدة المقترحة.

ثانياً: التعرف على بعض خصائص الطلاب وانطباعاتهم نحو واقع التعليم الثانوي بمنطقة البحث.

ثالثاً: التعرف على وجهات نظر المدرسين والموجهين والمسؤولين عن قطاع التعليم الثانوي ومقترحاتهم لتطويره.



الطريقة البحثية :

يتطلب تحقيق أهداف هذا البحث الحصول على بياناته من فئتين هما :

1 - طلاب المرحلة التوجيهية الثانوية .

2 - المدرسون والموجهون المسؤولون عن التعليم ببلدية الجبل الأخضر
استخدام نوعين من الاستبيان للحصول على بيانات هذا البحث وبالمقابلة الشخصية
بعد اختباره ميدانياً وإدخال بعض التعديلات عليه . بلغ حجم شاملة الطلاب
(2094) طالباً وطالبة، وشاملة المدرسين والموجهين (608)، اختير منهم عينة عشوائية
منتظمة بلغت نسبتها (22٪، 15٪) على التوالي، أي بواقع (461) طالباً وطالبة
و (64) بين مدرسين وموجهين ومسؤولين تعليميين . وقد استخدمت النسبة المئوية
البسيطة والمتوسط الحسابي عند تحليل بيانات البحث . واستغرقت مدة الدراسة
حوالي أربعة أشهر من الثلث الأخير في عام 1987 م .

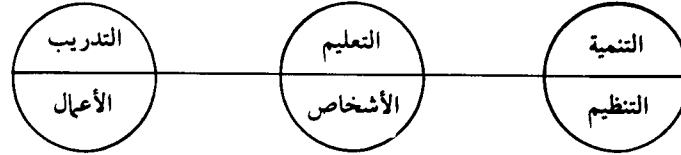
الاستعراض المرجعي :

يعتمد نجاح التنمية في الدول المتقدمة وبصورة لا تقبل الجدل على تطوير
مواردها البشرية وتحسينها، ويعتبر التعليم أحد الوسائل المقنعة لتحقيق الغرض
أعلاه، ويشير البروفسور (جون دوي) John Dewey في كتابه الموسوم (التعليم
والخبرات) .

«إن الغرض الرئيسي للتعليم هو تهيئة الطلاب لمواجهة مسؤوليات المستقبل
ومتطلباته بواسطة تمكين هؤلاء الطلاب من إحراز المعلومات وتنظيمها بالشكل الذي
يخدم زيادة مهاراتهم وقابلياتهم في تنفيذ الأعمال والواجبات المناطة بهم»
(p:18:1971) .

لقد تعددت أهمية التعليم ومساهمته الفعالة في التنمية الاقتصادية ومن جملة
تلك المساهمات المساعدة في توفير الأفكار والطرق الجديدة لأجل تطوير التقنيا
وزيادة معدل التقدم الاقتصادي . كذلك فإن سرعة تطور الإنتاج وزيادته تعتمد على
سرعة قابلية العمال في اكتساب المهارات Skills اللازمة والمستخدمه في تطوير
الإنتاج . وفي هذا المجال يشير (نادلر) Nadler في وصفة التعليم كوسط تنموي يربط

العمل والتدريب من جهة والتنمية والتنظيم من جهة أخرى، حيث يشكل هذا الربط على أهمية التعليم في إكساب الأشخاص التدريب اللازم لتطوير كفاءتهم وتنمية مواهبهم لأجل مواكبة تطوّرهم المهني وإنجاز أعمالهم الوظيفية والتنظيمية. (1970:3 ص).



مفهوم (نادلر) في تنمية الموارد البشرية

يشكل التعليم بالجمهورية الليبية أحد القضايا الرئيسية في تطور واقع الحياة في ليبيا، فلقد أعدت البرامج ومختلف الهياكل التعليمية كي يهيأ تعليم فعال يتناسب ومستوى المراحل التنموية التي تشهدها الجمهورية. ولقد مر قطاع التعليم بالجمهورية الليبية بمرحلتين أساسيتين (اتجاهين) هما:

المرحلة التعليمية الأولى (الاتجاه الكمي):

بدأت هذه المرحلة رغم محاولات المستعمرين لطمس معالم الحضارة العربية الليبية والإسلامية، حيث بذل الشعب الليبي في ذلك الوقت جهوداً مضنية وأموالاً كثيرة من أجل بناء المدارس وتهيئتها ودفع أجور المدرسين وبعض الالتزامات التي تعمل على بقاء وتعليم اللغة العربية واستمراره والحفاظ على القرآن وأصول الدين الحنيف. وقد بلغ عدد المدارس الابتدائية عام 1936 م (56) مدرسة، ولم يكن بينها مدرسة ثانوية واحدة، وقد حورب التعليم وكان آنذاك صورة لسياسة طليانية للقضاء على الشخصية الليبية وإبراز دور إيطاليا الحضاري في المنطقة. وعلى الرغم من ذلك، فقد بذلت العديد من المحاولات والجهود وذلك لشعور الليبيين آنذاك بالحاجة للتعليم وإقبالهم عليه لأجل تأكيد الشخصية الليبية ودورها في طرد



المستعمرين. حيث أنشأت أربع مدارس ثانوية عام 1948 م ومعهداً لإعداد المعلمين بمدينة طرابلس وآخر لإعداد المعلمات.

أما التعليم الفني والمهني فقد كان ملازماً لتطور حركة التعليم عموماً، حيث حرم المستعمر الليبي من تعلم الفنون وعلوم الاقتصاد والهندسة والطبيعة التي تكسيهم الخبرات العلمية وإشاعة الفكرة القائلة إن العربي الليبي لا يستطيع أن يكتسب المهارات الفنية مقارنة بالفرد الأوروبي صاحب الأداء الفني والمهارة العالية.

لهذا فقد واجه التعليم الفني مشاكل عديدة عند بداية الخمسينات من أهمها نقص التجهيزات والمدرسين وضعف المعلومات العامة لدى التلاميذ المرشحين للتدريب الفني وابتعادهم عن العمل اليدوي وتجنبهم إياه، وكان عدد المدارس الفنية في عام 1950 م - 1951 م ثماني مدارس وعدد الطلاب (237) طالباً وهذا عدد ضئيل مقارنة بعدد طلاب المدارس الابتدائية والثانوية ويعكس هذا العدد أيضاً عدم الاهتمام بهذا النوع من التعليم (الشيخ). (1972:305 ص).

وشهدت المرحلة التي بين عامي (1969-1979) تطوراً كبيراً في مجال ارتفاع عدد الملتحقين بالتعليم مقارنة بإجمالي عدد السكان، حيث كان تطور النسبة من (19٪ إلى 30.5٪)، فقد تضاعف عدد تلاميذ الابتدائية، أما بالنسبة للمرحلة الإعدادية فقد تضاعف عددهم بمقدار ست مرات وتسع مرات بالنسبة للثانوي العام. وأيضاً فقد شمل التغير الكمي وبصورة نسبية الثانويات الفنية ومعاهد المعلمين والمعلمات والتعليم الخاص. فعلى سبيل المثال: بلغ عدد تلاميذ التعليم الفني (571) طالباً فقط حيث لم تخرج الفتاة الليبية آنذاك لاكتساب التعليم الفني في عام 1969 وازداد هذا العدد حتى وصل إلى (8150) طالباً وطالبة عام 1980 م. (لييا الجماهيرية). (1981:314 ص).

المرحلة التعليمية الثانية (الاتجاه النوعي):

لم يستطع الباحثون تحديد المرحلة الثانية للتعليم النوعي بصورة دقيقة واضحة المعالم وذلك لامتزاج مرحلتي التعليم (الكمي والنوعي) ببعضها البعض وكذلك لصعوبة قياس أداء نجاح بعض برامج التعليم النوعية على قابليات الطلاب ومداركهم لعدم



وجود بحوث تربوية في هذا المجال، ولكن التقارير الرسمية والزيارات الميدانية التي قام بها الباحثون ومناقشاتهم التي أجروها مع المسؤولين في أمانة التعليم تؤكد جميعاً وبصورة لا تقبل الجدل على أن هناك شعوراً سائداً يراود هؤلاء المسؤولين بوضع أسس علمية وعلائق جديدة للتعليم وخاصة التعليم الثانوي وجعله يساير ركب التطور الحضاري والفني ومراحل التنمية بالجمهورية الليبية. وقد بدأ الاهتمام بتطوير هذا النوع من التعليم المهني الفني منذ بداية الثمانينات وخاصة بعد أن وصل عدد الطلاب إلى (20081) طالباً وطالبة في عام 1984-83 م وبدأت حاجة الجماهيرية الملحة إلى الصناعات والخرائط الكهربائيتين والسمكريين والنجارين وإلى العمال المهرة وما تتطلبه السوق المحلية وحاجات المواطنين إلى مثل هؤلاء الفنيين وأصبح توجيه التعليم المهني - الفني وتخطيطه من باب الأوليات لمواجهة العجز في تنفيذ التصنيع وصيانة الأجهزة والتوسع في البنية الاقتصادية. ومهما قيل عن حاجة ليبيا أولاً إلى توفير بعض الاتجاهات الدينية وأصول المواطنة وبعض الاتجاهات نحو العمل وحبه فإنه بات ضرورياً العمل والاستعداد لمراعاة تمايز قدرات الطلاب واستعداداتهم وميولهم والعمل على الخروج بصيغ جديدة للمدرسة الثانوية باعتبارها وحدة متكاملة تشمل على التربية والتدريب وفقاً لحاجات الطلاب ومطالب النهضة الليبية.

أضواء على البنية التعليمية الجديدة:

لكي تتم عملية الخلق والإبداع في المجتمع الليبي يجب أن يتجه التعليم إلى الكيف وتحسين طرقه لا إلى الاقتصاد على زيادة كميته فأى ثمرة يمكن أن تجني من تعليم لا يستطيع رجاله وبناته تهيئة أناس لديهم الخبرة في إدارة المصانع والمزارع والقيام بأدوارهم الاجتماعية والبيئية. إن الاختلافات الكبيرة بين الواقع والفلسفة التعليمية يعتبر نتيجة منطقية لعدم مواكبة مناهجنا وإعدادها وبين طبيعة الحياة وما تفرضه من طموح وحاجات ملحة. ومعنى هذا أن التعليم الثانوي لا يصل لنهايتها الصحيحة إلا إذا جمع بين النظرية العلمية والفحص والتقويم والتطبيق السليم والتدريجي لواقع حاجات المجتمع. من هنا جاء التفكير بتغيير بنية التعليم الثانوي بالجمهورية الليبية، حيث يشعر أغلب المسؤولين بأن هناك فجوة بين فلسفة التعليم ومتطلبات الحياة وبضعف مستوى التعليم الثانوي كذلك، فمثلاً لو طلبت من أحد



الطلاب أن يحل لك مشكلة من المشكلات العلمية أو امتحنته في معرفة ربط معلوماته بعضها ببعض أو أن يبدي رأياً في أحد الموضوعات الفكرية العامة لرأيته متحيراً لا يستطيع أن يحاورك أو يعطيك فكرة أو جواباً ولساقه الأمر إلى الارتباك .

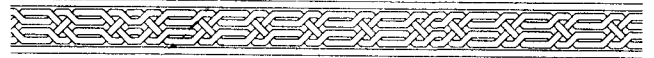
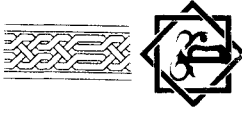
قد لا نبالغ في قولنا إن سبب ضعف التعليم الثانوي راجع إلى خلل أو ضعف في إعداد مناهجنا وتخطيطها، لقد أكدت التجربة الليبية في التعليم الثانوي عدم تعمق المناهج في المواد العلمية وهي مناهج تتصف بالبعد عن واقع الحياة العملية ولا تدل على تطوير مدارك الطلاب وملكاتهم بل تتبع الحفظ الكمي للمعلومات وهذا هو الفيصل لنجاح الطالب وانتقاله من فصل لآخر. وحتى نستطيع مساعدة هؤلاء الذين يؤمنون بتغيير بنية التعليم الثانوي والذين يهتمهم أن يتطور التعليم لصالح المجتمع فإنه يجب الاعتقاد في وجوب النظر في مناهجنا وهو شرط أساسي كما أسلفنا، بيد أن ضعف التعليم لا يرتبط بإعداد المناهج وملاءمتها فقط بل يرجع إلى فشل طرق التعليم وعدم كفايتها لمستوى الطالب، لأنه قد ثبت بالفعل أنه حتى لو لم تكن المناهج معدة بشكل جيد فإن المعلم وأسلوبه الشيق واستعداده لمساعدة الطالب وتدريبه المعقول له الأثر الإيجابي في الاحتفاظ بمستوى التعليم. وكذلك الأمر لبقية الأسباب كالضعف الإداري للثانويات وضعف أعداد المدرسين والتساهل في إعداد نتائج الامتحانات وتقييمها مما يترتب عليه التأثير في مستوى التعليم وتحلفه.

إن التخطيط المدروس وكذلك المذكرة بشأن التوسع في التعليم المهني والفني في إطار وضع صيغة جديدة لبنية التعليم الثانوي تعتبر بدايات جادة على الطريق ولكن لا بد للحقيقة أن تقال وهو أن تنفيذ البنية الجديدة للتعليم ذات بعد اجتماعي وتربوي وأن التطبيق يحتاج إلى معرفة دقيقة بجميع الوسائل والأسباب التي تحول دون تطبيقه، وهذا يتطلب الشعور بالمرض إيماناً بالشفاء منه، إيماناً بالإصلاح وتعاوناً بين المربين. لقد أكدت جميع الحوليات والمذكرات التي شرحت وفصلت دقائق البنية التعليمية الجديدة وحاجة هذا النظام إلى اعتمادات مالية ضخمة من حيث القوى البشرية التخصصية والأجهزة والمختبرات والأبنية المدرسية... الخ. وفي رأينا كباحثين تربويين نستطيع القول إن إصلاح التعليم الثانوي يحتاج بالإضافة إلى التسهيلات والضمانات المشار إليها أعلاه إلى إصلاح طرق التعليم وإشباع

حاجات الطالب والكشف عن ميوله واستعداداته وهذا شيء يحتاج في اعتقادنا إلى الكثير من البحوث والدراسات وإلى بعض المتخصصين وبعض التسهيلات والحوافز المادية لأجل تنفيذ تلك الدراسات ولا ريب في أن تستعين أمانة التعليم بخبرات المتخصصين التربويين والنفسيين والاجتماعيين في الجامعات ومراكز البحوث لدراسة مشكلات التعليم وإصلاح مناهجه واختبارها بشكل تجريبي على الواقع، حيث إنه بالإمكان الأخذ بمبدأ المقارنة بين المدارس ذات الطابع الحالي ومدارس البنية التعليمية (التقنية - الفنية) للاستفادة من خبرات الطرفين للخروج بتعديل جيد ومفيد لطبيعة الطالب وإمكانياته.

وأخيراً، لا بد للحقيقة أن تقال وهي الاتجاه السائد في عدم توازن التعليم العالي بالجمهورية مع تطور التعليم التقني الثانوي، وهذا الإخلال قد أثر وبشكل سلبي وملحوظ على تطور مجالات التنمية عموماً. حيث يزداد عدد حاملي الشهادات الجامعية على حاملي الشهادات الفنية المتوسطة الذين يعتمدون عليهم في عملهم، وهنا لا بد من وقفة جادة لتكييف هذين الجانبين من التعليم بعضها ببعض، حيث يمكن النظر والاستفادة من تجارب بعض الدول العربية ونماذجها في هذا الصدد من زاوية تغذية التعليم العام بالدراسات والتطبيقات التقنية واعتبار التربية التقنية جزءاً لا يتجزأ من وظائفه وكذلك النهوض بالتعليم التقني الثانوي ذاته والتخطيط له وفتح القنوات بينه وبين سائر فروع التعليم ومراحلها.

ومع هذا كله فما زال التعليم الثانوي وتنويعه قضية جوهرية يدور حولها التفكير والتجريب من أجل الوصول إلى أهداف تمكن الطالب من مواصلة تعليمه العالي وتزويده بمهارات مهنية وفنية وثقافية عريضة متنوعة تجمع بين مطالب العمل وتوفر له فرص الاختيار وفقاً لاهتماماته وميوله. وهذه القضية تواجهها الدول العربية عموماً والجمهورية الليبية اليوم، حيث ندرك جميعاً كمؤتمرين خطر هذه القضية وأهميتها من واقع التقارير وتوصيات المؤتمرات الشعبية والندوات العلمية، كما يبدو أيضاً في تحول اتجاه الشباب من الفروع الأدبية إلى الفروع العلمية لما لهذا الجانب من أهمية وفائدة وأصبح حقيقة واقعة وهو آخذ في الازدياد والانتشار بشكل ملحوظ.



النتائج والمناقشة :

تم مناقشة النتائج المستهدفة من هذا البحث على النحو التالي :

1 - عرض لصفات الطلاب المبحوثين وانطباعاتهم ومقترحاتهم لتطوير التعليم الثانوي .

2 - التعرف على وجهات نظر المدرسين والموجهين والمسؤولين عن قطاع التعليم الثانوي ومقترحاتهم لتطويره .

أولاً : صفات الطلبة المبحوثين وانطباعاتهم :

تبين للباحثين أن (67%) من الطلاب المبحوثين ذكور والباقي (33%) إناث، وهذا يعطي اتجاهًا إيجابيًا لتطور اتجاه المرأة نحو التعليم باعتبار أن المرأة تمثل نصف المجتمع وتعليمها ضروري في مجتمع عدد أفرادها قليل ويحتاج بناؤه وتطويره إلى جهود كل مواطن ومواطنة . ووضحت بيانات البحث على تجانس عمر المبحوثين ووقوع ما يقارب ثلثي العينة (67%) ما بين (17-18) عاماً وبمتوسط عمر قدره (17.4 عاماً) وهو عمر يتسم بالنشاط والحيوية وزيادة التفكير الذهني . وبينت النتائج على أن متوسط حجم أسرة المبحوثين يبلغ الـ (9.4) أفراد وهو أعلى من متوسط حجم الأسرة الليبية البالغ (6.4) أفراد عام 1984 م (*). وهذا ما يعطي الإشارة إلى أن القدرة على الإنجاب تعتبر من القيم الأساسية للشعب الليبي وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمظهر العائلي للحياة الاجتماعية والاقتصادية، فالرجل يرتفع قدره في المجتمع تبعاً لقدرته على إنجاب أكبر عدد من الذكور، وعكست بيانات البحث زيادة نسبة أمية أمهات الطلاب (47%) على آبائهم (33%) وهذا يدل على زيادة فرص التعليم في الوقت الحاضر مقارنة بالسابق .

وعن مدى تحصيل الطلاب العلمي، فقد تبين أن (5%) يصل إلى مستوى الامتياز وأن (18%) في المستوى الجيد جداً، و(34%) في المستوى الجيد، و(43%) منهم يتدني إلى مستوى المقبول والمعيد، وهذا ما يشكل اتجاهًا سلبيًا لانخفاض

(*) النتائج الأولية للتعداد العام للسكان عام 1984 م . قسم الإحصاء والتعداد : أمانة التخطيط .

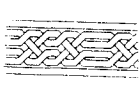
المستوى العلمي للطلاب. ولعلاقة بعض صفات الطلاب بتحصيلهم العلمي، فقد أشارت النتائج إلى عدم وجود علاقة ارتباطية بين حجم الأسرة ومستوى تعليم الأم والأب وتحصيل الطالب العلمي، وهذا ما يشير إلى أن الطالب والطالبة لهما الرغبة في التعلم والاستفادة من المدرسة بالرغم من انخفاض مستوى تعليم أسرهم وزيادة أعبائهم المعيشية نظراً لزيادة حجم أسرهم.

وفي مجال انطباعات الطلاب نحو واقع التعليم الثانوي، تشير النتائج إلى أنه وبالرغم من وجود نسبة ضئيلة (2%) من الطلاب يجذبون عدم مواصلة تعليمهم ونسبة (3%) لم يحددوا اختيار مهنتهم المستقبلية، لكن هناك إدراك كبير من قبل هؤلاء الطلاب لتكملة تعليمهم وثقتهم العالية في الحصول على بعض التخصصات الهامة لهم ولسد حاجات المجتمع الليبي حسب أهميتها فالاتجاه العلمي: الطب (23%)، الهندسة (12%)، طيران مدني (3%)، زراعة (2%)، علوم (1%)، نطف (1%)، صيدلة (5%)، بحرية (2%)، معاهد صناعية (2%)، والاتجاه الأدبي وحسب الأهمية ما يلي: قانون (29%)، آداب (8%)، اقتصاد (4%)، تربية (3%)، خدمة اجتماعية (2%)، علوم سياسية (1%)، معهد معلمات (1%)، علوم رياضية (2%)، دراسات إسلامية (4%)، اعلام (4%).

جدول (1) انطباعات الطلاب المبحوثين نحو واقع

النشاطات الثقافية والإدارية ومدى الارتياح في المدرسة

النشاط أو العلاقة	جيد %	متوسط %	ضعيف %	لا يوجد %
النشاط الثقافي والاجتماعي في المدرسة	25	20	13	42
النشاط الرياضي في المدرسة	38	19	10	33
تطبيق الإدارة الذاتية في المدرسة	49	21	10	20
العلاقة بالمدرسين	82	11	4	3
العلاقة بإدارة المدرسة	78	12	7	3
العلاقة بالزملاء الطلاب	94	5	4	08
مدى الارتياح داخل المدرسة	67	21	7	5



تبين للباحثين أن نسبة عدم وجود نشاط ثقافي واجتماعي يقدر بـ (42٪)، و(33٪) نسبة إلى النشاط الرياضي - جدول (1). ويشكل هذا النقص عنصراً هاماً في فرص الترويح النفسي، حيث إن إشباع حاجات الفرد الترويحية والاجتماعية والصحية تعتبر من الأوليات والمستلزمات القادرة على تكوين الشخصية وكمالها - عموماً، وانخفضت تلك النسبة إلى (20٪) في مجال تطبيق الإدارة الذاتية لما لهذا العمل من أهمية في تنمية روح المسؤولية لدى الطالب واستعداده لتأدية بعض الأعمال المناطة به وهي صورة من صور المشاركة في تنمية المجتمع المحلي بمساعدة أفرادهم وتطورهم. أما بالنسبة لعلاقة الطلاب بالمدرسين وإدارة المدرسة وعلاقتهم بزملائهم وارتياحهم في المدرسة فكانت نسبتهم كالتالي: (82٪)، (78٪)، (94٪)، (67٪)، وهي نسب تجعل انطباعات الطلاب في مستوى الجيد والرضاء عن جميع تلك العلاقات المذكورة أعلاه.

أما دور المكتبة ومدى الاستفادة منها، فقد وضح أقل من نصف الطلاب (46٪) عدم وجود مكتبة في مدرستهم وعدم استفادة أكثر من نصفهم من نشاط المكتبة عند وجودها، وهذا مؤشر يجب النظر إليه عن كثب باعتبار أن المكتبة قلب المدرسة الفكري والحضاري لما تتميز به من معلومات وكتب قيمة إن استغلت الاستغلال الأمثل لزيادة قدرات الطالب الفكرية وتنمية مداركه العلمية. وتوضح نتائج استفادة الطلاب من المقررات الدراسية نحو الاتجاه الإيجابي (83٪) أما مدى الارتياح لطرق التدريس، فقد أشارت النتائج إلى ارتفاع نسبة الطلاب الذين يعبرون عن الارتياح المتوسط لطرق التدريس (52٪) وانخفاض هذه النسبة إلى أقل من النصف (41٪) للطلاب ذوي الارتياح الكامل، وتصل النسبة إلى (7٪) للطلاب ذوي الارتياح الضعيف، وقد أدرك الباحثون أهمية الربط الجدلي بين عدم الاستفادة من المقررات الدراسية وفرص المناقشة، حيث بينت النتائج أن هناك علاقة ارتباطية بين استفادة الطالب ومدى توفر فرص النقاش ومساهماته ومدى إبدائه لأرائه القيمة.

ولغرض معرفة آراء الطلاب وتوجهاتهم نحو البنية التعليمية (التقنية) الجديدة، فقد وجه لهؤلاء الطلاب سؤالان تنطوي إجابة أحدهما في خيار الطالب

بين المدرسة الحالية والمدرسة التقنية - الفنية، فكان (12٪) من الطلاب يرغبون في النظام الحالي وأن (88٪) يرغبون في نظام البنية التعليمية التقنية. أما السؤال الآخر فيرتبط بفائدة كل من النظامين الثانوي الحالي والتعليم التقني للمجتمع الليبي، حيث كانت الإجابات مختلفة بعض الشيء وهو (35٪) للتعليم التقني و (65٪) للتعليم الحالي. وهذا الاتجاه وإن اختلف عن اتجاهات الطلاب السابقة لكنه يعطي وبكل وضوح إشارة واضحة لاستيعاب هؤلاء الطلاب وفهمهم أبعاد التعليم التقني ودوره لتطوير أنفسهم من جهة ولحاجة مجتمعهم وتنميته تقنياً من جهة ثانية.

ثانياً: وجهات نظر المدرسين والموجهين والمسؤولين عن قطاع التعليم الثانوي ومقترحاتهم لتطويره:

يتضح من بيانات البحث أن المدرسين والموجهين والمسؤولين عن قطاع التعليم بمنطقة البحث يتوزعون وفقاً لتخصصاتهم إلى أربع فئات، الفئة الأولى تضم الحاصلين على الشهادات العليا (دكتوراه فلسفة تربية، ماجستير لغة وعلوم تربوية، دبلوم عال في التربية والرياضيات) ويمثلون (6٪) من عينة البحث.

أما الفئة الثانية فتضم الحاصلين على شهادة البكالوريوس ويتوزعون وفقاً لتخصصهم إلى بكالوريوس علوم (21٪)، ورياضيات (7٪)، تخطيط تربوي (2٪)، فنون جميلة وتربية بدنية (2٪) ويمثلون (33٪) من العينة. أما الحاصلون على الليسانس فيشكلون نسبة كبيرة من العينة تبلغ (42٪) يتوزعون حسب الآتي: لغة عربية (15٪)، آداب وتربية (10٪)، تاريخ وجغرافية (5٪)، اجتماع (3٪)، لغة فرنسية وإنجليزية (7٪)، شريعة وقانون (2٪). أما حملة الدبلوم المتوسط فقد شكلوا (16٪) من العينة وهم: تخطيط وإدارة (4٪)، رياضيات (3٪)، لغة إنجليزية (3٪)، تربية إسلامية (2٪)، لغة عربية (2٪)، رياضة بدنية (3٪) وهذا ما يعكس وجود تنوع لحد ما كاف في مستوى تعليم المدرسين والموجهين ونوعيته في منطقة البحث، الأمر الذي ربما يوفر إمكانية تحسين التعليم وتطويره ودفع عجلته للأمام في المستقبل من خلال هؤلاء المدرسين.

كما تشير بيانات البحث إلى أن المدرسين والموجهين يتوزعون وفقاً لمدة الخبرة إلى خمس فئات: الأولى - وتضم المدرسين الذين تقل مدة خبرتهم عن سنتين وهؤلاء



أقل نسبة (1٪)، والثانية - تنطوي على المدرسين الذين تقع خبرتهم ما بين (2-5) سنوات وهؤلاء تبلغ نسبتهم (27٪) والثالثة - تضم المدرسين الذين تتراوح مدة خبرتهم ما بين (5-10) سنوات وهؤلاء يمثلون أعلى نسبة حيث بلغت (36٪)، والرابعة - وتنطوي على المدرسين الذين تبلغ مدة خبرتهم ما بين (10-20) سنة وهؤلاء يمثلون نسبة (26٪)، ومن ثم فإن نسبة الـ (11٪) يمثلون خبرة أكثر من (20) سنة. وهذا ما يعطي مؤشراً إيجابياً على أن المدرسين والموجهين (73٪) يمتلكون خبرات عملية تتراوح ما بين (5-20) سنة، حيث يشكل مثل هذا الاتجاه القدرة لدى هؤلاء المدرسين والموجهين على مواجهة مسؤولياتهم التعليمية والعمل على التصدي لحل مشكلاتهم الوظيفية والوصول إلى حلول مرضية من خلال الاستفادة من خبراتهم السابقة.

وفيما يتعلق بمدى إدراك المدرسين لأهداف التعليم الثانوي فقد تبين بأن هناك (63٪) من المدرسين يشعرون بأن التعليم يساعد الطلاب على تنمية الروح العلمية، وأن (72٪) منهم يشعرون بأن التعليم يساعد الطلاب على نيل تعليم أكثر في مجال تخصصهم وفي خدمة مجتمعهم وأن (55٪) منهم يشعرون بأهمية التعليم في ترسيخ المثل العليا والتفاني في سبيل الوطن، أما مجال دور التعليم في تغذية ميول الطالب وتحسين مواهبه فتصل النسبة إلى النصف (50٪)، وتصبح النسبة (54٪) بالنسبة لتحفيز الطالب على مواصلة تعليمه الجامعي. ويبدو للباحثين أن هناك تفهماً إلى حد ما من قبل هؤلاء المدرسين لأهداف التعليم الثانوي ومما لا شك فيه أن القدرة على تفهم أهداف التعليم الثانوي يشكل حجر الزاوية في نجاح البرامج التعليمية والعمل برغبة من قبل هؤلاء المدرسين في الوصول إلى تلك الأهداف من خلال التخطيط المبرمج.

والسياسة التعليمية الواعية والكفيلة بربط حاجات المجتمع ورغباته بتطوره وآماله المستقبلية وفي مجال مواكبة التعليم الثانوي وأهميته لحاجات المجتمع الليبي، فقد تبين بأن غالبية المدرسين (72٪) يعتقدون أن التعليم الثانوي لا يواكب تطور وحاجات المجتمع الليبي، وهذا مؤشر يرتبط في اعتقاد الباحثين باتجاه المدرسين وتقويمهم لواقع التعليم الثانوي، وعلى الرغم من عدم تكيف مناهج التعليم مع

البرامج التنموية وحاجات المواطنين لكن هناك شعوراً صادقاً من قبل هؤلاء المدرسين بأهمية العلوم التقنية وإجراء البحوث والعلوم الإنسانية حيث بلغت النسب على التوالي: (83٪)، (47٪)، (33٪).

وتشكل البنية التعليمية الجديدة (التقنية) أحد الاتجاهات الهامة للبحث جدول (2) ولم يتلق الباحثون جواباً لـ (36٪) من الباحثين حول آرائهم في البنية التعليمية الجديدة على الرغم من الجهود المبذولة للباحثين لشرح أبعاد التعليم التقني على واقع المجتمع الليبي وتطوره. وعموماً فقد ركز المدرسون والموجهون على اقتراحين أساسيين أولهما صلاحية البنية التعليمية الجديدة لو توفرت الإمكانيات (31٪) وثانيهما نقص الخبرة والتخطيط السليم (23٪)، أما بقية المقترحات فكانت بسيطة في نسبتها ولكنها ذات قيمة معنوية، حيث أضافت تطوراً هاماً للبحث مثل: تفهم رغبة الطالب حيال البنية التعليمية الجديدة (4٪)، فتح مراكز تخصصية - تقنية لتأهيل مدرسي البنية التعليمية (3٪)، الأخذ بتجارب الدول المتقدمة التي سبقتنا في هذا المجال (2٪).

جدول (2) يبين اقتراحات المدرسين والموجهين حول البنية التعليمية الجديدة (التقنية)

التكرارات		الاقتراحات
العدد	٪	
29	31	1 - صالحة لو توفرت الإمكانيات
22	23	2 - تنقصها الخبرة والتخطيط السليم
4	4	3 - تفهم رغبة الطالب حيال البنية التعليمية الجديدة
3	3	4 - فتح مراكز تخصصية - تقنية لتأهيل مدرسي البنية التعليمية الجديدة
3	3	5 - الأخذ بتجارب الدول النامية التي سبقتنا
2	2	في هذا المجال



أما آراء المدرسين والموجهين عن كيفية الإعداد والتخطيط للتعليم الثانوي بالجمهورية الليبية، فقد بينت النتائج أن هناك إخفاقاً في عدم مساهمة المدرسين في الإجابة أو محاولة الرد على هذا التساؤل لتصل النسبة إلى (39٪) وهي نسبة عالية لا سيما عندما يعتمد البرنامج التعليمي المستقبلي على احتياجات المدرسين ورغباتهم باعتبارهم الأداة الفعالة في تحقيق نجاح التعليم أن فشله. وتمخضت بيانات البحث عن مؤشرات إيجابية اتسمت بمقترحات بناءة وهي على شكل ترتيب تنازلي وكما يلي:

- 1 - العمل على اكتمال المعامل والورش الفنية (13٪).
- 2 - التركيز على العلوم التقنية والتطبيقية لمواكبة روح العصر (12٪).
- 3 - مواكبة المناهج لعقليات الطالب الفكرية والجسمية وملكاته (10٪).
- 4 - تدريب المدرسين وإعدادهم لمواكبة المناهج الجديدة (9٪).
- 5 - إعادة تدريس اللغات الأجنبية وخاصة اللغتين الإنجليزية والفرنسية (5٪).
- 6 - تطوير التعليم الأساسي لدعم التعليم الثانوي باعتبار أن التعليم حلقات متصلة ومكمل بعضها بعضاً (5٪).
- 7 - ربط مناهج التعليم بالتنمية وحاجات المجتمع الليبي والأخذ بمبدأ التدرج في تطبيق المناهج التعليمية (5٪).
- 8 - الاهتمام بالدراسات والبحوث التطبيقية المرتبطة بتطوير التعليم ورفع كفاءته (4٪).
- 9 - العمل على استقرار المناهج وتطبيق القانون على من يرهب أكثر من سنة والعمل على إبعاد المدرسين غير التربويين عن مجال التعليم.

1 - تبين من الدراسة أن هناك اتجاهاً سلبياً لانخفاض مستوى التعليم (43٪) دون المتوسط، وهذا مؤشر يجب التوقف عنده والأخذ بالعوامل التي تسعى لرفع كفاءة التعليم، والاعتماد على فاعلية بعض طرق التعليم التي تتناسب مع مجتمعنا، وإبراز دور الطالب في البنية التعليمية حتى يتمكن من مواصلة التعليم بنجاح

ورغبة، والعمل على تفهم دوره في حل مشكلاته اليومية والاستعانة بمدرسيه للوصول إلى حلول مرضية.

2- أظهرت الدراسة أن هناك نقصاً هاماً في فرص الترويح عن النفس بالنسبة للطلاب المبحوثين، وعليه يوصي الباحثون بضرورة زيادة فرص النشاط الثقافي والاجتماعي بكل مدرسة، وتشجيع الطلاب الذين لديهم مواهب ثقافية واجتماعية وذلك بإظهار نشاطهم في الصحف الحائطية والمحلية لما لهذه الجوانب من أهمية في تكوين شخصية الطالب وإبراز دوره الاجتماعي في خدمة مجتمعه.

3- يوصي الباحثون بضرورة التركيز على دور المكتبة المدرسية، لما لهذا الجانب من دور حضاري وثقافي في تكوين الطالب، وتنمية مستواه الفكري والعقلي والعمل على تأسيس مكتبات بالجهود الفردي، وبذلك تتمكن من نقل بعض الأفكار والمعلومات المرتبطة بالمجتمع ومراحل تطوره.

4- يوصي الباحثون بأن تتاح الفرصة للطلاب للنقاش العلمي الملتزم، بعد انتهاء المدرس من شرح الموضوع، وهذا يساعد على فهم الموضوع وتناوله من عدة جوانب كما يشعر الطالب بأن له دوراً إيجابياً في عملية التحصيل العلمي والاهتمام بحل مشاكله، وهذا يوفر له رؤية صادقة من خلال الحوار الجاد المثمر.

5- أظهرت الدراسة أن هناك قصوراً واضحاً لدور الاعلام وكذلك أمانة التعليم في توجيه الطلاب نحو واقع التعليم التقني، وهذا مؤشر يجب التوجه إليه وذلك بإقامة الندوات والاجتماعات وكل وسائل الإيضاح التي تمهد لجعل الطالب - وهو المعول عليه - يشعر بالرغبة والقابلية لاستيعاب البنية التعليمية الجديدة.

6- يوصي الباحثون بضرورة توفير الإمكانيات المادية والخبرات البشرية لإنجاح البنية التعليمية الجديدة (التقنية) والتدرج بمراحل تطبيقها حتى يمكن تلافي الصعوبات والمشاكل في حينها، على أن يؤخذ في الاعتبار أوليات المجتمع الليبي وحاجاته إلى التخصصات المطلوبة.

7- يوصي الباحثون بضرورة إقامة دورات تدريبية لرفع كفاءة المدرسين والعاملين في قطاع التعليم الثانوي وقابليتهم لزيادة معارفهم إزاء البنية التعليمية



الجديدة وبذلك تتمكن من إيجاد المدرس المؤهل للقيام بأداء رسالته على الوجه المطلوب.

8- ضرورة مشاركة المدرسين والمسؤولين في قطاع التعليم الثانوي بإبداء آرائهم ومقترحاتهم حول تطوير التعليم الثانوي والتخطيط له باعتبارهم العناصر الجوهرية في تحقيق نجاح البرامج التعليمية أو فشلها.

9- يوصي الباحثون بأن تكون المناهج الدراسية للمدارس التقنية متناسب وإمكانيات الطالب الفكرية والجسمية، حيث ظهر أثناء النقاش مع بعض الطلاب بأن سبب عزوفهم عن التعليم التقني هو كثافة المنهج وتنوعه بحيث إن الطالب المتوسط الذكاء والأقل من ذلك لا يمكنه مسايرة المناهج الحالية المطبقة في المدارس التقنية واستيعابها.

10- أظهرت الدراسة أهمية اللغات الإنكليزية والفرنسية لتدعيم البنية التعليمية الجديدة، ولا سيما المصطلحات العلمية التي لا يستغنى عنها أي طالب في مجال التقنية، حيث تيسر له متابعة آخر ما توصل إليه العلم في مجال تخصصه في البلدان المتقدمة.

11- وأخيراً يوصي الباحثون بضرورة الاهتمام بالدراسات والبحوث التربوية التطبيقية في مجال العلوم التقنية وأن يكون هناك تعاون مشترك بين أمانة التعليم ومراكز البحوث بالجامعات في تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة. سواء عن طريق المؤتمرات أو الندوات أو إجراء الدراسات النظرية والميدانية وتشجيع القادرين عليها مادياً ومعنوياً.

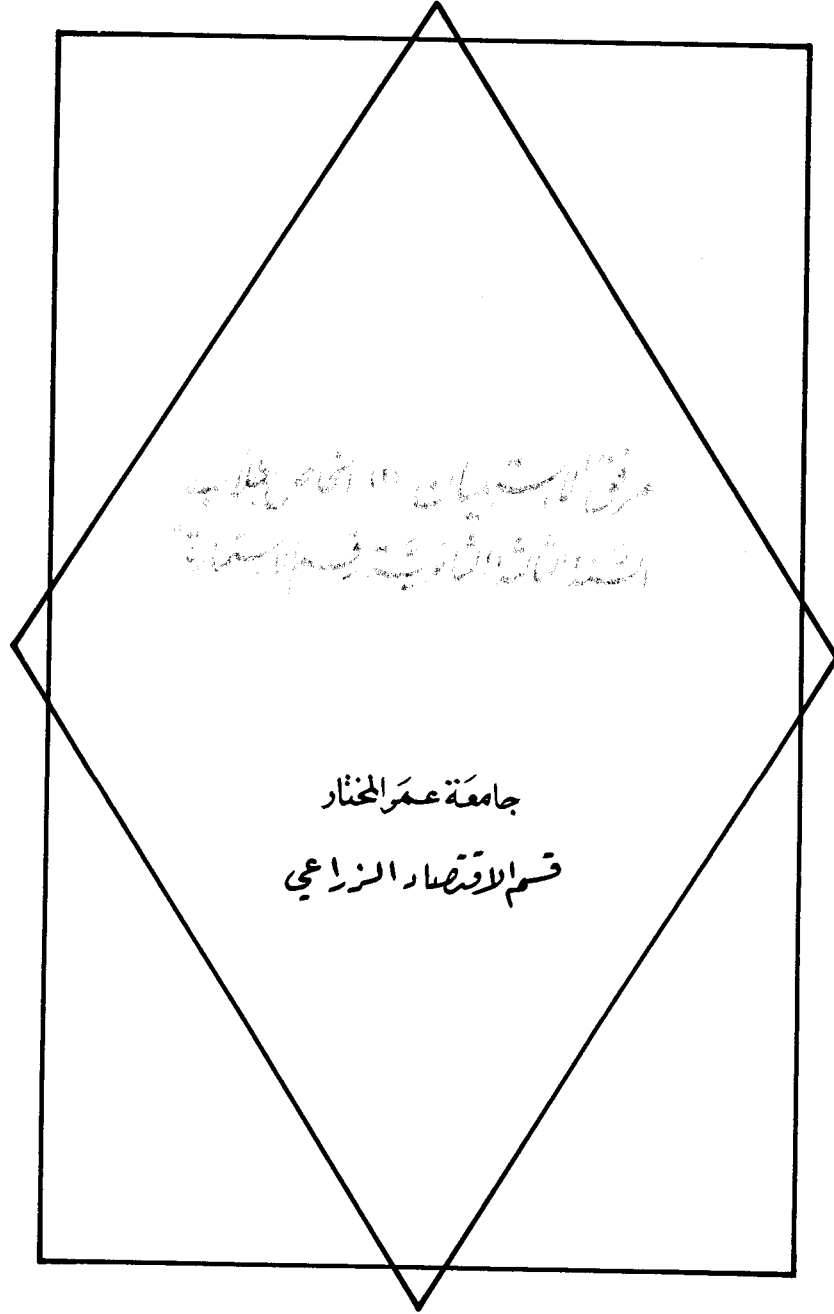


- (1) د. رأفت غنيمي الشيخ، «تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة» دار التنمية للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - 1972 - طرابلس.
- (2) د. فاخر عاقل، «التربية قديمها وحديثها» دار العلم للملايين، الطبعة الثانية - بيروت - 1977 م.
- (3) د. محمد أحمد الشريف وآخرون، «استراتيجية تطوير التربية العربية» تقرير لجنة وضع استراتيجية لتطوير التربية في البلاد العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. الطبعة الأولى 1979 م.
- (4) د. جميل صليبا، «مستقبل التربية في العالم العربي» منشورات عويدات - مكتب الفكر الجامعي - الطبعة الثانية - 1967 م.
- (5) مشروع البنية التعليمية الجديدة، «الخطة التنفيذية، اللجنة الشعبية العامة للتعليم - الجماهيرية الليبية - 1982 - مذكرة.
- (6) «خطة مقترحة لتنفيذ الثانويات التقنية خلال الأعوام (1985-1987) أمانة اللجنة الشعبية العامة للتعليم. إدارة التعليم التقني - الجماهيرية الليبية - 1985 - مذكرة.
- (7) مذكرة بشأن التوسع في التعليم المهني والفني في إطار البنية التعليمية الجديدة، «مذكرة للعرض على المؤتمرات الشعبية الأساسية - إدارة التعليم التقني - الجماهيرية الليبية.
- (8) ليبيا الجماهيرية - اللجنة الإدارية للإعلام الشوري - شعبة الشؤون الثقافية، 1981.

(9) Florence, Honry Lee: principles and practices of teaching in secondry schools. david nechay company, New York, 1967.

(10) John Dewey: Experience and Education, New York, Coller Books, 1977.

(11) Leonard Nadler: Development Human Resources, Gulf Publishing co, Houston, Texas, 1970.





مجلة فايزونش العالمية





ضع علامة (√) في المكان الذي تراه مناسباً لك .
أولاً: خصائص طلاب الثانويات بمنطقة البحث

1- الجنس: ذكر أنثى

2- العمر: () سنة.

3- ما عدد أفراد أسرتك؟ « » فرداً.

4- التخصص الدراسي: علمي أدبي

5- المستوى التعليمي للأب: « ».

6- المستوى التعليمي للأم: « ».

7- ما تقديرك العام في السنة الدراسية الماضية؟

ممتاز جيد جداً جيد مقبول معيد



ثانياً: انطباعات الطلاب نحو واقع التعليم الثانوي وتطوره:
8- هل لديك الرغبة في مواصلة تعليمك الجامعي؟

نعم لا

9- إذا رغبت في مواصلة تعليمك، فما الكلية أو المعهد العالي الذي ترغب في الانتساب إليه؟

()

10- بصفتك طالباً في المدرسة، فما رأيك بصراحة في المواضيع التالية:

الموضوع	جيد	متوسط	ضعيف	لا يوجد
النشاط الثقافي والاجتماعي في المدرسة النشاط الرياضي بالمدرسة تطبيق الإدارة الذاتية بالمدرسة علاقتك بمدرسي المدرسة علاقتك بإدارة المدرسة علاقتك بزملائك الطلاب مدى الارتياح بالنسبة لك داخل مدرستك				

11- هل توجد مكتبة في مدرستك؟

نعم لا



12 - إذا كانت توجد مكتبة بالمدرسة فهل هناك استفادة من هذه المكتبة؟

نعم لا

13 - هل تشعر بأن هناك استفادة من المقررات الدراسية التي تدرسها حالياً؟

نعم لا

14 - ما مدى ارتياحك لطرق تدريس المواد بالمدرسة؟

كامل متوسط ضعيف

15 - هل تتيح طرق التدريس الآن فرص المناقشة؟

نعم لا

16 - لو خيرت في إعادة النظر في اختصاصتك فهل تختار:

المدارس التقنية والفنية

مدرستك الحالية



17- في رأيك أيهما أكثر فائدة للفرد والمجتمع؟

التوجه نحو التعليم التقني والفني

الإبقاء على وضعية التعليم الحالي

«انتهت البيانات وشكراً على تعاونكم»



”مرفق الاستبيان (2) الخاص
بالمدرسين والمسؤولين عن قطاع التعليم الثانوي“

جامعة عمر المختار

قسم الاقتصاد الزراعي





ضع علامة (√) في المكان الذي تراه مناسباً لك .

- 1 - مكان العمل :
 - المدرسة : الفرع البلدي :
 - القسم : الفرع البلدي :
 - 2 - المؤهل العلمي :
 - 3 - التخصص العلمي :
 - 4 - الخبرة في مجال التدريس أو العمل التعليمي :
 - 5 - أهم أهداف التعليم هي :
- (أ) يساعد الطلاب على تنمية الروح العلمية () .
- (ب) يساعد الطلاب على نيل أكثر تعليم في مجال تخصصاتهم ولخدمة مجتمعاتهم () .
- (ج) أن نحجب إليهم المثل العليا وتحمل المسؤولية، والتفاني في سبيل وطنهم () .
- (د) يغذي ميولهم ومواهبهم الخاصة () .
- (هـ) إتاحة الفرصة لمن تتوفر فيه الشروط لمواصلة دراسته الجامعية () .



6- هل ترى أن التعليم الثانوي الحالي يواكب تطور المجتمع الليبي وحاجاته؟

نعم لا

7- أي البرامج التعليمية تعد أكثر أهمية بالنسبة للمجتمع الليبي؟

(أ) العلوم الإنسانية

(ب) العلوم التقنية والفنية

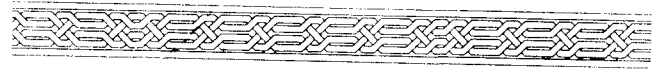
(ج) البحوث والتدريب

8- ما رأيك حيال البنية التعليمية الجديدة باختصار؟

.....

9- هل لديك أي مقترحات بشأن مستقبل تخطيط التعليم الثانوي بالجمهورية الليبية؟

.....



المرأة في المجتمع البدوي الحديث
في ليبيا

«دراسة ميدانية»

إعداد: د. لوجلي صالح الزوي

قسم علم الاجتماع - جامعة قارونس





مقدمة

تتمتع المرأة بمكانة عالية في المجتمع البدوي فهي التي تربي الأطفال، وتحفظ الزوج في العرض والمال، وهي التي تقوم بإدارة شؤون البيت من طهي للطعام وجمع للحطب وإحضار الماء إلى نسج الأغشية والفرش وصنع الخيام إلى غير ذلك من الأعمال المنزلية الهامة كما أنها قد تساعد في رعي الحيوانات وسقيها وتقوم ببعض الأعمال الزراعية، إذن المرأة هي مساعد للرجل على مواجهة حياة البداوة القاسية وهي في نفس الوقت شريكة في السراء والضراء.

والبدو يحترمون النساء احتراماً جماً فلا يتعرضون لهن بالإهانة أو الإيذاء إلا فيما ندر فمن المعتاد ألا يرد البدوي على المرأة إذا ما قامت بضربه حتى وإن كان ذلك أثناء معركة، ولا تردع المرأة إلا من قبل بعض المقربين إليها مثل الزوج والأب والأخ فهؤلاء يملكون الحق في تأديبها عندما تخطيء خاصة إذا ما ارتكبت جرماً يمس العرض أو الشرف فإن عقابها عندئذ يكون عسيراً ولا عجب أن تعلم أن النساء من أشد المتحمسات لإنزال العقاب الرادع على من تحاول منهن الخروج على الأعراف والتقاليد البدوية.

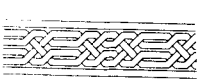
بالإضافة إلى كل ذلك فقد برزت المرأة إبان معارك الجهاد المقدس ضد الطليان طوال الحرب التي اشتعلت فيما يقرب من ربع قرن من الزمان كان وقودها



البدو بأطفالهم ونسائهم وشيوخهم وحيواناتهم وقد برزت أثناء تلك الحرب الكثير من النسوة اللواتي كن يقمن بأدوار مساعدة فيها من الاعتناء بالجرحي وتوزيع الغذاء والماء والذخيرة على المحاربين إلى المشاركة في الإعداد للحرب في بعض الأحيان وأذكر من هؤلاء المجاهدات المجاهدة رقية بنت الطيب التي كسرت رجلها برصاصة غادرة في معركة أم الشفاتير (جنوب غرب المرج) سنة 1928 وقد توفيت رحمها الله بمدينة اجدايا سنة 1956 وهي عاجزة عن ثني رجلها. وقد فقدت زوجها واثنين من اخوانها وأمها وحشداً من أقاربها في تلك المعركة التي استمرت من العاشرة صباحاً إلى مغيب الشمس وقضت ليلة ليلاء على أرض المعركة بين أشلاء أحبائها وأقاربها إلى أن قام في الصباح من بقي من أقاربها على قيد الحياة بتهجير القلة القليلة الباقية.. من الشيوخ والنساء والأطفال إلى مصر لتبقى رحمها الله في مستشفى السلوم حوالي ستة أشهر عانت خلالها من آلامها الجسمانية والنفسية فبعد حياة العز التي كانت تحياها في ربوع البادية انتقلت إلى نمط حياة جديدة دفعة واحدة وهي لا تملك من حطام الدنيا إلا عزة النفس حيث فقدت كل ما تملك بعد أن قام الطيران الإيطالي أثناء المعركة بإيادة جميع حيوانات عشيرتها المكونة من الإبل بالدرجة الأولى ومن بينها المئات من إبل زوجها ثم قام الخونة من الليبيين والأحباش المتعاونين مع الطليان بسلب كل ما خف حمله وغلا ثمنه من متاعها حتى الأقراط التي في أذنيها قاموا بنزعها عنوة وبعنف مما أدى إلى خرم مواضعها، هذه المآسي التي تعرضت لها لم تحط من عزمها بل زادت صبراً وجلداً وجعلتها تربي أولادها تربية وطنية ولم يهدأ لها بال إلا بعد أن التحق ابنها الأكبر بجيش التحرير الذي أسسه الليبيون المهاجرون إلى مصر في 9 أغسطس 1940 م وانضموا به إلى جانب الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية بهدف تحرير البلاد من نير الطليان، وقد عادت وعاد أبنائها إلى أرض الوطن بعد أن وضعت الحرب أوزارها(*) .

إن قصة رقية بنت الطيب ما هي إلا نموذج واحد لمعاناة المرأة البدوية أثناء معارك الجهاد لتحرير البلاد ويوجد غيرها آلاف من الخالدات الليبيات اللواتي لم يذكرهن التاريخ من اللواتي ذقن مرارة الذل في السجون والمعتقلات الإيطالية

(*) رواية الحاجة عيشة المهدي حمد، الفقيه فرج فالح الطيب، الحاج مفتاح بن علي الطيب.



بالإضافة إلى من سقطن شهيدات على أرض الوطن أثناء معارك العزة والكرامة إن عزاء الخالدات البدويات الوحيد اللواتي ناضلن بكل ما أوتين من قوة هو أن المرأة في المجتمع الليبي الحديث قد نالت الكثير من حقوقها ومن أهم هذه الحقوق على الإطلاق هو حقها في المعرفة العلمية التي مكنتها من الدخول لجميع التخصصات التي كانت في السابق حكراً على الرجال فحتى الكليات العسكرية صارت مفتوحة أمامها ولم تعد حكراً على الرجال فقط كما كانت في الماضي، كما أن انتشار التعليم في مختلف أرجاء البلاد للدرجة التي غطى فيها جميع المناطق الريفية وإلى حد ما البدوية أدى إلى أن تنال المرأة البدوية قسطاً منه ولو أنه ما زال يسيراً حتى الآن. كما أن مجالات العمل صارت مفتوحة أمام المرأة فهي الآن مدرسة وأستاذة في الجامعة وطبيبة وقائدة طائرة بل إنه في الوقت الحاضر حتى الوظائف السياسية أصبحت مفتوحة أمام المرأة ولم تعد حكراً على الرجل بل إن مشاركة المرأة فيها أصبحت مشاركة فعالة.

هذه مقدمة بسيطة لهذه الورقة التي تعتمد على نتائج دراسة ميدانية عن البدو قام بها الباحث بدعم من مركز البحوث والدراسات الأفريقية وقد تم جمع بياناتها في صيف 1987م عن عينة بدوية مكونة من 456 رب أسرة كلهم من الذكور وسوف نتناول فيها التنشئة الاجتماعية عند البدو، والترابط الاجتماعي للأسرة البدوية، تعليم المرأة في المجتمع البدوي الحديث وموقف البدو من عمل المرأة في المؤسسات العامة والشركات.

التنشئة الاجتماعية وترابط الأسرة البدوية:

الأسرة هي أداة التنشئة الاجتماعية الأولى عند البدو ودورها عندهم أقرب إلى دور الأسرة البدائية منه إلى دور الأسرة الحديثة المعقدة وهي لا تقتصر عندهم على الأب والأم بل تتعداهما لتشمل الجد والجدة والأعمام والعلمات وغيرهم من المحيطين بالطفل من الأقارب الذين يسهم كل منهم بطريقة أو بأخرى في تنشئة الطفل وإعداده للحياة البدوية إعداداً متكاملأ يؤهله لخوض غمارها بكل صلابة طبقاً لظروف المعيشة في محيطه البدوي والعلاقات في النسق القرابي البدوي تتصف

بالديمومة والاستمرارية باعتبار أن العلاقات فيه مبنية على رابطة متينة جداً وهي رابطة الدم التي لا يمكن فصلها بسهولة عندهم ولهذا فإن الطفل يشب ويتربى في البيئة البدوية على قيم تحمه على طاعة كبار السن واحترامهم واحترام كل القيم والمعايير السائدة في النسق القرابي والاجتماعي في المحيط الذي تربى فيه .

لا يمكن لأي جماعة سواء إن كانت بدوية أو ريفية أو حضرية أن يستقيم أمرها ويصلح حالها إذا لم تكن عندها ضوابط اجتماعية صارمة ومحددة وواضحة يخضع لها الجميع طوعاً أو كرهاً وإذا أردنا التعرف على نظام الضبط الاجتماعي السائد في البادية نجد أنه يتكون مما يعرف بنظام الضبط الداخلي أي رقابة الفرد على نفسه في سلوكه وتصرفاته وهذا النوع من الضبط الاجتماعي يعتمد على ما نسميه بالضمير الذي تزيد التعاليم الدينية من متانته حيث يكون تأثير الدين لدى البدو بصفة خاصة والمجتمعات الريفية بصفة عامة قوياً «مع ملاحظة عدم تفقهمهم في الدين في الغالب» بالإضافة لوجود الضبط الاجتماعي غير الرسمي الذي يعتمد على رقابة المجتمع البدوي على الأفراد حيث أن كل فرد في الجماعة البدوية يعرف بقية أفرادها معرفة جيدة عن طريق ما يعرف بعلاقة «وجه لوجه» ولهذا نجد أن الخوف من القبيل والقال يمثل عندهم دوراً هاماً في تقوية هذا النوع من الضبط الاجتماعي وتدعيمه .

من المعروف أن البيئة البدوية يبدأ تأثيرها على الطفل منذ ولادته حيث يشب أطفال البادية على خشونة وقساوة الحياة البدوية التي تقابل الطفل منذ الساعات الأولى لولادته فهو يولد ويتربى في خيمة بدوية لا تصلح بمقاييسنا العصرية لأن تكون مأوى بأي حال من الأحوال فهي لا تمنع تسرب مياه الأمطار إلى ساكنيها كما أنها لا تمنع برد الصحراء القارص خاصة أثناء ليالي الشتاء ناهيك عن ذرات الرمال المتناهية في الدقة التي كثيراً ما تثيرها العواصف الرملية العاتية التي تهب على سكان الصحراء بين الحين والآخر، كل تلك الظروف تترك آثارها على نفسية البدوي وعلى نظرته للحياة وعلى حبه المنقطع النظير للقوة والأقوياء وعلى احتقاره للضعف والضعفاء لأن القوي هو الباقي في البيئة الصحراوية القاسية والضعيف هالك لا محالة إن لم يكن من قسوة الصحراء فمن قسوة سكانها. لهذا نجد البدو يفضلون الذكور على الإناث



وذلك لأن الذكور يلعبون دوراً هاماً في حياة المجتمعات البدوية فهم الذين يحمون حمى القبيلة التي هي أحد أسرار بقاء المجتمع البدوي حيث يردون عنها عدوان المعتدين وهم الذين يحمون الضرع والزرع من السلب والنهب ولهذا نجد أن كثرة العدد تلعب دوراً هاماً في جعل القبيلة مهابة الجانب «كثرة عدد القادرين على القتال منها بالطبع» ولهذا نجد أنهم يقولون «كثير الجيش يداري» بمعنى أنه تجب مداراة الأكثر عدداً وقوة وهذا ما دعاهم إلى تفضيل إنجاب الذكور على الإناث:

إلا أن البدو في الوقت الحاضر يختلفون عن البدو بالأمس وهذا ما يوضحه الجدول رقم (1) حيث نجد أن أغلب أفراد العينة يسندون أمر إنجاب الذكور أو الإناث لمشية الله وهؤلاء يشكون 80% من أفراد العينة وهي نسبة عالية بلا شك وتدل دلالة واضحة على تعاضم إيمان البدو المحدثين بمشية الله. أما الذين يفضلون إنجاب الذكور على الإناث فقد بلغت نسبتهم 16,3% من أفراد العينة والذين يفضلون الإناث على الذكور 3,3% ومن المستغرب حقاً أن نجد بين البدو من يفضل الإناث على الذكور وهم الذين يصفون البنت بأنها «عديلة رمل» يعني كيس من الرمل يجب التخلص منه بأقصى سرعة وذلك بتزويج البنت بالطبع فمن المعروف أن كيس الرمل بالإضافة إلى تضررك من حمله فهو عديم الفائدة بلا شك. وفي جميع الأحوال فإن نسبة الذين يفضلون إنجاب الذكور تساوي خمسة أضعاف أولئك الذين يفضلون إنجاب الإناث أي أن التفضيل ما زال موجوداً حتى وإن انخفضت نسبته في الوقت الحاضر.

جدول رقم (1)

توزيع أفراد العينة حسب الجنس (النوع الذي يفضلون إنجابه)

النسبة المئوية	التكرار	الجنس / النوع
16,7	76	ذكور
3,3	15	إناث
80,0	365	حسب مشية الله
100	456	المجموع

على الرغم من أن الأطفال الذكور هم المفضلون والرجال يحظون بعناية خاصة عند البدو لدرجة أن نوعية الطعام وكميته اللتين تقدمان للذكور تختلفان عن تلكما اللتين تقدمان للاناث وهذا عرف أو تقليد اجتماعي ما زال مزدهراً في طول البلاد وعرضها عند جميع فئات المجتمع الليبي وعادة ما تعمل النساء أنفسهن على المحافظة عليه وتبنيته كما أنهن يعملن على تربية بناتهن على المحافظة عليه وذلك لأن النساء هن اللواتي يقمن بإعداد الطعام وتقديمه للرجال وقد كان السائد في المجتمع الليبي بصفة عامة والبدوي بصفة خاصة أن مجرد دخول الرجل لأماكن اعداد الطعام يعد من الأمور غير المقبولة.

وفي جميع الأحوال فإن هذه التفرقة لا تحمل أي نوع من الخط من مكانة المرأة لأن مكانة المرأة عند البدو سامية فهم (يحترمون المرأة في كل الظروف لأنها تشارك الرجل في كل أعماله، تدبير المنزل وتربي الأطفال وهي مخلصه لزوجها أشد الإخلاص فتساعده في جميع نواحي الحياة وتحمي له كل ما يحتاجه وهي تطبخ وتجلب الماء وتحيك الملابس والخيام وتغزل الوبرة⁽¹⁾ والصوف وتؤدي الكثير من الأعمال المنزلية التي لا تنتهي بانتهاء موسم معين لا كأعمال الرجل التي قد تنتهي بانتهاء موسم الحرث أو الحصاد وغيرها من الأعمال الموسمية الأخرى.

أما أسباب تفضيل الولد على البنت عند البدو في الوقت الحاضر فهي كما يوضحها الجدول رقم (2) ترجع إلى أن الولد أكثر فائدة من الناحية الاقتصادية وهذا رأي حوالي 41% من الذين يفضلون الذكور على الاناث ومستقبل الولد أفضل من مستقبل البنت وهذا رأي 25% والولد يحمل اسم العائلة ويأخذ بشارها وهذا رأي حوالي 20% وأخيراً لأن الولد يعتمد على نفسه وهذا رأي حوالي 15% من الذين يفضلون الذكور على الاناث.

(1) هند الخطيب، التنمية الاجتماعية واثرها في توطين البدو في الكويت منشورات دار ذات السلاسل - الكويت 1981 ص 95.



جدول رقم (2)

توزيع أفراد العينة حسب أسباب تفضيلهم إنجاب الذكور على الإناث

النسبة المئوية	التكرار	أسباب التفضيل
40,8	31	الولد أكثر فائدة من الناحية الاقتصادية
25,0	19	مستقبل الولد أفضل من مستقبل البنت
19,7	15	يحمل اسم العائلة ويأخذ بثأرها
14,5	11	لأنه يعتمد على نفسه
—	380	لا ينطبق
%100.0	456	المجموع

الترابط الاجتماعي للأسرة البدوية:

الأسرة هي نواة المجتمع البدوي فمن مجموع الأسرة تتكون القبيلة والطفل البدوي يتعلم من أسرته أشياء كثيرة مهمة في حياته المستقبلية مثل العزة والانتفاء للقبيلة والعصبية والمباهاة بهذا الانتفاء ولهذا تهون حياة البدوي دفاعاً عن أسرته أو قبيلته والطفل البدوي الذي يولد ويتربى في ظل القيم والمبادئ البدوية طبيعي أن يكبر عنده شعور فطري بأن الإخلاص للأسرة والقبيلة هو أهم شيء في الوجود.

إن الأسرة البدوية تمتاز بالروابط الاجتماعية القوية وينسحب هذا أيضاً على روابط الشخص البدوي بقبيلته التي يعتبرها أسرته الكبيرة ولهذا يكن لها كل الولاء والطاعة ويعتز بأمجادها وانتصاراتها التي يعتبرها أمجاداً وانتصارات له.

وترابط الأسرة البدوية شرط أساسي لبقائها واستمرار وجودها وذلك لأنه في البيئة البدوية يصعب على الإنسان أن يعيش منفرداً كما يصعب على الأسرة أن تعيش منفردة ولهذا نجد أن مجموعة من الأسر تؤلف اتحاداً فيما بينها يعمل على حمايتها من اعتداء الغير وهو ما نسميه بالقبيلة.

ويبين الجدول رقم (3) أن 81,3% من أفراد العينة الذين لديهم أبناء ذكور متزوجون يعيش أبناؤهم المتزوجون معهم في الأسرة بمعنى أن مصروفاتهم وإراداتهم واحدة بينما نجد أن 18,7% من أفراد العينة الذين لديهم أبناء ذكور متزوجون لا يقيم أبناؤهم الذكور معهم بعد الزواج وتعد نسبة الأبناء الذكور المتزوجين الذين يقيمون مع أسرهم بعد الزواج عالية جداً مقارنة مع ما عليه الوضع في المناطق الحضرية مع الأخذ بعين الاعتبار روح العصر الذي تسود فيه الأسرة النووية في معظم أنحاء العالم وقد يكون هذا الاختلاف راجعاً إلى الضغوط الاجتماعية التي يتعرض لها أبناء البادية القاضية بضرورة طاعة الآباء والبقاء تحت مظلة الأسرة فترة طويلة.

جدول رقم (3)

توزيع أفراد العينة الذين لديهم أبناء ذكور متزوجون حسب إقامة هؤلاء الأبناء مع الأسرة من عدمه

نوع الإقامة	التكرار	النسبة المئوية
يقيمون مع الأسرة	100	81,3
لا يقيمون مع الأسرة	23	18,7
لا ينطبق	333	—
المجموع	456	100,0

ولهذا نجد أن الأبناء في الأوساط الريفية والبدوية يخشون الاستقلالية في سن مبكرة وذلك لأن الأب أو رئيس الأسرة هو صاحب السلطة المطلقة وهو الذي يصرف جميع أمورهما، ولهذا نجد أن الأبناء في البادية ينفذون في الغالب تعليمات الآباء خاصة فيما يتعلق بالأمور الاقتصادية والواجبات الاجتماعية ولا يبدأ نفوذ الأبناء المتزوجين في الأسرة إلا بعد أن يكبر عميد الأسرة ويصبح عاجزاً عن تصريف أمورهما حينها يتقلد الابن الأكبر زمام أمورهما.



وعليه نجد أن أبناء البادية يحتاجون لرعاية الأسرة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية فترة أطول من تلك التي يحتاجها أبناء الحضر الذين يستقلون في سن مبكرة عن أسرهم.

ويبين الجدول رقم (4) أن حوالي 38% من أفراد العينة لديهم أقارب غير الأبناء يعيشون معهم في الأسرة وهؤلاء الأقارب يتمثلون في الوالدين أو الأخوة والأخوات وقلة قليلة من الأقارب الآخرين.

جدول رقم (4)

توزيع أفراد العينة حسب وجود أقارب غير أبناء المبحوث يعيشون مع الأسرة

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	173	37,9
لا	283	62,1
المجموع	456	100,0

وإذا أطلقنا على الأسرة التي يعيش فيها أقارب غير الأبناء صفة الأسرة الممتدة فإن الأسرة الممتدة من هذا النوع تشكل 38% من الأسرة التي شملها البحث زد على ذلك الأسرة التي يعيش معها أبناء متزوجون ولا يوجد أقارب غيرهم في الأسرة الأمر الذي جعلهم غير مشمولين في هذه النسبة وقد بلغت نسبة الأسرة الممتدة في الدراسة التي قام بها الدكتور الثير وآخرون تحت عنوان «أنماط التكيف الاجتماعي في القرى الزراعية الجديدة» حوالي 29% من مجموع الأسرة التي شملها البحث ويتبين لنا من خلال ذلك أن الفرق بين الدراستين مرتفع نسبياً ولكنه ليس بالكبير على أية حال وقد يكون الفرق بين الدراستين راجعاً لعامل الاستقرار فكلمة استقرار الإنسان كان في غنى عن هذا النمط من الأسرة واحسب أن كثيراً من المتفاعلين بالقرى

الزراعية قد يكونون في الأساس من البدو أو أن أكثرهم ذو جذور بدوية إلا أن استقرارهم في هذه القرى قد يكون أدى إلى تقلص أسرهم وتحولها في الغالب إلى أسر نووية.

وأخيراً فإن الرابطة الأسرية تكون قوية عند المجتمعات البدوية والريفية أكثر منها في المجتمعات الحضرية وذلك يعود إلى التكوين أو التركيب الخاص لهذه المجتمعات التي يعد التكامل والتكاتف والتعاون من أهم صفاتها.

المرأة والتعليم في المجتمع البدوي:

في الحقيقة لم يحدث في تاريخ البادية الليبية أن وجه أي اهتمام إلى تعليم المرأة، فالتعليم إن وجد عند البدو فهو من نصيب الرجال فقط وقد ازدهر التعليم الديني عند البدو في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن بفعل الزوايا الدينية التي كانت منتشرة في أنحاء متفرقة من البلاد ولكن لم نسمع عن امرأة واحدة درست في هذه الزوايا حتى حفظت القرآن الكريم مثلاً بل إنه في بعض الأحيان تذهب بعض بنات أصحاب المكاينة المرموقة من البدو إلى فقيه النجع الذي تكون معظم أجرته في الواقع مدفوعة من والدها وذلك لحفظ بعض سور القرآن الكريم التي تمكنها من أداء الصلاة وهذا هو أعلى مستوى دراسي وصلت إليه أية امرأة بدوية حسب علمنا بعد استقصاء مكثف لأكثر من بدوي ممن يعرفون الكثير من تاريخ البادية المدون في ذاكرة المهتمين من كبار السن.

ولو قلت لبدوي منذ أربعة أو خمسة أحقاب مضت لماذا لا تدخل ابنتك المدرسة فإنه إما أن يسخر منك إذا كنت أكبر منه سناً أو مكانة اجتماعية أو إنه سوف يوبخك إذا كنت أصغر منه في العمر أو المكانة الاجتماعية، لأن البدو في تلك الفترة لم يؤمنوا حتى بتعليم الولد خاصة في المدارس الرسمية فما بالك بتعليم البنت، خاصة أن التعليم المهم عندهم هو التعليم الديني أما ما عداه فهو كلام فارغ وفي هذه الحالة أي في حالة التعليم الديني فمن المعروف أنه من حق الرجل وحده أما المرأة فلا مكان لها فيه.



إلا أن كل شيء قد تغير الآن حتى وإن كان ذلك التغير نسبياً حيث تغيرت نظرة البدو للتعليم بصفة عامة وتعليم البنات بصفة خاصة وأصبحوا يسمحون للبنات بالالتحاق بالمدارس المتنقلة التي انتشرت في البادية الليبية بشكل واسع بعد قيام الثورة مباشرة إلا أنه في جميع الأحوال تعليم البنات عند البدو ما زال متعثراً إلى حد ما مقارنة مع ما يحظى به تعليم الولد من اهتمام.

أما من ناحية مستوى التعليم المناسب للأولاد الذكور من وجهة نظر أفراد العينة الذين لديهم أولاد ذكور، فإن الجدول رقم (5) يبين أن أغلب أفراد العينة الذين لديهم أبناء ذكور في سن الدراسة والذين تبلغ نسبتهم 93,1% يرون أن من الواجب أن يكمل الولد دراسته الجامعية على أقل تقدير، وهذا موقف إيجابي جداً من التعليم قد لا نجده حتى عند الكثير من سكان الحواضر خاصة في دول العالم الثالث الأمر الذي يجعل البادية الليبية في حالة انسجام مع بقية قطاعات المجتمع الليبي من جميع النواحي الثقافية والاجتماعية بل وحتى الاقتصادية، إن سبب تركيزهم على التعليم ربما يعود إلى أن التعليم حسب وجهة نظرهم قد يساعدهم على فهم لغز الحياة الحضرية المعقدة في المدن، ولهذا نجد البدو في ليبيا في الوقت الحاضر يركزون عليه ويحاولون توفيره لأبنائهم بكل السبل المتاحة.

أما الذين يرون أن الولد يجب أن يتعلم القراءة والكتابة فقط فكانت نسبتهم 3,3% من أفراد العينة الذين لديهم أبناء ذكور وهؤلاء حسب وجهة نظري إما أن يكونوا من الجيل القديم الذي لا يؤمن بجدوى التعليم وإن هم آمنوا به فإنهم يرون أن القليل منه يكفي، لأن البدوي حسب وجهة نظرهم سيظل بدوياً مهماً فعل ومهماً كان حظه من التعليم كبيراً وإما أن يكونوا من الآباء الذين يؤمنون بالسيطرة الكاملة للأب على الأبناء ويرون أن تعليم الأبناء يجعلهم يخرجون عن طوعهم، ولهذا فإن التعليم من وجهة نظر هؤلاء مفسدة للأبناء.

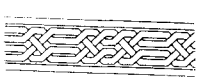
جدول رقم (5)

توزيع أفراد العينة حسب رأيهم في المستوى المناسب من التعليم للأولاد الذكور

النسبة المئوية	التكرار	المستوى التعليمي المناسب
—	64	لا يوجد لدى المبحوث أبناء ذكور
3,3	13	ليتعلم القراءة والكتابة
3,6	14	ما بين المرحلة الابتدائية والثانوية
93,1	365	المرحلة الجامعية فما فوق
100,0	456	المجموع

أما الذين يرون أن التعليم يجب أن يكون بين المرحلة الابتدائية والثانوية فيمثلون 3,6% من أفراد العينة وهذه الفئة في الواقع تؤمن بجدوى التعليم ولكن بدرجة أقل من أولئك الذين يرون أن التعليم المناسب هو الجامعي فما فوق وهم الأغلبية في هذه العينة.

إن التعليم، وبالذات التعليم بالنسبة للولد يحظى بعناية كبيرة من قبل البدو في الوقت الحاضر لكن تعليم البنات ما زال متعثراً إلى حد ما، كما يوضح الجدول رقم (6) فإن 12,9% من أفراد العينة الذين لديهم بنات يرون أن التعليم غير مهم بالنسبة للبنات، بينما يرى 24,6% أن البنات يجب أن تتعلم القراءة والكتابة فقط حتى تستطيع الإلمام بأمور دينها وهو السبب المهم بالنسبة لتعليم البنات حسب رأيهم بينما هناك 16,3% يرون أن الشهادة الابتدائية كافية بالنسبة للبنات والذين يرون أن الشهادة الإعدادية تعليم مناسب بالنسبة للبنات يشكلون 3,6% من أفراد العينة الذين لديهم بنات ولكن الأغلبية العظمى منهم وهي 40,8% يرون أن البنات يجب أن تكمل دراستها حسب رغبتها بينما هناك 1,8% لم يستطيعوا اتخاذ قرار في موضوع تعليم المرأة.



جدول رقم (6)

يبين توزيع أفراد العينة حسب رأيهم في مستوى التعليم المناسب للبنات

النسبة المئوية	التكرار	المستوى التعليمي المناسب
—	69	لا توجد لدى المبحوث بنات
12,9	50	دراسة البنت غير مهمة
24,6	95	تتعلم القراءة والكتابة
16,3	63	لتعرف أمور دينها
3,6	14	الشهادة الابتدائية
40,8	158	الشهادة الإعدادية
1,8	7	تكمل الدراسة حسب رغبتها
		لا أستطيع أن أقرر
100,0	456	المجموع

الموضوع المهم الآخر المتعلق بالتعليم يكمن في مدى موافقة ولي الأمر على إقامة البنت أو الولد في القسم الداخلي من أجل استكمال دراسته والمعروف أن الأقسام الداخلية هامة جداً في تعليم أطفال البدو منذ أن ظهر اهتمام البدو بالتعليم بمختلف أشكاله سواء إن كان دينياً أو علمانياً ففي المرحلة التي ساد فيها التعليم الديني عند البدو كانوا يرسلون أبناءهم الذكور للالتحاق بالزوايا الدينية التي كانت الإقامة فيها شبه داخلية وبعد انتشار المدارس الداخلية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية صار البدو يرسلون أبناءهم إليها بل إن الأماكن الشاغرة في بعضها كانت توزع عليهم حسب عدد كل قبيلة.

ولكي نعرف رأي أفراد العينة في إقامة الابن في القسم الداخلي وجهنا إليهم سؤالاً بهذا الخصوص وكانت إجاباتهم كما يوضحها الجدول رقم (7) تدل على أن

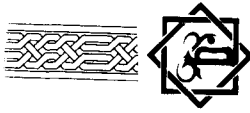
90,3% من الذين لديهم أبناء ذكور يوافقون على إقامة أبنائهم في القسم الداخلي من أجل استكمال دراستهم وهذا يعد من الأمور الداعية للتفاضل بمستقبل تعليم الأولاد عند البدو بينما الذين لا يوافقون على إقامة أبنائهم الذكور في القسم الداخلي يشكلون 7,6% فقط.

جدول رقم (7)

يبين توزيع أفراد العينة حسب رأيهم في إقامة الأبناء الذكور في الأقسام الداخلية من أجل استكمال دراستهم

النسبة المئوية	التكرار	الرأي
90,3	354	أوافق
7,6	30	لا أوافق
2,1	8	لا أستطيع أن أقرر
—	64	لا ينطبق
100,0	456	المجموع

وقد وجهنا نفس السؤال الخاص بالإقامة الداخلية للبنات لأفراد العينة وقد اتضح من إجاباتهم كما هي مبينة في الجدول رقم (8) أن 16,3% فقط يوافقون على إقامة بناتهم في القسم الداخلي من أجل استكمال دراستهن، بينما بلغت نسبة الذين لم يوافقوا على إقامة البنت بالقسم الداخلي 87,8% وهذا معاكس تماماً لما هو عليه الوضع بالنسبة لإقامة الولد في القسم الداخلي ويرى هؤلاء أن البنت لا تستطيع الاعتماد على نفسها مثل الولد بل تحتاج إلى رعاية دائمة من ولي الأمر ولهذا يقولون دائماً إن البنت لا يمكن أن تودع عند الغير ولعل هذا من أقوى الأسباب التي تمنع البدو من إرسال بناتهم إلى الأقسام الداخلية وفي الحقيقة هذا هو الاتجاه السائد عند



أغلب أفراد المجتمع الليبي ولو أنه حصل في السنوات الأخيرة عند سكان الريف والحوضر بعض الاعتدال في نظريتهم لإقامة البنت في القسم الداخلي، حيث توجد بالجامعة مثلاً الكثير من الطالبات المقييات بأقسامها الداخلية وكذلك الحال بالنسبة للمعاهد العليا والمتوسطة.

جدول رقم (8)
يبين توزيع أفراد العينة حسب رأيهم في إقامة البنت في القسم الداخلي من أجل استكمال دراستها

النسبة المئوية	التكرار	الرأي
16,3	63	أوافق
78,8	305	لا أوافق
4,9	19	لا أستطيع أن أقرر
—	69	لا ينطبق
100,0	456	المجموع

ونظراً لحساسية السؤال فقد ارتفعت نسبة الذين أجابوا «لا أستطيع أن أقرر» إلى 4,9% وهو من الأمور المألوفة فكلما كان السؤال حساساً ارتفعت نسبة الذين لا يستطيعون اتخاذ قرار بشأنه.

بناء على هذا العرض لآراء البدو وتوجهاتهم نحو التعليم نلاحظ أن نظرة البدو للتعليم قد تغيرت تغيراً كبيراً حيث أصبحوا في السنوات الأخيرة يقدرون قيمة العلم والتعليم بعد أن تأكدوا من أنه السلاح الوحيد والفعال الذي يدخلهم معترك الحياة بجدارة.

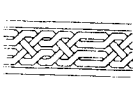
ولكن رغم هذا فإنهم ينظرون إلى تعليم الولد على أنه أكثر أهمية من تعليم البنت وهذه النظرة كانت سائدة عند أغلب أفراد المجتمع الليبي حتى عهد قريب ولا شك أنها سوف تزول مع الوقت عند البدو كما زالت عند بقية أفراد المجتمع ولا يوجد في الوقت الحاضر معتك أو مجال من مجالات الحياة لم تساهم فيه المرأة ابتداء من قيادة الطائرات إلى الطب إلى الخدمة العسكرية وغيرها.

رأي البدو في عمل المرأة في مؤسسات الدولة والشركات :

المعروف عن المرأة البدوية أنها تشارك الرجل في الكثير من الأعمال وهي تعمل من مطلع الشمس إلى مغيبها وأحياناً أكثر من ذلك وهي لا تكفي بالأعمال المنزلية بل إنها تشارك الرجل في الكثير من الأعمال التي تعد في الواقع خارج نطاق عمل المنزل.

لكن المرأة البدوية لم تألف العمل في دوائر الدولة ومؤسساتها إلا مؤخراً ولهذا أردنا أن نعرف رأي الرجل البدوي في عمل المرأة في هذه المؤسسات فوجهنا له بعض الأسئلة التي تستطلع رأيه في هذا الموضوع ومن إجابات أفراد العينة الموضحة بالجدول رقم (9) نرى أن الموافقين على عمل المرأة في المؤسسات والدوائر العامة لم يتجاوز 34% من أفراد العينة بينما بلغت نسبة المعارضين لعمل المرأة في المؤسسات المذكورة حوالي 58% أما الذين لم يستطيعوا أن يتخذوا قراراً بشأن عمل المرأة فقد بلغت نسبتهم 9% ومن الملاحظ أن ارتفاع نسبة المعارضين لعمل المرأة تشير إلى حساسية السؤال أو أنهم يرون أن السؤال يعد من الأسئلة المهددة.

ومن هذا نرى أنه لم يوافق على عمل المرأة إلا حوالي ثلث أفراد العينة ولكن هذه النسبة تعد جيدة على كل حال باعتبار أن هذا المجال جديد على المرأة البدوية وعلى البدو بصفة عامة فهم لا يحبون الدولة التي تمثل عندهم في الماضي السلطة الظالمة وبهذا يتعاملون معها بحذر في معظم الأحيان وهذا راجع لأسباب تاريخية لا مجال لذكرها هنا.



جدول رقم (9)
يبين رأي أفراد العينة في عمل المرأة في المؤسسات والشركات العامة

النسبة المئوية	التكرار	الرأي
33,8	154	أوافق
57,6	263	لا أوافق
8,6	39	لا أستطيع أن أقرر
100,0	456	المجموع

وقد أردنا أن نستطلع رأي الذين وافقوا على عمل المرأة على أنسب الأعمال بالنسبة للمرأة حسب وجهة نظرهم فكانت إجاباتهم كما يوضحها الجدول رقم (10) أن أنسب الأعمال للمرأة هو العمل كموظفة أو منتجة وقد حدد هذا المجال 41,7% من أفراد العينة الذين وافقوا على عمل المرأة بينما رأى 37,5% منهم أن التدريس والتمريض هما أنسب الأعمال للمرأة وقد كان في اعتقادنا أن التدريس والتمريض هما العمل المفضل للمرأة من قبل أفراد العينة الذين يوافقون على عملها باعتبار أن هذه الوظائف تعد من الوظائف التقليدية للمرأة في المجتمع الليبي إلا أن الباحثين رأوا عكس ذلك ولو أن الفارق بسيط على كل حال. بينما هناك 20,8% من الموافقين على عمل المرأة لم يستطيعوا أن يحددوا أي عمل للمرأة بل تركوا الأمر مفتوحاً بقولهم «أي عمل يليق بالمرأة» وهذا كذلك حسب رأي يشير إلى نوع من التهرب من تحديد عمل معين وذلك لأنهم قد يكونون لا يوافقون على عمل المرأة في المقام الأول وإنما ذكرهم لهذه الإجابة قد يكون من باب المجاملة لجامعي البيانات.

من هذا نرى أن آراء البدو حول عمل المرأة لم تتبلور بعد أي أنهم ما زالوا في حيرة من هذا الوضع الجديد عليهم فحتى ثلث أفراد العينة الذين وافقوا على عمل

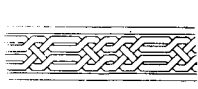


المرأة نجد أن حوالي ربعهم لم يستطع تحديد عمل مناسب للمرأة حسب وجهة نظره على الأقل.

جدول رقم (10)
يبين نوع العمل الذي يرى البدو أنه مناسب للمرأة

37,5	54	التدريس أو التمريض
41,7	60	موظفة أو متجة
20,8	30	أي عمل يليق بالمرأة
—	312	لا ينطبق
100,0	456	المجموع

والخلاصة فالمرأة في المجتمع البدوي لها مكانتها المرموقة فهي الأم الحنون والمحبة الصديقة والزوجة الوفية المخلصة وإن كانت المرأة في الماضي محصورة في زاوية ضيقة نوعاً ما من المجتمع البدوي فإنها الآن صارت تشارك في معظم نشاطات هذا المجتمع حتى وإن كانت هذه المشاركة محدودة في الوقت الحاضر إلا أن المتوقع من متابعتنا المستمرة لمسيرة المجتمع البدوي أن تأثيرها في تشكيل حياته سوف يزداد بمرور الزمن.



المراجع

- الزوي، لوجلي صالح، التنشئة الاجتماعية عند البدو وأثرها في تكوين الإنسان البدوي. بحث مقدم إلى مؤتمر الأسرة الثالث، صندوق الضمان الاجتماعي، طبرق 1987.
- الزوي، لوجلي صالح، توطين البدو، أبعاده وغاياته، تقرير بحث، مركز البحوث والدراسات الافريقية، سبها، 1988.
- الزوي، لوجلي صالح، خطوات عملية على طريق توطين البدو في ليبيا، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي حول تنمية المجتمعات الصحراوية، تجربته الجماهيرية العظمى، مرزق في الفترة ما بين 26-29 أكتوبر 1987 م.
- الزوي، لوجلي صالح، تيسير التعليم للبدو مطلب أساسي لتحررهم، بحث مقدم إلى مؤتمر التعليم من أجل التحرير في افريقيا، مركز البحوث والدراسات الافريقية، سبها في الفترة ما بين 20-25 مارس 1988 م.
- التير، مصطفى عمر، التحديث والأسرة وجنوح الأحداث في المجتمع العربي بحث مقدم إلى المؤتمر الرابع للأسرة، صندوق الضمان الاجتماعي، البيضاء في الفترة من 3 إلى 5 أكتوبر 1989 م.
- الفائدي، محجوب وآخرون: اثر التغير الاقتصادي والاجتماعي للأسرة الريفية على الإنتاج بمشروع الجبل الأخضر الزراعي، تقرير بحث البيضاء 1986 م.
- الخطيب، هند، التنمية الاجتماعية وأثرها في توطين البدو في الكويت منشورات دار ذات السلاسل، الكويت 1981.

